بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بقلم/سماحة الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على إمامنا وأسوتنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد ...

فهذا هو الجزء الخامس من خطب الجمعة، التي حرص الأخ العالم الفاضل الشيخ خالد السعد على جمعها من مظانها، وإفراغها من المسجل على الورق، والتعليق عليها بما يناسب، كما رأينا في الأجزاء الأربعة الماضية التي تلقاها المسلمون بالرضا والقبول.

وتحويل الخطب المسموعة إلى خطب مقروءة، إنما تم بفضل هذا الجهاز الذي وفق الله الإنسان إلى اختراعه في هذا العصر، وهو «المسجل» الذي حرمه من كان قبلنا، ومنه تنقل الخطب إلى الورق لتقرأ. وكم كنا نتمنى لو نستمع إلى خطباء مشاهير، أثروا في عقول الأمة وقلوبها في عصرهم مثل حسن البنا رحمه الله في مصر، ومصطفى السباعي في سورية. ولكن الله تعالى منَّ علينا بهذه الآلة النافعة التي تستحق منا الشكر.

وبهذه المناسبة أقول: إنني ظللت عقودًا من حياتي أخطب ولا أسجل خطبي، ولا يسجلها لي أحد، لعدم اهتمام الناس بالتسجيل، برغم أن أحد الإخوة السوريين كان معنا في قطر، قال لإخوانه: أنصحكم أن تسجلوا خطب

الشيخ «القرضاوي» ومحاضراته ودروسه، فقد أهملنا تسجيل تراث الشيخ السباعي، واليوم نندم على ذلك أشد الندم، ولات ساعة مندم.

ثم جاء زمان، كانت تسجل فيه خطبي ولا أهتم بالاحتفاظ بنسخ منها، وقد قدر لي أن أخطب في قارات الدنيا كلها، خطبت في إفريقيا: في مصر والسودان وليبيا والجزائر والمغرب ونيجيريا. وخطبت في آسيا: في قطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وباكستان، والهند وبنجلاديش وماليزيا وإندونيسيا وهونج كونج وسنغافورة والفلبين وكوريا الجنوبية واليابان، وخطبت في أوربا: في إنجلترا وألمانيا وفرنسا وسويسرا، وأيرلندا، والبوسنة، وإيطاليا، وأسبانيا، والسويد وغيرها من بلدان أوربا، وفي عدد من مدن أمريكا وكندا. وفي البرازيل من أمريكا الجنوبية، وفي أستراليا: في سدني وملبورن.

وأنا أنتهز هذه الفرصة لأطلب من الإخوة الأحبة الذين سجلوا خطبي في تلك البلاد، أو أتيح لهم أن يقتنوها: أن يتكرموا علي بإرسال نسخة منها، للاحتفاظ بها، أو إفراغها على الورق. لتضاف إلى هذه الأجزاء المنشورة، وجزاهم الله خيرًا.

ويمتاز هذا الجزء بأن معظم خطبه تدور حول محور واحد، هو أم القضايا، وأولى القضايا، وكبرى القضايا: قضية العرب والمسلمين الأولى: قضية أرض النبوات، وأرض الإسراء والمعراج، والقبلة الأولى للمسلمين، وهي القضية التي شغلت الأمة منذ عقود من السنين بالاغتصاب الصهيوني لها، وإقامة دولته على أرضها، وإخراج شعبها من دياره، وتشتيته في الآفاق بمساندة من الغرب كله، ابتداء بالإنكليز، وانتهاء بالأمريكان.

ومنذ وعيت على الحياة: وجدت هذه القضية حية حاضرة، منذ ثورة الشعب الفلسطيني سنة 1936 التي شلت الحياة المدنية تمامًا، وأعيت الانتداب البريطاني، لولا تدخل حكام العرب في إطفاء شعلتها. ولا تزال هذه القضية إلى اليوم، المشعل والمفجر الذي يحرك الأمة من جاكرتا إلى الرباط، ويجمع أفكارها، وإرادتها، ويلهب أحاسيسها، ويلهم دعاتها وخطباءها: أن يقولوا ويعبروا عن ضمير الأمة، فيهزوا أعواد المنابر، ويلهبوا المشاعل والمشاعر.

وقد أتيح لي خلال ستين عامًا من عمري: أن يجندني الله لقضية فلسطين، أنافح عن حقها بلساني وقلمي، منذ كنت طالبًا بالقسم الابتدائي من معهد طنطا الديني إلى اليوم، وسأظل كذلك إن شاء الله ما دام في عرق ينبض، وعين تطرف.

والناس يسمون هذا النوع من الخطب خطبًا سياسية، وأنا لا أفرق بين ما يسمونه خطبًا سياسية، وما يسمونه خطبًا دينية، المهم أن تكون كلها خطبًا إسلامية، من الإسلام تستمد، وعلى الإسلام تعتمد، وإلى الإسلام تهدف، سواء سماها الناس: سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم دينية. فالإسلام يشمل الجميع.

والعلمانيون الذين يسمون هذه الخطب سياسية، يستنكرون على خطبائها: أنهم يخلطون الدين بالسياسة، والسياسة لا يجوز أن تدخل في الدين، وقد قال قائلهم يومًا: لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين.

كأنما يريد هؤلاء أن يحتكروا السياسة والحديث في السياسة لهم، حتى

تكون بمعزل عن الإيمان والقيم والأخلاق، فإذا تكلم المؤمنون في السياسة قالوا ما قالوا.

ولا يستطيع عالم أو داعية أن يتخلى عن الكلام في السياسة، أي في الأمر العام للجماعة والأمة، لأن هذا من النصيحة في الدين، والتواصي بالحق والصبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكلها فرائض إسلامية أساسية لا خلاف عليها.

والعجيب أن غير المسلمين قد اهتموا بهذه الخطب اهتمامًا بالغًا، وأوسعوها بحثًا وتحليلًا، وألفوا الرسائل والكتب في شأنها، ومدى تأثيرها على الجماهير المسلمة.

وقد رأينا الصهاينة يجأرون بالشكوى من هذه الخطب التي تتميز بالتوعية والحماسة للجماهير المسلمة. وفي سنة 2000 نشرت الصحف الخليجية - نقلًا عن صحف إسرائيلية - أن كبير الحاخامات في الدولة الصهيونية: ندد بعلماء الدين المسلمين، وقال: إنهم الذين يقومون بالدور الأكبر في التحريض على إسرائيل، ومعاداة إسرائيل، ومقاومة إسرائيل، تحت راية الجهاد في سبيل الله!

قال الحاخام الأكبر: ويأتي على رأس هؤلاء جميعًا: القرضاوي، فهو الأشد تحريضًا، والأقوى تأثيرًا، والأوسع نفوذًا، بما له من شعبية واسعة بين المسلمين، وقبول عام وخصوصًا بين الشباب، وبما أتيح له من إمكانات في تعميم خطبه ومحاضراته وبرامجه عن طريق شاشات التليفزيون التي فتحت أبوابها له.

ولا غرو أن نشرت الصحف أيضًا: أن الموساد هدد هؤلاء المحرضين - وأولهم فلان - بأن ذراعه طويلة لا تعجز عن إسكاتهم.

وقبل ذلك ظهر في أمريكا كتاب يحذر من دعاة المسلمين الذين يحرضون على الجهاد، ويربط هذا الجهاد بالإرهاب، وذكر عددًا من علماء المسلمين ودعاتهم اعتبرهم خطرًا على أمريكا، ونقل مقتطفات من كلامهم قطعها عن سياقها وسباقها، ليستخدمها في هدفه الذي يريد.

واحتج الإخوة في المجالس والمراكز والمؤسسات الإسلامية في أمريكا على هذا الكتاب، وقالوا: إنه ذكر فيه رجالًا يعتبرون من رموز الاعتدال والوسطية، بشهادة كل من عرفهم، وقرأ كتبهم، وتتبع محاضراتهم: مثل الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ راشد الغنوشي.

وقد تجلى أثر ذلك عمليًا في السياسة الأمريكية، حيث أبلغتني سفارة أمريكا في قطر - عن طريق وزير الدولة للشئون الخارجية القطرية - بأن التأشيرة التي أحملها في جوازي القطري غير صالحة لأن أدخل بها أمريكا، مع أنها تأشيرة لمدة عشر سنوات، لم يمض منها ثلاث.

ولم تستسلم الخارجية القطرية لما طلبته الخارجية الأمريكية، وناقشتهم في أسباب ذلك، وتبين أن أساس ذلك كله قضية فلسطين، وموقفي من اليهود المغتصبين للأرض، المشردين لأهلها، المتربصين بالمسجد الأقصى، وتأييدي للعمليات الاستشهادية، ومساندتي للمقاومة الإسلامية «حماس والجهاد».

وقد علمت أن السفارة الأمريكية بالدوحة، تتبع خطبي، وتسجلها وتحللها،

وتبعث بها إلى الجهات المعنية في واشنطن، وحين قابلتني السكرتيرة الأولى للسفارة، والقائمة بأعمال السفير - وهي تجيد العربية - أخبرتني أنها تتابع خطبي يوم الجمعة، وبرنامجي يوم الأحد في الجزيرة «الشريعة والحياة»!

ولقد أخبرني الإخوة في وزارة الأوقاف القطرية: أن السفارة طلبت منهم خطبة معينة، كنت خطبتها بعد غيبة عن المنبر، فلم يتنبهوا لها، فطلبوها من الأوقاف.

وعندما كنت أخطب في ساحة «قصر عابدين» بالقاهرة في منتصف أواخر السبعينات (سنة 77) من القرن الماضي: كنت أرى مصورين أجانب يصورون الصلاة والخطبة، ولا نعلم عنهم شيئًا، وخصوصًا آخر خطبة خطبتها في ذلك الميدان، وكان الذين حضروها لا يقل عددهم عن نصف مليون من البشر، امتلأت بهم الساحة، وكل الشوارع الموصلة إليها من الجهات الأربع، وكان هذا التجمع يعبر عن قوة الصحوة الإسلامية وامتدادها، وهو ما لفت الأنظار إليها، وجلب الأخطار عليها.

وحين وقعت الواقعة، وأصدر الرئيس السادات قراره، بوقف هذه الموجة الكاسحة، وأمر باعتقال كل رموز المعارضة من كل الفئات السياسية، ودينية، ووطنية، يمينية ويسارية، ليبرالية وثورية: كنت في ذلك الوقت في أمريكا لحضور مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي «المايا»، في مدينة «بليمونت» وقد أخبرنا الإخوة بما حدث في مصر من اعتقالات وتغيرات، ومنها: اعتقال الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله.

وقال أحد الإخوة السعوديين، وقد دعانا إلى الغداء عنده: بعد أقل من ساعة

ستأتي النشرة: ويمكن أن نتابع الأخبار، ونعرف المزيد منها، ونسينا النشرة، ثم تذكر أحدنا فجأة، ففتحنا التلفاز، فإذا فيه صورة شيخ معمم يتكلم، فقال الإخوة: هذه صورتك، وإذا هي صورتي في ميدان عابدين وأنا أخطب، ثم صورة أخرى وأنا أصلي والجماهير ساجدة، ثم صورة أخرى لأحد الشباب وهو الطالب حلمي الجزار «الدكتور بعد ذلك» أمير الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة، ثم لقطة أخرى للشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله من مسجده الشهير، باعتباره أحد خطباء الصحوة الذين كان لهم تأثيرهم القوي والواسع، بأسلوب المثير والمميز، وبأشرطته التي انتشرت في مصر، وسائر بلاد المسلمين.

إنه ملف كامل عن الصحوة الإسلامية ورموزها والمؤثرين فيها، فكل شيء عند القوم مرصود، وكل ظاهرة تخضع للدراسة من متخصصين، يعملون وفق معايير علمية، كثيرًا ما تدخل فيها الأهواء ككل عمل بشري.

وقد نشرت صحيفة «الحياة» اللندنية أخيرًا تحت عنوان:

«الهوية من منظور ديني» لطلال وهبة، قالت فيه:

صدر عن مركز الدراسات المسيحية ـ الإسلامية ـ في جامعة البلمند «في لبنان» كتاب جديد للباحث طلال وهبة، عنوانه «الهوية من منظور ديني». يعالج المؤلف في الكتاب إحدى خطب الشيخ يوسف القرضاوي لمناسبة عيد الأضحى من زاوية السنية. ويتألف الكتاب من أربعة فصول وخاتمة عنوانها: «الهوية الأحادية» أما الفصول الأربعة فهي: تراثية صنف النص، هوية الأفراد والجماعات في النص، من المقام إلى النص، من النص إلى المقام:

إقناع الجمهور.

وجاء في تقديم الكاتب د. رضوان السيد للكتاب: «تستشرف الدراسة الجيدة التي وضعها طلال وهبة الجديد للخطاب الإسلامي، من خلال «دراسة حالة» هي خطبة طويلة للشيخ يوسف القرضاوي أواخر السبعينات، والقرضاوي ليس خطيبًا فقط، بل هو كاتب لعشرات الكتب من السبعينات. ثم إنه أهم مفتي الشاشات التلفزيونية، ولا أعرف شخصية دينية سنية لها هذا التاثير الديني والثقافي، ربما من أيام جمال الدين الأفغاني[1].

وهذا الكتاب الذي صدر هنا في الشرق عن إحدى خطبي، وبنى عليها دراسة كونت كتابًا ذا فصول أربعة وخاتمة: يذكرني بكتاب آخر أطلعني عليه صديقنا الدكتور محمد مرسي عبد الله، مدير مركز الوثائق بالمجمع الثقافي بأبو ظبي، وقد دعاني إلى الغداء عنده منذ سنوات، ثم أراني كتابًا مؤلفًا باللغة الفرنسية، يتحدث عن «الصحوة الإسلامية» في مصر والعالم العربي، وعن أثر الخطاب الديني في توجيهها وتجميع القلوب حولها، وتحدث بصفة خاصة عن خطب العيد التي كانت تتم في ساحة عابدين، ويحضرها عشرات الألوف، وأحيانًا مئات الألوف.

وقد قرأ علي الدكتور مرسي نصًا مستفيضًا من الكتاب، يتضمن فقرة طويلة استغرقت صفحات، من أول خطبة لي خطبتها في ميدان عابدين «أحسب أنها كانت (سنة 1977) عند زيارة السادات لإسرائيل لأول مرة»، حين سمعته تذكرت كلماتي التي ارتجلتها في حينها، هذه الفقرة تقول:

---

(1) صحيفة «الحياة» لندن. العدد (14575) الثلاثاء 2003/2/18م.

من أراد أن يعرف مصر على حقيقتها، فليأت إلى هذه الساحة، ولينظر هذا الشباب، الذي رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبالقرآن منهاجًا، وبمحمد نبيًا ورسولًا.

مصر هي هذا الشباب المؤمن القوي، وليست مصر هي «شارع الهرم» وملاهي الليل، ومواطن العبث.

مصر التي حملت راية الإيمان طوال التاريخ، منذ عهد الفراعنة، إلى أن رضيت الإسلام لها دينًا، وقاومت الصليبيين والتتار دفاعًا عنه، إلى آخر هذه الفقرة، التي لم أعد أذكرها.

ومعنى هذا: أن القوم سجلوا الخطبة في حينها، ثم أفرغوها على الورق، وترجموها إلى الفرنسية، وطفقوا يدرسونها، ويحللون نصوصها.

وهذا كله يدلنا على أهمية المسجد ودوره في الحياة الإسلامية، وهذا واضح منذ عهد النبوة، فقد كان المسجد: جامعًا للعبادة، وجامعة للعلم، ومنتدى للتعارف، وملتقى للتفاهم، وبرلمان للتشاور[2].

ولا زال المسجد تاريخيًا يقوم بمهمته في الحفاظ على كيان الأمة ومقوماتها، وخصوصًا في أوقات الأزمات ومدلهمات الخطوب، مثل أيام الزحف الصليبي، والهجوم التتري قديمًا، والغزو الاستعماري حديثًا على الأمة.

وفي هذه الأيام - وأنا أكتب هذه المقدمة - بعد سقوط بغداد أمام الغزو

---

(2) راجع: دور المسجد في كتابنا «العبادة في الإسلام» في حديثنا عن «الصلاة» وآثارها في الحياة.

الأمريكي البريطاني، وتعرض بغداد والمدن العراقية للسلب والنهب المنظم، والمؤيد من قبل الغزاة: لم يحافظ على الشعب العراقي، ويرده إلى فطرته ويعده إلى ضبط النفس، والوقوف أمام المجرمين واللصوص: غير المسجد.

وقد استطاع العلماء وأئمة المساجد أن يجمعوا الناس على كلمة سواء، وأن يعيد الناس باختيارهم المسروقات إلى المساجد.

ومن أجل هذا أقول: إن على أمتنا أن تهتم بخطب الجمعة، وأن تعين لها العلماء الأكفاء لها، القادرين على أن يقولوا ليقنعوا العقول، ويحركوا القلوب، العلماء الذين يعتمدون على العلم الموثق، والقول المحقق، النابع من محكم القرآن، ومن صحيح السنة، ومن ثوابت التاريخ، ومن وثيق العلم، ومن واقع الحياة الحق، بغير تهويل ولا تهوين.

وعلى الأمة أن تدع لهؤلاء العلماء: الحرية المسؤولة، ولا تقيدهم بأغلال وقيود، تجعل منهم مجرد أبواق للسلطة الحاكمة، لا للشريعة المنزلة، ولا للرسالة الحنيفية السمحة، التي جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ولا زلت أذكر في أوائل القرن العشرين كيف ابتليت مصر بهجمة تبشيرية تنصيرية غربية، استغلت وجود الاحتلال لتحتمي به، وتنتشر في القرى والمدن، ولكن حصيلتها كانت صفراء، أو ما يشبه الصفر، وقال رئيس الحملة كلمة يجب أن نعيها ونذكرها:

سيظل الإسلام في مصر صخرة عاتية، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الركائز الأربع: القرآن، والأزهر، وخطبة الجمعة الأسبوعية، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين.

وأود أن أنبه هنا على نقطة مهمة خاصة بهذا الجزء من الخطب، وهي: أن الخطب تدور - كلها أو جلها - حول موضوع واحد، ومن شأن ذلك: أن تتكرر بعض المعاني الأساسية ولا بد. وأرجو أن لا يزعج هذا القارئ الكريم. فإن التكرار أحيانًا يقصد به التوكيد والتركيز على الأساسيات حتى تظل في بؤرة الوعي والشعور دائمًا. ولعل هذا من أسرار التكرار في قصص القرآن. على أن كل خطبة لا بد أن تشتمل على معان وأفكار جديدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وما توفيقنا إلا بالله.

الدوحة ربيع الآخر سنة 1424هـ

حزيران «يونيو» سنة 2003م

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم: خالد السعد

أحمدك ربي وأستعينك, وأصلي وأسلم على خير خلقك، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وبعد.

فهذا هو الجزء الخامس من هذه الخطب الطيبة المباركة لسماحة شيخنا الإمام العلامة الأستاذ الدكتور/**يوسف بن عبد الله القرضاوي** حفظه الله ورعاه.

وقد تضمن هذا الجزء - كما وعدت سلفًا - مجموعة من الخطب التي تدور موضوعاتها حول قضية الإسلام والمسلمون الكبرى في هذا العصر، وهي قضية فلسطين وجهاد شعبها الباسل المغوار، وانتفاضته البطولية الصامدة.

لقد أكثر الشيخ الإمام ظظظ من التنويه بقضية فلسطين في خطبه وأحاديثه ومقالاته وكتبه، فهي ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا العرب وحدهم. بل هي قضية المسلمين جميعًا. ولا زال يؤكد أنه لا سبيل إلى تحرير فلسطين إلا بالإسلام، فهو مفتاح هذه الأمة الذي لا تتحرك إلا به، ولا تُقاد إلا باسمه.

وقد كتب في ذلك الشيخ مقالات ورسائل وفصولًا في العديد من كتبه، أظهرها كتابه «القدس قضية كل مسلم» وكتاب «درس النكبة الثانية» ... بل لا يكاد كتاب من كتبه الفكرية والدعوية والأدبية يخلو من الحديث عن قضية

فلسطين، أو الإشارة إليها، أو التذكير بها، أو الدعوة إلى مناصرتها والوقوف معها.

وليس بجديد على سماحة الشيخ الإمام أن تستحوذ قضية فلسطين على اهتماماته وأن تكون في مقدمة شواغله ومن أكبر همومه، فمنذ أن كان طالبًا بالمرحلة الابتدائية بالأزهر وهو مشغول بهذه القضية، يشارك في تسيير المظاهرات الطلابية، وإلقاء الخطب الحماسية، ونظم القصائد المعبرة، وتنظيم المهرجانات والمؤتمرات لنصرة هذه القضية.

ومنذ ذلك العهد وإلى اليوم نجد الشيخ ظظظ بين الفينة والأخرى ينبري منتصرًا لانتفاضة الأقصى، ويجاهد بلسانه وقلمه العدو الصهيوني جهادًا كبيرًا، حتى إن كبير الحاخامات في الكيان الصهيوني الغاصب، يتميز غيظًا وغضبًا على الشيخ، ويعتبره أكبر المحرضين ضد إسرائيل، ويخصه بمزيد من الهجوم.

ويتعرض سماحته لتهديدات مخابرات العدو الصهيوني «الموساد» الذين حسبوا أنها ستفت في عضده، وتوهن من عزمه، فما يزيده ذلك - بحمد الله - إلا إصرارًا وتصميمًا على المضي في طريق الدعوة والجهاد، وتصديقًا بوعد الله الكريم: **{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ}** [الروم: 47].

حفظ الله الشيخ الإمام يوسف القرضاوي، وأيد به دينه وأمته، وأقر عينه وأعيننا جميعًا بتحرير الأقصى وبانتصار الإسلام وظهوره على الأديان كلها، آمين. وصل اللهم وسلم وبارك على نبيك وآله وصحبه.

خالد السعد

1 - بين عامين

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خصنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونؤمن بالله **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ}** [البقرة: 143].

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فعلم الناس من جهالة، وهداهم من ضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، فتح الله به آذانًا صمًّا، وأعينًا عميا، وقلوبًا غلفا، وهداهم به إلى الصراط المستقيم.

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

وقفة لحساب النفس:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن الآن نودع عامًا ونستقبل عامًا، نودع عامًا هجريًا ونستقبل عامًا هجريًا آخر.

فماذا علينا في هذه المناسبة؟

علينا أفرادًا جماعة وأمة: أن نقف موقفًا نتأمل فيه ونعتبر، نأخذ العبرة ونلتمس العظة من مرور الأيام، وذهاب الشهور والأعوام.

على كل منا أن يقف على رأس العام وقفة الإنسان المحاسب لنفسه، عن سنة مضت كاملة.

إن على المسلم أن يحاسب نفسه باستمرار، حساب النفس جزء من حياة الإنسان المسلم، نفسه نفس لوامة تلومه إذا فرط في أوامر الله، أو إذا ارتكب نواهي الله. إنه يملك حسًّا مرهفًا، وضميرًا حيًّا عندما تبدر منه المعصية، أو تضيع منه الطاعة، فلا يلقى ذلك بقلب ميت، ولكنه يلقى ذلك بضمير حي ... بحس يقظ، يقول لنفسه: لماذا فعلت؟ ولماذا تركت؟ ولماذا لم أفعل؟ ولماذا لم أدع؟

هذا هو شأن الإنسان المسلم، محاسب لنفسه أشد ما يكون الحساب. المسلم يغلظ الحساب على نفسه، في حين يتسامح مع غيره، ومع الآخرين يلتمس لهم المعاذير، حتى إن بعض السلف كان يقول: «إني لألتمس لأخي من عذر إلى سبعين عذرًا، ثم أقول: لعل له عذرًا آخر لا أعرفه».

هذا موقفه مع إخوته المسلمين وإن أخطأوا في حقه وإن جاروا عليه،

يلتمس لهم الأعذار، ولكنه مع نفسه لا يلتمس لها الأعذار، يحاسبها أدق ما يكون الحساب، وأشد ما يكون الحساب، كما قال ميمون بن مهران أحد التابعين: «المؤمن أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح»، يدقق ويدقق ولا يترك كبيرة ولا صغيرة إلا سأل عنها. هذا هو شأن الإنسان المسلم.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واسألوا أنفسكم قبل أن يصير السؤال إلى غيركم»! فإنك ستسأل يوم القيامة عما عملت وخصوصًا عن أسئلة أربعة: ستسأل عن عمرك فيما أفنيته؟ وعن شبابك فيما أبليته؟ وعن علمك ماذا عملت فيه؟ وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟ فحضر للسؤال جوابًا.

وقفة الحساب الختامي للعام:

المسلم يحاسب نفسه، ينبغي أن يحاسبها في كل ليلة قبل أن ينام: ماذا صنعت اليوم؟ وماذا فعلت؟ وماذا تركت؟ فإن لم يتيسر له هذا في كل ليلة فليكن في كل أسبوع ... ليلة الاثنين أو ليلة الخميس أو ليلة الجمعة، يقف ويقول: ماذا صنعت في أيام سبعة مضت؟ وماذا فيه من حلال وحرام، ورشد وغي.

فإن لم يتيسر له المحاسبة خلال كل يوم أو كل أسبوع فلتكن في كل شهر، كلما هل هلال وقف يحاسب نفسه عن شهر مضى.

فإن لم يفعل ذلك فعلى الأقل يقف على رأس السنة وقفة طويلة مع نفسه، يراجع فيها حساباته، ويفتح سجلاته بصراحة بينه وبين نفسه، حيث لا يطلع

عليه إلا الله الذي يعلم سره ونجواه ما فعله أمام الناس، وما فعله في خفية عن الناس، الله تعالى يعمله ويسجله عليه: **{أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}** [الزخرف: 80].

ينبغي أن يقف على رأس العام هذه الوقفة المتأنية المستوعبة، الطويلة، أشبه بما يسمونه في عالم المال والميزانيات بالحساب الختامي. هو الحساب الختامي لعمل سنة كاملة، السنة اثنا عشر شهرًا، والشهر تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كلها ستحاسب عليها: سنوات وأشهرًا وأسابيع وأيامًا وساعات ودقائق وثواني، كل نفس من أنفاسك ستسأل عنه أمام الله يوم القيامة، فلا بد من محاسبة النفس.

قيمة الوقت في حياتنا:

نحن نفرط في رأس مالنا، ورأس مالنا هو العمر، والعمر هو تلك الأيام التي تنقضي ولا نكاد نحس بها، ولا نهتم لها. أنت تضيع عمرك سنة بعد سنة، وشهرًا بعد شهر، وأسبوعًا بعد أسبوع، ويومًا بعد يوم.

نجد كثيرًا من الناس يقولون: تعالوا نقتل الوقت! يقتلون الوقت في اللهو واللعب، فيما يحل وما يحرم، ولا يدري هؤلاء الحمقى ... هؤلاء المساكين الذين يضيعون أوقاتهم سدى وعبثًا: أن المرء حينما يقتل وقته إنما يقتل في الحقيقة نفسه.

قتلة الوقت هم قتلة النفس، إنهم ينتحرون، ولكنه ليس انتحارًا بسكين ولا بضرب الرصاص، إنه انتحار بطيء غير مشاهد ولا منظور، انتحار

بإضاعة الوقت ... إضاعة رأس المال، فالوقت - كما قال الشيخ حسن البنا رحمه الله - هو الحياة.

الوقت ليس كما يقول الغربيون من ذهب، الذهب قد يعوض، والذهب قد تستغني عنه، قد تعيش بلا ذهب. الوقت هو الحياة، أغلى من الذهب، وأغلى من الناس، وأغلى من كل جوهر نفيس.

وقتك هو حياتك، وحياتك هي وقتك كما قال الحسن البصري: «يا ابن آدم إنما أنت أيام مجتمعة، كلما ذهب يوم ذهب بعضك» أنت مجموعة أيام، كل يوم ينقضي يذهب بعض منك.

حياتك أيها الإنسان هي الوقت الذي تقضيه من المهد إلى اللحد، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة. فإذا ضيعت وقتك أو قتلت وقتك، فقد ضيعت حياتك، وقتلت نفسك.

ومن العجب أن هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم - يقتلون الوقت - لا يعاقبون. من يبدد المال يعاقب، يعتبر سفيهًا ويحجر عليه، والوقت أغلى من المال، ولكن من يبده لا يحجر عليه، من يقتله لا يعاقب، لأنه للأسف لا يشعر بجريمته التي يرتكبها في حق نفسه.

ما أجدرنا أن نقف على رأس العام وقفة طويلة يحاسب كل امرئ فيها نفسه: ماذا قدم فيما مضى؟ وماذا ينوي أن يفعل فيما بقى؟ كما نقوم بالتدقيق للميزانية القديمة والتخطيط للموازنة الجديدة. ماذا أنوي أن أفعل هذا العام من أفعال كبيرة، أرضي فيها ربي، وأحقق فيها ذاتي، وأعمل فيها لآخرتي؟

هذه هي الوقفة الأولى التي ينبغي أن يقفها كل مسلم على رأس العام حينما

يودع عامًا مضى ويستقبل عامًا جديدًا.

وقفة مع الهجرة النبوية:

وهناك وقفة أخرى: وقفة يعتبر فيها بهذا الحدث العظيم، الذي اعتبره الصحابة بداية لتاريخ الأمة. العام الذي نودعه والعام الذي نستقبله، اسمه: العام الهجري، نسبة إلى هجرة محمد صلى الله عليه وسلم التي هاجر فيها من مكة إلى المدينة.

ما أجدرنا حينما نستقبل العام الهجري الجديد، ونودع العام الهجري القديم: أن نقف لنعتبر بهذا الحدث العظيم ... حدث الهجرة النبوية.

بحث عن دار للإسلام:

هذه الهجرة كانت بحثًا عن أرض للإسلام، عن دار للإسلام يحقق فيها ذاته، يقيم فيها شعائره، ينفذ فيها شرائعه، يؤسس فيها دولته، يرهب فيها أعداءه، يربي فيها أفراده، يبلغ فيها رسالته.

كان في حاجة إلى أرض حرة يقف الإسلام عليها وينطلق منها. مكة التي هبط فيها الوحي أول ما هبط، وهي منشأ الرسول صلى الله عليه وسلم، لم تصلح للأسف لأن تكون هذه الدار وأن تكحون هذه الأرض، فقد آذت النبي وأصحابه، وصبت عليهم سياط العذاب ثلاثة عشر عامًا، لقوا فيها ما لقوا، وقاسوا فيها ما قاسوا، وهاجروا إلى الحبشة مرتين، وحوصروا في الشعب ثلاث سنوات حتى أكلوا أوراق الشجر.

كان لا بد من البحث عن أرض تقوم فيها دولة للإسلام، ويتحقق فيها مجتمع الإسلام، وتقوم فيها النواة لأمة الإسلام، كانت هذه الأرض هي أرض

«يثرب»، التي سميت بعد ذلك بالمدينة المنورة.

كان الإسلام يبحث عن أرض لإقامة الدولة، إذ لا يمكن أن يكون الإسلام إلا دينًا ودولة، إلا أن يحقق نفسه بدولة تقوم على إقامة الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال عز وجل: **{وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ 40 ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ}** [الحج: 40، 41] تحقق هذا في المدينة المنورة.

هيأ الله لرسوله هذا النفر الذين شرح الله صدورهم لهذا الدين من الأوس والخزرج، فاستقبلوا هذا الدين ورحبوا به، على حين رفضه كثير من القبائل. وعلى حين اشترط بعض القبائل منافع معينة، كأن يكون لهم الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم!.

من دخل في هذا الدين على أساس دنيا أو منافع مادية فلا يقبل منه، لا بد أن يدخل هذا الدين لله، حتى تكون صلاته، ونسكه، ومحياه، ومماته، لله رب العالمين. وعلى هذا دخل الأوس والخزرج، وأكرمهم الله تعالى بالإسلام، وبعث الرسول إليهم مصعب بن عمير - الداعية الأول والمندوب الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يتلو عليهم القرآن، ويعرفهم الإسلام، ويعلمهم شعب الإيمان، حتى دخلت المدينة في دين الله إلا القليل من أهلها، لم يبق دار من دور الأوس والخزرج إلا دخلها الإسلام بفضل الله تعالى أولًا، ثم بفضل هذا الداعية الموفق مصعب بن عمير، وكانت بيعة العقبة الأولى في جوار مكة وبيعة العقبة الثانية.

من دروس الهجرة: التخطيط:

وشاء الله تعالى أن يهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة. أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وخطط النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الهجرة، وهذا درس آخر ينبغي أن نعيه.

ليس معنى أن الله أذن للنبي صلى الله عليه وسلم أنه ترك الأمور سبهللًا، أو تركها تجري على أعتنها بدون تدبير وتخطيط، لا، الإسلام لا يجعل التوكل طرحًا للأسباب واتكالًا على الله، لا، بل لا بد أن تأخذ بالأسباب، وتهيئ للأمر عدته، وتأخذ له أهبته، وتستعد له بكل ما تستطيع، وتحسب حساب الاحتمالات المختلفة، وترتب الأمر حسب ما يمكنك - ما يمكن البشر - من إعداد وتخطيط، ثم تدع الباقي لله عز وجل.

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة، لقد هيأ الأسباب ورتب الأمور:

1- هيأ الرفيق الذي يرافقه في رحلة الهجرة إلى يثرب وهو: أبو بكر.

2- هيأ الرواحل التي يركبها هو ورفيقه.

3- هيأ الدليل الخريت الماهر الذي يعرف الطرقات والملتويات، ويستطيع أن ينجو بهم عند الأخطار، وكان رجلًا مشركًا اسمه: عبد الله بن أريقط، ولا مانع من استخدام غير المسلمين في الأمور الفنية إذا كانوا أمناء على أمور المسلمين، وعلى أسرارهم، وعلى أحوالهم.

4- هيأ الغار الذي يختبئ فيه حتى يخف عنه الطلب، وتهدأ أنفاس قريش، فكان غار «ثور». وغار ثور في جنوب مكة، على عكس طريق المدينة،

وهذا نوع من التعمية على المشركين.

5- وهيأ من يأتي لهما بالزاد الأيام التي يعيشها في الغار، ومن يأتي له بالأخبار، وكان امرأة حتى لا يشك فيها الناس: أسماء بنت أبي بكر، فتاة تأتي وتصعد هذا الجبل الذي يرهق الرجال صعوده.

6- وهيأ من يأتي ليعفي على آثارها بغنمه، وهو عامر بن فهيرة راعي غنم أبي بكر.

7- رتب النبي صلى الله عليه وسلم من يبيت في مكانه إذا خرج من البيت، فكان: علي بن أبي طالب.

8- رتب من يرد الأمانات إلى أهلها وهو: علي أيضًا.

فقد كان المشركون رغم خلافهم مع النبي صلى الله عليه وسلم وعداوتهم له ولدعوته، يعتقدون أنه الأمين الذي لا يخون، والصادق الذي لا يكذب، والوفي الذي لا يغدر! ولذلك ائتمنوه على أعز أموالهم ونفائسهم، فأودعوها عنده رغم خلافهم معه!

ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: هذه أموال مشركين أخرجونا من ديارنا وأموالنا لنأخذها معنا، لا، إنه لا يخون من خانه، ولا يغدر صلى الله عليه وسلم، ولذلك أمر عليًا - بعد أن يهاجر - أن يرد هذه الأمانات إلى أهلها.

من دروس الهجرة: الأمل:

رتب النبي الأمور - كما ينبغي - ترتيب العقل البشري فيما يستطيعه، وترك بعد ذلك - بعد ما هيأ من الأسباب - الأمور والنتائج لرب الأرباب،

ومسبب الأسباب.

ولهذا لما اختفى في الغار وبحث المشركون عنه في كل مكان حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وهمس أبو بكر رضي الله عنه في أذن النبي صلى الله عليه وسلم وقال: «يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قديمه لرآنا» أي: لو كلف أحدهم خاطره أن ينحني قليلًا وينظر في أسفل لرآنا عيانًا بيانًا. وهنا رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم في ثقة المؤمن، وإيمان الواثق المتوكل على ربه فقال له: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟**»(3) {**لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**} [التوبة: 40].

هذا ما حكاه القرآن الكريم: {**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [التوبة: 40].

{**وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**}: ولذلك ذهب المحققون من العلماء: أنه لم تكن هناك شجرة كما قيل في بعض الروايات، أو حمام باض على الغار أو عنكبوت. الشجرة والحمام هذا لم تجئ به رواية لا صحيحة ولا ضعيفة، والعنكبوت جاءت بها رواية ضعفها بعض العلماء وحسنها بعض العلماء. وظاهر القرآن يدل على أنه لم تكن هناك جنود مرئية، والعنكبوت جند مرئي، ولكن الله يقول: {**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**} [التوبة: 40]، جنود غير مرئية {**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**} [المدثر: 31]، {**وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ**

---

(3) متفق عليه. رواه البخاري (4663) ومسلم (2381) عن أبي بكر رضي الله عنه.

وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [الفتح: 7].

ونجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه، وذهب مع الدليل إلى المدينة.

وفي الطريق أحس براكب يتعقبهم ... فارس يركب فرسه، يشق به الصحراء شقًا، وكأنه طائر يطير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لعله سراقة بن مالك**»، وسراقة قد سمع بما رصدت قريش من جائزة لمن يأتي بمحمد وأبي بكر حيين أو ميتين. جائزتان كل واحدة منهما: مائة ناقة، ثروة طائلة. وطمع الرجل أن يجد هذين المهاجرين الأعزلين من السلاح، ويستطيع أن يختطفهما ويعود بهما.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**اللهم اكفنا سراقة**»، فغاصت قوائم فرسه في الأرض. فقال: أغثني يا محمد، فقامت، ثم حاول مرة أخرى فدعا عليه، مرة ومرتين وثلاثًا. ثم قال: يا محمد عهد بيني وبينك أن أعمي عليك الأخبار، وأرد عنك الطلب، ولا أمسك بسوء. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «**كيف بك يا سراقة إذا ألبسك الله سواري كسرى**»؟! قال: كسرى بن هرمز؟! قال: «**نعم كسرى بن هرمز**»(4). كما تقول لواحد من الأعراب من البادية: كيف بك إذا دخلت البيت الأبيض وجلست على كرسي كلينتون(5)؟!

---

(4) انظر قصة الهجرة في: «الجامع الصحيح» للبخاري، كتاب «مناقب الأنصار»، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة. وانظر أيضًا: «إمتاع الأسماع» للمقريزي (42/1) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، طبعة الشؤون الدينية في قطر.

(5) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية السابق.

وفعلًا في عهد عمر بن الخطاب جاءت الغنائم من فارس، وكان فيها سوارا كسرى، فنادى عمر بن الخطاب: أين سراقة بن مالك؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين، فقال: أتذكر يوم قال لك النبي صلى الله عليه وسلم كذا وكذا؟ فقال: نعم أذكره ولا أنساه، فقال: تعال ألبسك سواري كسرى. فالبسه سواري كسرى، وقال: الحمد لله الذي أذل بالكفر كسرى بن هرمز وأعز بالإسلام سراقة بن مالك، أعرابيًا بوالًا على عقبيه! هذا الأعرابي الذي لا يعرف حتى آداب البول يلبس سواري كسرى.

هذا درس آخر: درس الأمل، النبي عليه الصلاة والسلام وهو خارج مطارد من مكة لم يغب عنه الأمل لحظة أنه منصور ... أن النصر آت لا ريب فيه ... أن أمته ستفتح ممالك كسرى وقيصر، وقد حقق الله له ما وعده.

يا أيها الإخوة: علينا أن نقف لنعتبر بحدث الهجرة نأخذ منه الدروس، دروس السعي لإقامة الدولة والمجتمع المسلم، الدروس للتخطيط الذي يرتب الأمور على حسب ما يقدر البشر، ويدع الباقي لله، وهو درس «التوكل»، الدرس الآخر درس «الأمل»، أننا لا نيأس أبدًا، لا نيأس من روح الله وإن ادلهمت الخطوب، واشتدت الكروب، وتفاقمت ظلمات الليل، فإننا نؤمن إيمانًا لا ريب فيه أن بعد الليل فجرًا، وأن مع العسر يسرا، وأن دوام الحال من المحال: **{إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يسبح له ما في السموات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا ونبينا محمدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. ورضي الله عمن دعا بدعوته، واهتدى بسنته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

وقفه مع حال الأمة الإسلامية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

تحدثنا عن وقفة المسلم على رأس العام الجديد، وينبغي أن نتحدث عن وقفة الأمة على رأس العام، ماذا قدمت أمتنا؟ وماذا صنعت؟ وماذا صنع بها خلال هذا العام؟

إنه عام حافل، ولكنه للأسف حافل بالمآسي، حافل بالمصائب، حافل بالهموم. نحن نعيش عصر الهموم والأحزان، ولكن هذا العصر لن يدوم إن شاء الله، سيتحول الحزن فرحًا، وستتحول المصائب إلى نعم إن شاء الله، والمحن إلى منح.

في هذا العام استأسدت إسرائيل على العرب والمسلمين، أظهرت قوتها ومدت ذراعها الطويلة، نالت المجاهدين هنا وهناك، قتلت فتحي الشقاقي، قتلت يحيى عياش، اعتقلت من اعتقلت، وسجنت من سجنت، وهددت

وتوعدت. وحينما رد المجاهدون استطاعت أن تجمع ثلاثين من دول العالم في شرم الشيخ لتحارب ما تسميه «الإرهاب»!.

من يدافع عن وطنه إرهابي! ومن يغتصب الأوطان التي لم يكن له فيها شبر واحد ليس إرهابيًا! انظروا إلى هذا المنطق، كأن هذا العالم انقلبت موازينه، واختلت مقاييسه، فأصبح يسمى الأشياء بغير أسمائها، بل بعكس أسمائها! أصبح الأحرار الشرفاء الذين يجودون بأرواحهم من أجل الدفاع عن أنفسهم إرهابيين أو انتحاريين! وأصبح القتلة الذين فعلوا ما فعلوا من الجرائم طوال تاريخ طويل هم الشرفاء المسالمين!.

في هذا العام فقدنا رجالًا والرجال قليل: فقدنا الشيخ الغزالي، فقدنا الشيخ جاد الحق شيخ الأزهر، فقدنا الشيخ خالد محمد خالد.

في هذا العام لا تزال الحروب بين المسلمين وأعدائهم مستمرة، في كشمير، وفي الفلبين، لا تزال الحروب قائمة.

قضية البوسنة نرجو أن تحل، وقد بدت البشائر، وإن كان هناك غيوم تحوم حولها.

قضية الشيشان فقدوا قائدهم «جوهر دوداييف»، اغتاله المغتالون.

الإخوة في أفغانستان لا زالوا يقتتلون والإخوة في الصومال لا زالوا يتقاتلون ويتصارعون، لا زالت الأحداث الدامية المؤسفة في الجزائر وفي مصر، لا زالت في كثير من البلاد أشياء كثيرة، والذين يتمتعون ويتفرجون على العالم العربي والعالم الإسلامي هم الصهاينة وحلفاؤهم من الصليبيين، الذين أصبحوا أطوع لهم من الخاتم في الإصبع، هذا ما رأيناه للأسف.

مؤامرات اليهود ضد المسلمين:

اليهود يتفرجون على ما يجري لأمة الإسلام، ويريدون أن يزيدوها تمزقًا وتفرقًا، حتى يعادي بعضهم بعضًا، بل يقتل بعضهم بعضًا.

لا زلنا من بعد حرب الخليج - وإلى اليوم - في صف ممزق وأمة لا تعرف أخوة الإسلام، ولا وحدة العرب، ولا وحدة التاريخ، ولا وحدة المصير، ولا وحدة الدين واللغة والأرض والمصلحة، لا زلنا نعاني هذا إلى اليوم.

ولذلك يتفرج علينا الإسرائيليون ويشمتون بنا، ويزيدون النار وقودًا، ويهددون ويتوعدون هم وحلفاؤهم كل من خرج على خطهم ولو قيد أنملة، إيران لأنها تحاول أن تملك مفاعلًا نوويًا سلميًا تهدد، باكستان لأنها تحاول أن يكون لها مثل ما للهند من امتلاك قنبلة نووية تهدد، السودان يهدد وترتب له الأمور وتفرض عليه العقوبات، العراق لا زال مفروضًا عليه الحصار، ليبيا لا زالت تحت الحصار، الأمة كلها تحت الحصار.

ثم رأينا في الأيام الخيرة ما نشرته صحيفة «الوطن» القطرية منذ أيام وصحيفة «الخليج» الإماراتية، من تهديد رابطة الدفاع اليهودية، هذه الرابطة التي أسسها ذلك الحاخام الإرهابي المعروف «مائير كاهانا»، هذه الرابطة تقول: سنجز رؤوس المسلمين، سنقتل المسلمين في مساجدهم، سنضرب قياداتهم في المساجد والمراكز الإسلامية، سننتقم من عائلاتهم، سنفعل ما نفعل. ولا بأس أن أقرأ عليكم بعض ما جاء في هذا التحذير الذي أرسل إلى كثير من الشخصيات الإسلامية، وإلى كثير من المراكز الإسلامية، وإلى

كثير من المساجد الإسلامية، خصوصًا في بريطانيا وأمريكا، حتى إن رجال الأمن في البلدين يحققون في هذا الأمر، ويريدون أن يعرفوا أهذا الأمر جد أم هزل؟

تحذير من رابطة الدفاع اليهودي:

«إلى الذين شاهدوا قوتنا في الأيام الأخيرة في لبنان، تحذير لن يتكرر، إلى كل النشطاء الإسلاميين وعائلاتهم، وقياداتهم الدينية في مساجدهم ومكاتبهم، ورجال جمع التبرعات في الغرب: نحن الحكومة هنا، ولكي تتأكدوا انظروا إلى الموجودين في الحكومة الأمريكية، أو في مجلس الشيوخ - الكونجرس - والنواب الأمريكي، وانظروا إلى الذين يؤيدوننا في الحكومة البريطانية،، وانظروا إلى الذين تسمونهم زعاماتكم كيف يهرولون بيأس بالغ ليصنعوا السلام معنا، سلامنا نحن الذي أردناه يصنعونه مع قيادتنا في إسرائيل.

لقد انتظرنا هذه اللحظة طويلًا، لدينا الآن سلامنا وسيطرتنا على الحكومات من حدود سوريا وحتى نهر النيل، مرورًا بجبال لبنان والصحراء العربية، كما وعد بها الشعب اليهودي: إسرائيل الكبرى.

إننا ننمو يومًا بعد يوم، ونزداد معها قوة يومًا بعد يوم، بينما يزداد المسلمون ضعفًا. عما قريب ستشاهدون انتقامنا في مجتمعاتكم، نحن نعرف أعداءنا ونعرف كيف نتعامل معهم.

اصنعوا السلام الآن، أوقفوا كل نشاطاتكم داخل الجامعات والجوامع، أوقفوا كل المتحدثين باسمكم الآن، توقفوا عن معارضتنا، وإلا فما حدث في

لبنان سيتكرر في مساجدكم ومع عائلاتكم ومع زعاماتكم، خذوا هذا التحذير بجدية.

نحن نتحكم في الاقتصاد والسياسة في هذه الدول، ولا أحد يجرؤ على مهاجمتنا بعد الآن. من كان يجرؤ على انتقادنا فيما حصل في لبنان؟ حتى الأمم المتحدة والولايات المتحدة وحتى بريطانيا كلهم معنا، جزء منا، لم يعد هنا المزيد من اليهود الضعفاء الذين يعدون للذبح. نحن الآن نذبح أعداءنا كما وعدنا، ذراعنا طويلة، وإذا ما هوجم شعبنا خارج إسرائيل سوف نرد ضد المسلمين في العالم، ففرقنا المدربة جاهزة، وهي مدربة في كل مكان احذروا أيها المسلمون، حياتكم ملك لنا تمامًا مثل الخراف للجزار»! انتهى.

هكذا يقولون، اليهود يهددون المسلمين. ونقول لهؤلاء: إن المسلمين لا يهددون، إن المسلم الحق لا يبالي في سبيل ما يؤمن به: أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، إما أن يعيش سعيدًا، وإما أن يموت شهيدًا: **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ}** [التوبة: 52].

إن المسلمين لا يخافون مثل هذه التهديدات الفارغة، إنها فرقعة في الهواء، وليكن ما يكون. نحن المسلمين قادرون على أن نرد على هؤلاء إذا تطاولوا واعتدوا على المسلمين، ومساجد المسلمين، ومقدسات المسلمين، وعائلات المسلمين، وزعامات المسلمين في الغرب.

المسلمون في الغرب يريدون أن يعيشوا مسالمين في مجتمعهم، وأن يكونوا جزءًا من المجتمع. قد حضرت مؤتمرًا في فرنسا - حضره ثلاثون

ألفًا ـ كان عنوانه: الاندماج في المجتمع، وقلت لهم: إننا لا يجوز أن نعيش في عزلة عن المجتمع من حولنا، نندمج في المجتمع ونؤثر فيه، ولكن لا نذوب فيه، أي لا نتنازل عن ثوابتنا: عن عقائدنا وشعائرنا وقيمنا الأساسية بأي شيء، ولا بملك المشرق والمغرب، ولكننا نندمج في المجتمع.

المسلمون في الغرب يريدون أن يعيشوا في المجتمع عاملين نافعين منتفعين، ولكن إذا أريد منهم أن يركعوا أو يخنعوا أو يخضعوا، فلن يفعلوا، لأن دينهم يفرض عليهم أن يكونوا أعزاء ولا يركعوا إلا لله: **{وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}** [المنافقون: 8].

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرض عنا وأرضنا.

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيلك، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، وعلى الصربيين الحاقدين، وعلى الوثنيين المتعصبين، وعلى جميع أعدائك أعداء الدين، اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين ولبنان، وفي البوسنة

والشيشان، وفي كشمير والفلبين، وفي كل مكان في سائر أرضك يا رب العالمين.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنًا، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله: يقول الله تعالى: {إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

2- سلام النفس بالإيمان

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

جعلت الأمم المتحدة هذا العام عامًا سمته: عام ثقافة السلام، على الناس أن يشيعوا ثقافة السلام بدل ثقافة الحرب.

ونحن أول من يرحب بالسلام، إذا كان سلامًا حقًّا ... سلامًا عادلًا، يعطي كل ذي حق حقه، ويرد الظالم عن ظلمه، والمغتصب عن غصبه.

الأمة الإسلامية أمة السلام، والدين الإسلامي دين السلام، ولكنه السلام الحق، ليس السلام المزيف، ليس السلام الذي يضحك به على الناس، ليس السلام الذي يعطي اللص ما سرق ويرضي صاحب الدار بأدنى شيء.

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

نحن - المسلمين - نرحب بالسلام الحقيقي كل الترحيب، صحيح أنهم يتهموننا - نحن المسلمين - بأننا أمة حرب، وأن الأمة الإسلامية لا تعرف إلا السيف، وأن دينها إنما انتشر بالسيف، وهذا كذب على هذه الأمة، وافتراء على هذا الدين، فالسيف لا يفتح قلبًا ولا عقلًا، قد يفتح أرضًا، ولكن من الذي يفتح العقول والقلوب لتؤمن؟ إنها الدعوة وليس السيف.

الإسلام إنما شهر السيف في وجه أعدائه، الذين حاربوه بالسيف وبالعنف من أول يوم. كان رفع الإسلام للسيف دفاعًا عن نفسه - عن حرماته - عن الدعوة التي صدوا عن سبيلها ووقفوا في وجهها.

كان هذا ما فعله الإسلام.

ظل المسلمون ثلاثة عشر عامًا في مكة تُصب عليهم سياط العذاب، يجرعون الصاب والعلقم، يؤذن من كل جهة. وكانوا يأتون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج ومجروح، ويقولون له: يا رسول الله إئذن لنا أن نحمل السلاح لندافع عن أنفسنا، فيقول لهم: كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة.

حتى أذن الله لهم بعد الهجرة أن يدافعوا عن أنفسهم، ونزل قوله تعالى: **{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ 39 ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ}** [الحج: 39، 40].

المسلمون هم الذين اضطهدوا، وظلموا، وأوذوا، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق، وبغير ذنب اقترفوه، **{إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ}**، كانت جريمتهم: إعلان التوحيد ... رفض الأصنام رفض هذه الآلهة الزائفة التي لا تملك لأحد ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا. كان ذنب المسلمين: أنهم قالوا: ربنا الله، وديننا الإسلام.

الإسلام دين السلام:

لهذا نقول: إن الإسلام هو دين السلام حقًّا، وهو لم ينتصر بالسيف، كما زعم الأفاكون، بل انتصر على السيف، الذي شهر في وجهه، الله تعالى يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ}** [البقرة: 208] «السلم» هنا هو الإسلام، عبر عن الإسلام بالسلم لأنه سلام للإنسان، سلام له في نفسه، سلام له في بيته، سلام له في مجتمعه،

سلام له فيمن حوله، هذا هو دين الإسلام.

من أسماء الله تعالى في الإسلام: السلام، الله تعالى هو: {ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ} [الحشر: 23] ولذلك اشتهر المسلمون بين الأمم أن فيهم هذا الاسم: عبد السلام، أي: عبد الله، الله هو السلام. والجنة دار «السلام»، {لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ} [الأنعام: 127].

وتحية المسلمين في الدنيا والآخرة: السلام، يلقى المؤمن أخاه فيقول له: السلام عليكم، ويرد عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وفي الآخرة: {تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞ} [الأحزاب: 44].

والمسلمون إذا حاربوا يستجيبون لدعوة السلام إذا كانت في موضعها {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ} [الأنفال: 61].

الإسلام دين السلام.

السلام النفسي:

ويبدأ السلام أول ما يبدأ في نفس الإنسان المؤمن، إذا أردت أن تقيم سلامًا حقًا فابدأه من الفرد ... من اللبنة الأولى ... من البذرة الأولى، أقم السلم في نفس الإنسان ... في ضمير الإنسان ... في كيان الإنسان الداخلي الباطني، حتى لا يحدث نزاع بينه وبين نفسه ... صراع بينه وبين فطرته، أطفئ هذه الحرب، أقم سلامًا داخليًا في نفس كل مؤمن، وهذا ما صنعه الإسلام.

الإسلام أقام هذا السلام النفسي بعقائده التي لا نظير لها، وأول هذه العقائد: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بوحدانيته، أنه رب كل شيء وخالق كل شيء، ومدبر كل أمر {أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الأعراف:

54] وأن تؤمن بأن له الكمالات العلى، والأسماء الحسنى **{وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا}** [الأعراف: 180] فهو العليم الحكيم، وهو الرحمن الرحيم، وهو البر الكريم، وهو الرازق والمحيي والمميت، وهو الملك القدوس السلام هذه العقائد هي التي تقيم هذا السلام في ضمير الإنسان المؤمن.

المؤمن يجد هذه الراحة وهذا السلام في فطرته، فكل مولود يولد على الفطرة ... على المعرفة بالله ... على الإيمان بالله ... على وحدانية الله **{فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ}** [الروم: 30] ليست هذه من صنع الإنسان، ولا من تلقين الإنسان، ولا من التعليم المكتسب للإنسان. لو تركت الإنسان وحده لا بد أن يفكر في هذا الأمر، سيجد أن في فطرته جوعًا لا يشبعه إلا المعرفة بالله، وفيه ظمأ لا يرويه إلا المعرفة بالله، وفيه وحشة لا يؤنسها إلا المعرفة بالله عز وجل، وفيه فراغ لا يسده إلا المعرفة بالله سبحانه وتعالى.

الإيمان وفطرة الإنسان:

الإيمان بالله تعالى فطرة، حتى إن أحد الملاحدة العرب قال كلامًا مرة في غاية القوة، والمنافق - كما جاء عن معاذ رضي الله عنه - قد يقول كلمة الحق، قال: لا تصدقوني إذا شككت في الإيمان أو شككت في وجود الله، الحقائق أقوى من الألفاظ والكلمات، أتصدقونني إذا قلت لكم: إني لست حيًّا وأنا أمامكم، أتكلم وأسمع وأبصر؟ لا تصدقوني إذا شككت في الإيمان، الإيمان أقوى مني، أي إن إيماني يساوي وجودي، أنا مؤمن إذًا أنا موجود، أنا أفكر إذًا أنا مؤمن، أنا إنسان إذًا أنا مؤمن!! هذا ما قاله هذا الملحد المعروف، كلمات حق نطق بها.

الإنسان لا يمكن أن يتخلى عن الإيمان، وإذا تخلى عن الإيمان بحث له عن إيمان آخر، وإذا تخلى عن رب الأرباب بحث له عن أرباب أخر يعبدهم من دون الله عز وجل، وهذا ما رأيناه.

ولذلك رأينا الملحدين دائمًا مشركين، يشركون مع الله آلهة أخرى.

والإلحاد ضد الفطرة، الفطرة تعني الإيمان، والإلحاد خروج على الفطرة. ولذلك كان الملاحدة طوال التاريخ قلة لا يقام لها وزن، وكانت دعوات النبيين ضد الشرك، كل الأنبياء دعوتهم الأولى: **{يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ}** [الأعراف: 59] فكانت فتنة الأقوام والأمم هي الإشراك بالله تعالى وليست الإنكار لوجود الله عز وجل، فالذين ينكرون وجود الله وهم ممارون بالباطل مشككون في الحقائق.

ومن هنا نقول: إن الإيمان يشبع هذه الفطرة التي تتطلب معرفة إله فوق هذا الكون يسيره ويدبره، وبهذا يستريح الإنسان المؤمن إذا هدي إلى فطرته، ولم يتنكر لهذه الفطرة. وهو بهذا يجيب عن الأسئلة القديمة الجديدة التي حيرت الإنسان منذ بدأ يفكر من قديم، وهي الأسئلة الخالدة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟

من أين جئت وجاء هذا الكون من حولي؟ من الذي أوجد هذا العالم الكبير علويه وسفليه من الذرة إلى المجرة؟

وإلى أين؟ بعد هذه الحياة الحافلة بالخير والشر، والحلو والمر، والعدل والظلم والحسنات والسيئات، والسراء والضراء، إلى أين بعد ذلك؟ سنموت، هل الموت هو نهاية المطاف؟ أو بداية لمرحلة أخرى؟ هل خلقنا لهذه الأيام

المعدودة، ثم بعد ذلك ما هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع؟ أهذه هي الحياة وقصتها؟ أم إن وراء هذه الحياة حياة باقية أخرى، وخلودًا أبديًا يخلد الإنسان فيه في عمله؟ الملحدون ظنوها حياة قصيرة، يخلق الإنسان من التراب، ويأكل من التراب، ويمشي على التراب. ثم يدفن في التراب، وانتهت القصة **{مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ}** [الجاثية: 24].

أما المؤمنون فعرفوا أن الموت ما هو إلا رحلة جديدة إلى حياة جديدة، كما قال الشاعر الصالح:

وما الموت إلا رحلة غير أنها من المنزل الفاني إلى

وكما قال عمر بن عبد العزيز: إنكم خلقتم للأبد، وإنما تنقلون بالموت من دار إلى دار.

المؤمن إذن لا يعيش هذه الحياة القصيرة، إنه يعيش مع الخلود، إن عمره ممتد. هذا هو شأن الإنسان المؤمن، حياته ليست في هذا الزمن القصير. وعمله ليس في هذه الأيام المحدودة، إنه يعتقد أن لهذا العمل ثمرات في دار أخرى هي دار البقاء ودار الخلود.

المؤمن يعيش في معية الله:

والمؤمن لا يعيش وحده، إنه يعيش مع ربه، يشعر بهذه المعية ... أن الله معه حيثما كان، شرق أو غرب، أغور أم أنجد، أيمن أم أشأم، ذهب إلى الشمال أو سار إلى الجنوب، حيثما كان فالله معه **{وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ}** [البقرة: 115]، **{وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ}** [الحديد:4]، **{مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ**

وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ} [المجادلة: 7]. يشعر بهذه الصحبة ... بهذه المعية ... معية العلم والإحاطة، كما يشعر المؤمن بمعية خاصة أخرى، يمتاز بها على غيره: معية التأييد والنصرة، فيزداد قوة على قوة، وطمأنينة على طمأنينة، مهما ألمت به الحوادث، ومهما أدلهمت من حوله الخطوب، وتتابعت عليه الكروب، فإن معية الله تؤنسه في الوحشة وتنير له الظلمة.

انظروا إلى سيدنا موسى عليه السلام حينما جاء فرعون بجنوده، يتبعه هو وبني إسرائيل، حتى أوشكوا أن يمسكوا بهم، وقال أصحاب موسى حينما رأوا هذا ... البحر أمامهم والعدو من خلفهم: **{قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ}** سيدركنا فرعون وجنوده لا محالة. ماذا قال موسى عليه السلام؟ قال: **{قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}** [الشعراء: 61، 62] لن يدركنا فرعون ولا جنود فرعون { ... **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}** سيهديني إلى حل. لقد تذكر هذه الوصية الإلهية حينما أرسله الله هو وهارون إلى فرعون وقال: **{ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ 43 ... إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ}** [طه: 43 - 46] لم ينس موسى هذه الكلمة فقال: { ... **إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ}**، وهداه الله، قال: { ... **ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ}** [الشعراء: 63] وكانت نجاة موسى وغرق فرعون.

ووقع مثل هذا لسيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم حينما دخل الغار، اضطره قومه إلى الهجرة وأذن الله له في الهجرة وأراد أن يعمي عليهم فدخل غار ثور هو وصاحبه أبو بكر، وذهب القوم يبحثون عن محمد وصاحبه حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وأبو بكر مشفق خائف حزين يقول: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فيقول النبي صلى الله

عليه وسلم في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟!**»[6]، «**لا تحزن إن الله معنا**». أنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها، هذه السكينة سكينة النفس هي ثمرة من ثمرات الإيمان ... من ثمرات الشعور بمعية الله عز وجل، «**لا تحزنإن الله معنا**» وفعلًا كان الله معهما، وأيدهما بجنود لم يرها الناس.

المؤمن يشعر بمعية الله تعالى، فلا يحزن إذا حزن الناس، ولا يسخط إذا سخط الناس، ولا ييأس إذا يئس الناس، بل يعتقد أن الله معه، ومن كان الله معه فلن يضيع، لن يضيع إنسان معه رب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض **{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}** [المدثر: 31].

صحبة النبيين والمؤمنين طوال التاريخ:

المؤمن يشعر بمعية الله، ويشعر بصحبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه لا يعيش وحده، إنه يعيش في قافلة كبيرة ممتدة في التاريخ. تاريخه ليس تاريخ شخص، ولا تاريخ جماعة، ولا تاريخ أمة، بل هو تاريخ الإيمان منذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تاريخ طويل حافل ممتد الجذور، غائر في الأعماق.

إنه يعيش مع المؤمنين حيثما كان، ومع النبيين، إنه يعيش مع إبراهيم حينما دخل النار وقال الله لها: **{يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ}** [الأنبياء: 69]. ويعيش مع يعقوب ويوسف، ويعيش مع موسى، ويعيش مع عيسى عليه

(6) متفق عليه. رواه البخاري (4663)، ومسلم (2381)، والترمذي (3096) عن أبي بكر الصديق.

السلامت، ويعيش مع الأنبياء جميعًا، ويعيش مع خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الغر الميامين، يعيش في صحبة هؤلاء جمعًا فيشعر بالأنس، يشعر بالأنس أنه ليس وحده، وأن هذه القافلة الإيمانية هم إخوة له **{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ}** [الحجرات: 10]. أسلم رجل أمريكي منذ سنوات، وشهد «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، سألته: ماذا كسبت من هذا الإسلام؟ قال: كسبت الهداية. قلت: نعم، كسبت الهداية، وكسبت كذلك أخوة أكثر من ألف مليون مسلم في العالم، هؤلاء كلهم إخوة لك، يحبونك، ويتمنون لك الخير، ويدعون لك، أخوة هذه الملايين من تعرفهم ومن لا تعرفهم، أنت تصحبهم صحبة روحية، ليسوا معك ولكنهم يدعون لك: **{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ}** [الحشر: 10]، نحن ندعو لمن سبقنا، وندعو في كل خطبة: اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.

هذه قوة روحية، مكسب ليس بالقليل ولا بالهين: أن تعيش في صحبة هذه الملايين ومئات الملايين من البشر.

أنس المؤمن بالوجود كله:

بل المسلم المؤمن يعيش في صحبة الوجود كله، يأنس بالوجود كله علويه وسفليه. كل هذا الكن يؤنسه، ليس هناك شيء عدو له، الله سخر له هذا الكون بسمواته وأرضه، وشمسه وقمره، ونجومه وليله ونهاره، وأنهاره وبحاره **{وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ}** [إبراهيم: 34]، [النحل: 18].

الكون مع الإنسان المؤمن، إنه ساجد لله كما تسجد **{وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي**

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ} [النحل: 49]، إنه مسبح بحمد الله كما تسبح {**يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...**} [الحشر: 24] [الجمعة: 1]، {**تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ**} [الإسراء: 44]. هذا الكون ساجد مسبح بحمد الله، فهو معك، وهو لك إذن وليس عدوًا لك.

الغربيون يقولون عن انتصارهم في علوم الطبيعة: قهرنا الطبيعة! استطعنا بالعلم الحديث أن نقهر الطبيعة، كأنها عدو تحاربه ويحاربها، فهو يقهرها وينتصر عليها، الإسلام لا يعتبر الطبيعة عدوًا للإنسان، الطبيعة من خلق الله، هي مسخرة للإنسان، والنبي صلى الله عليه وسلم عبر عن هذه العلاقة الودودة بين الإنسان وما حوله حينما قال عن جبل أحد: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»(7)! مع أن المسلمين انكسروا بجوار أحد في غزوة أحد، ولكن هذا لم يورث النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا ضد هذا الجبل. هذا هو الإنسان المؤمن.

الملائكة جند الله المبثوثون في هذا الكون في سمواته وأرضه، هؤلاء مع المؤمنين، الله عع سخرهم ليدعوا للمؤمنين ويستغفروا للمؤمنين، هذا الجند الهائل الذي لا يحصيه إلا الله يقول الله تعالى عنهم: {**ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ 7 رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ**

---

(7) رواه البخاري في« صحيحه» عن أنس بن مالك رضي الله عنه، كتاب المغازي، حديث (4083).

وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ 8 وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ} [غافر: 7 - 9].

الملائكة مشغلون بالدعاء للمؤمنين! أي فضل أعظم من هذا الفضل؟

نعمة اليقين والسكينة:

المؤمن يعيش في هذه المعاني ... في هذه المشاعر ... في هذا الجو المليء بالنفحات ... في هذا الجو الرباني الذي لا يعرفه أهل الإلحاد ولا أهل الشك ولا أهل الجحود. هذا هو السلام الحقيقي.

نجا المؤمن من عذاب الحيرة وجحيم الشك التي يعانيها هؤلاء الذين لم يرضوا بالله ربًا، ولم يرضوا بالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

الإنسان المؤمن سعد بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، حين عرف الغاية، وعرف الطريق.

الغاية هي: رضوان الله تعالى ومثوبته، والطريق هو: المنهج الذي رسمه محمد صلى الله عليه وسلم بما أوحى إليه من ربه **{ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}**، الذي يدعو المؤمن به ربه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل: **{ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}** [الفاتحة: 6].

عرف الغاية، وعرف الطريق، فاستراح. استراح من الشك، واستراح من الحيرة. الشاعر المهجري الذي يقول في قصيدته التي سماها «الطلاسم»:

جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

وسأبقى سائرًا إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!

ولمـــاذا لست أدري؟ لسـت أدري!

لا يدري من أين جاء، ولا كيف جاء، ولا أين يذهب! ولماذا ليس يدري؟ ليس يدري! فهو يعيش في عذاب الشك.

المؤمن نجا من عذاب الشك حينما وقف على عتبة الإيمان، ووضع يده في يد الله، فأنار له الطريق، وهداه سواء السبيل، ومضى راضيًا مرضيًا، رضي الله عنه، ورضي عن ربه، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

المؤمن بهذا يعيش في سلام، هذه هي حقيقة السلام، السلام يبدأ من هنا، يبدأ من ضمير الإنسان ... من داخل الإنسان ... من باطن كيان الإنسان، هذا هو السلام، سلام الإيمان ... الإيمان الحق، الذي لا يقوم على الخرافات ولا الأباطيل ولا يلغي العقل، بل هو قائم على العقل وعلى الوجدان.

الوحي عندنا ليس ضد العقل، لا، بل النقل عندنا قائم على العقل، لأننا بالعقل عرفنا الله، وبالعقل عرفنا صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فلا تناقض عندنا بين عقل ونقل ولهذا نمضي في طريقنا مستمسكين بالعروة الثقى لا انفصام لها، مؤمنين بأننا على الحق المبين، كما قال الله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: **{فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ}** [النمل: 79]، **{فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ}** [الزخرف: 43].

نحن على الحق المبين، ونحن على الصراط المستقيم، والحمد لله رب العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

السلام الأعور:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كنا نظن الأمم المتحدة - التي دعت إلى ثقافة السلام، واعتبرت هذا العام عام السلام وثقافة السلام، كنا نظنها أنها - ستقف مع الحق دائمًا ومع السلام العادل، ولكن لا زالت الأمم المتحدة يسيطر عليها الأقوياء، تسيطر عليها القوة الأولى المتفردة الآن في العالم: قوة أمريكا، فهي التي تسير الأمم المتحدة، وإذا أرادت شيئًا فسرعان ما تجند الأمم المتحدة وأجهزتها ومؤسساتها في خدمة ما تريد.

كما رأيناهم أسرع ما يكونون إلى إرسال القوات الدولية إلى «تيمور الشرقية»، هذا البلد الذي هو جزء من إندونيسيا المسلمة. ولكنهم يسوؤهم أن يكون هناك بلد مسلم بهذا الحجم «أكثر من مائتي مليون»، فيريدون أن يقتطعوا من هذا الجسد عضوًا بعد عضو، هذه مؤامرة خبيثة.

وقد اضطرت إندونيسيا أمام ظروفها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية أن تقبل هذا الأمر.

ونرى الأمم المتحدة تسكت عما يجري الآن للشيشان، من ضرب هذه الجمهورية الإسلامية من فوق ومن تحت، ومن السماء ومن الأرض، وبالطائرات والدبابات، فأين صوت الأمم المتحدة؟!

ثم أين صوت الأمم المتحدة في قضية فلسطين؟ وقضية فلسطين ستظل هي الجرح الذي ينزف، ولقد تكلمنا وتكلمنا، وسنظل نتكلم ونتكلم.

منذ نحو ستين عامًا وأنا أتكلم عن قضية فلسطين، منذ كنت طالبًا في المرحلة الابتدائية، ولا زالت القضية تنتقل من سيء إلى أسوأ. صحيح أنهم وقعوا على اتفاقات، ولكن على سوء هذه الاتفاقات نرى الإسرائيليين لا ينفذونها، إنهم يتلاعبون بالفلسطينيين، وستبدي الأيام كما قال الشاعر العربي القديم:

ستبدي لك الأيام ما كنت ويأتيك بالأخبار من لم تزود

سنرى أن «باراك» ليس خيرًا من «نتنياهو»، وكما قال الشاعر:

وليس فيهم من فتى مطيع فلعنة الله على الجميع

إنهم من طينة واحدة، وإن أهدافهم واحدة، وإنما تختلف الأساليب، هذا أسلوبه ناعم وهذا أسلوبه خشن، هذا أسلوبه مباشر وهذا أسلوبه غير مباشر، ولكن الجميع يريدونها «إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ومن الأرز إلى النخيل» أي من لبنان إلى المدينة وخيبر! هذه أحلامهم، وهذا ما يخططون له، فماذا نفعل نحن؟

إنهم يقفون جبهة واحدة. إسرائيل متفرقة في داخلها، يهودها جاؤوا من المشرق والمغرب، ومن الشمال ومن الجنوب، هناك اليهود الأوربيون،

واليهود الشرقيون ويهود الفلاشا، وغير هؤلاء، ولكنهم مع هذا التفرق والخلاف تماسكون فيما بينهم. الله تعالى يقول: {**بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ**} [الحشر: 14]، قلوبهم شتى ولكن يظهرون للناس أنهم مجتمعون تجمعهم المصلحة المشتركة.

أما نحن فللأسف قلوبنا شتى، وأيدينا شتى، وألسنتنا شتى، ومواقفنا شتى. يأكل بعضنا بعضًا، ولم نستطيع أن نقف وقفة رجل واحد في هذه المعركة الكبيرة.

حتى إن أخواتنا من قيادة «حماس» والمكتب السياسي لحماس، رأينا ما جرى لهم، وقد وسعهم الأردن من سنوات طويلة، وبينهم وبين الملك الراحل الحسين اتفاقات، وقد رأينا موقف الملك حسين من أخينا المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي وما جرى له، هذا موقف يذكر للرجل، ومن واجبنا أن نقول للمحسن: أحسنت.

فماذا حدث حتى يعتقل قادة حماس؟ ما الذي جرى والقوم هم القوم، والعمل هو العمل، والهدف هو الهدف؟ أيجوز لنا أن يأكل بعضنا بعضًا إلى هذا الحد؟

إن أملنا في الملك الشاب عبد الله بن الحسين أن ينظر نظرة عاقلة حكيمة إلى هذا الأمر، ويداوي هذا الجرح بما يليق به.

لا يجوز أن نقدم هدية رخيصة إلى إسرائيل باعتقال قادة حماس، وما أمسكوا بقنبلة، ولا أطلقوا رصاصة، ولا حملوا مدفعًا، فإذا وجدتم ثلاثة مسدسات، أهذه أسلحة يقال عنها: إننا ضبطنا أسلحة؟! هذا أمر لا يقبل.

أملنا في الملك عبد الله، وأملنا في رئيس الوزراء الأديب الشاعر الدكتور الروابدة، وفي العقلاء من أبناء الأردن: أن يداووا هذه القضية بما يليق بها من حكمة وصواب.

إننا كل يوم ننهزم أمام إسرائيل، وآخر الهزائم: موقفنا في «ديزني لاند» هذه. نادى الوزير الشاب عبد الله بن زايد آل نهيان بأن يقاطع العرب «ديزني»، واستجاب العرب في أول الأمر، وتجاوبت الجامعة العربية وسمعنا من الأمين العام كلامًا طيبًا، ووقف وزراء الخارجية حينما التقوا في القاهرة موقفًا جيدًا، ثم سرعان ما تهاوى هذا كله، حينما ذهبوا إلى الأمم المتحدة وإلى نيويورك، فتغير الموقف، وسلموا لإسرائيل!! وافتتحت إسرائيل منذ يومين جناحها في هذا، وقال سفيرها هناك: إن القدس هي العاصمة الدائمة والموحدة لإسرائيل، وهي قلبها النابض! ولم يبالوا بالعرب. تركوا اللافتة، ولكن المضمون الذي يستمر خمسة عشر شهرًا ويعرض على العالم، يلغي التاريخ العربي والإسلامي من القدس، ويجعل القدس يهودية ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا!!

وما كان اليهود في القدس إلا سنين معدودة، كان العرب قبلهم من أيام اليبوسيين والكنعانيين، وبعدهم منذ أربعة عشر قرنًا أو تزيد إلى اليوم.

اليهود - أو الإسرائيليون - حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحينما خرجوا منها لم يتركوها فارغة، إنها كانت عامرة بأهلها من أهل فلسطين، وهي لا تزال عامرة بأهلها من أهل فلسطين، ولكن هكذا ينتصر الباطل لأن أهل الحق لم ينصروه.

الحق لا ينتصر وحده، إنما ينتصر بأهله، كما قال الله تعالى لرسوله: **{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ 62 وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ}** [الأنفال: 62، 63] المؤمنون المترابطون المؤتلفون هم الذين ينصرون الحق.

نسأل الله تعالى أن يؤيدنا بروح من لدنه.

اللهم انصرنا نصرا مؤزرًا، وافتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم شتت شملهم، وأحبط مكرهم، وادرأ عنا شرهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أخذ عزيز مقتدر.

وصل الله على عبد ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

3- أمتنا لن تموت[8]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

آثرت الصمت حينًا:

لا أكتمكم أني كنت قد أحببت أن ألتزم الصمت إزاء ما يجري في منطقتنا العربية والإسلامية من أحداث عصيبة، وتحركات رهيبة، وسياسات عجيبة، تذهل عقل الإنسان، وتدع الحليم حيران.

كنت أحببت أن ألتزم الصمت في هذه الآونة، وأدع الأمور تجري في أعنتها، وربما كان الصمت في بعض الأحيان أبلغ من الكلام، والعرب قديمًا قالوا: لسان الحال أبلغ من لسان المقال.

كنت أحببت أن ألتزم الصمت إزاء ما يجري في هذه المنطقة من أحوال، وفي الحديث: «**من صمت نجا**»[9]، وفي الأمثال: «إذا كان الكلام من فضة

---

(8) كان لهذه الخطبة وقعها وأثرها البالغ على من سموها، حتى سماها بعضهم «خطبة العصر»! وقد ألقيت في ربيع سنة 1996م.

(9) رواه أحمد والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهب، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة. قال النووي في «الأذكار» بعدما عزاه للترمذي: إسناده ضعيف وإنما ذكرته لأبينه لكونه مشهورًا. وقال الزين العراقي: سند الترمذي ضعيف، وهو عند الطبراني بسند جيد. وقال المنذري: رواة الطبراني ثقات. وقال ابن حجر: رواته ثقات.

ومعناه كما ذكر العلامة المناوي: من صمت عن النطق بالشر نجا من العقاب والعتاب يوم المآب. انظر: «فيض القدير» للمناوي (171/6) برقم (8819).

فإن السكوت من ذهب».

وقديمًا قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان   لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه   كانت تهاب لقاءه الشجعان

كنت آثرت أن ألتزم الصمت، وأن أدع هذا المنبر، لولا أن كثيرًا وكثيرين وكثيرات من إخواني وأخواتي، وأبنائي وبناتي، وتلاميذي وتلميذاتي، اتصلوا بي وألحوا علي أن أتكلم. قالوا: إن النار تتقد في صدورنا، إننا نغلي من الغيظ والغضب مما يجري من حولنا، ونريد أن تطفئ هذه النار في قلوبنا بكلمة حق نسمعها أمام الضجيج من الباطل الذي نسمعه من هنا وهناك في كل مكان، وإزاء هذا الصمت الرهيب مما يجري من حولنا. وأنا رجل أضعف أمام الإلحاح، فنقضت ما كان بيني وبين نفسي.

لم يمنعني أحد من المنبر:

وأكد لي هذا الأمر: أن هناك إشاعات لا أساس لها من الصحة شاعت بين الناس، قالت: إني منعت من هذا المنبر، وإني طلب مني أن أصمت ولا أتكلم، وهذا ليس بصحيح بالمرة، ما منعني والله أحد. وأنا أشهد للحق وللتاريخ - ولي خمس وثلاثون سنة في هذا البلد أخطب وأحاضر وأدرس وأحدث - ما منعني أحد قط من كلمة أقولها، ولا وضع لي خطوطًا حمراء، ولا قال لي مسؤول كبير أو صغير: هذا من حقك، وهذا لا يجوز لك. ما حدث هذا من قبل وأنا في الثلاثينات من عمري، فهل أمنع وأنا ابن السبعين؟! ليس هذا بصحيح أيها الإخوة.

لهذا أردت أن أعود إلى هذا المنبر، لم أرد أن أسد أذنًا من طين وأذنًا من عجين - كما يقولون - إزاء ما يجري في منطقتنا من أحداث رهيبة، أحداث تشيب لها الولدان، وتقشعر من هولها الأبدان، ما يجري من حولنا في لبنان، وما يجري في فلسطين.

الغارة الوحشية على لبنان وصمت العرب:

الغارة الوحشية على لبنان، الغارة التي قتلت الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين العزل الأبرياء، الصواريخ من الجو، والدبابات أو المدفعية الثقيلة من تحت، كل هذا يدمر ويخرب ويقتل ويذبح.

وإسرائيل تفعل ذلك علانية، جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا، تستذلنا، تهيننا، لا تجد فينا عرقًا ينبض، ولا نفسًا يتردد، ولا حتى احتجاجًا قويًا. لا تجد صراخًا من العرب، صراخًا يوقظ النعسان، ويحرك الكسلان، وينبه الغفلان، ولكنها أصوات هامسة، والهمس ينيم اليقظان.

صوت هامس يهمس به العرب، احتجاجًا حيية خجولة يقولونها، وكل منهم خافض الصوت، مطرق الرأس، غاض البصر، أدبًا وحياءً مع إسرائيل، ومع من يسندون إسرائيل! أين هذا يا عرب يا عادة السلام؟ السلام الذي عارضناه من أول الأمر؛ لأنه ليس سلامًا، بل هو استسلام لما تريده إسرائيل في المنطقة.

يا عرب! يا أبناء عدنان وأبناء قحطان! يا ورثة الأبطال الفاتحين! يا ورثة خالد وأبي عبيدة وعمرو! يا أبناء التاريخ المجيد! يا أحفاد الفاتحين! أين أنتم؟ أين احتجاجاتكم على ما يجري؟

قال أمين الجامعة العربي: إن العرب سيكيلون لإسرائيل الصاع صاعين! أين هذا؟! يا ليتهم يكيلون الصاع بصاع ... بنصف صاع ... بربع قدح ... بحفنة! إنهم لن يردوا على الصاع بشيء.

قمة شرم الشيخ لمكافحة الإرهاب:

أين الذين تنادوا يوم حدث ما حدث في «تل أبيب» و«القدس» و«عسقلان»؟ أين الذين نادوا بقمة عالمية دولية اجتمعت في «شرم الشيخ» لمكافحة «الإرهاب»؟ أي لمقاومة «الجهاد»!.

الإرهاب الذي زعموه هو «الجهاد»! الذين يجاهدون من أجل أوطانهم، ويبذلون أرواحهم وهم أسخياء بها، ويضعون رؤوسهم على أكفهم، من أولئك الشباب الذين لم يبالوا ما يصيبهم في سبيل الله:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا   على أي جنب كان في الله

الذين عقدوا قمة «شرم الشيخ» لمكافحة الإرهاب: قمة «صانعي السلام» كما سموها! أين هذا السلام يا قوم؟ أين هذا السلام وهناك مائة مدينة وقرية أجبر أهلها على النزوح منها في لبنان؟! أفرغت المدن والقرى من سكانها، ضربوا بالقنابل والصواريخ، حتى فروا من أوطانهم وديارهم هائمين على وجوههم، يبحثون عن مأوى فلا يجدون.

الشاعر العربي قديمًا يقول:

وكنت إذا قوم غزوني   فهل أنا في ذا يا لهمدان ظالم؟
متى تحمل القلب الذكي   وأنفًا حميًّا تجتنبك المراغم!

ولكن أين القلوب الذكية؟ وأين الأنوف الحمية؟ وأين الصوارم العربية،

حتى نفعل كما قال الشاعر؟! إن مجرد الاحتجاج القوي الصارخ لا نجده.

قالوا في اجتماع وزارء الخارجية: ندعو إلى عقد قمة عربية! أين القمة العربية؟ متى تجتمع القمة العربية هذه؟ وإذا اجتمعت ماذا تصنع؟ وهي مختلفة فيما بينها، ممزقة كل ممزق، هذا يشرق وهذا يغرب.

أين الأمة؟ أين الأمة؟ لا يوجد في هذه الأمة إلا أولئك الأبطال المستبسلون الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله.

ومع هذا يريد المسؤولون فينا أن يدينوا هؤلاء ... أن يجرموهم ... أن يصفوهم بأنهم إرهابيون! وهم الذين يرهبون عدو الله وعدوهم كما قال القرآن: **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ}** [الأنفال: 60].

أين أنتم يا عرب؟!

أين أمتنا العربية؟ أين أكثر من مائتي مليون من العرب وألف مليون من المسلمين؟ ولكن ماذا يصنع المسلمون إذا كان العرب أنفسهم - أهل الأرض والدار - لا يقدمون لأنفسهم ما ينبغي؟! إذا كان الفلسطينيون أنفسهم أصبح يعادي بعضهم بعضًا، ويسجن بعضهم بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا ولحساب من؟ لحساب إسرائيل، هذا ما كنا نخشاه: أن تسفك اليد العربية دم عربي آخر، وإن يرجع الناس كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، وهو ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم(10).

---

(10) قال عليه الصلاة والسلام: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه،

أين أنصار السلام الأعرج؟

أين هؤلاء الذين ناصروا السلام الأعرج الكسيح، الذي لا تجد له في الحقيقة أي أثر إلا حصار الفلسطينين؟ الفلسطينيون في غزة واريحا والضفة الغربية يعيشون في سجن كبير، لا يكادون يجدون القوت، لأنهم لا يجدون الدقيق الذي منه يعجنون ويخبزون، ولا يجدون الدواء، يموت الناس ولا يجدون الدواء، لا يجدون اللقاح لشلل الأطفال. لا يجدون من يشتري منهم ثمار زروعهم وكرومهم، فقد كانوا يصدرون منتجاتهم إلى إسرائيل وإلى أوربا عن طريق إسرائيل، وقد أغلقت إسرائيل عليهم الأبواب وأغلقت المعابر. أصبح الناس يتركون ثمارهم على الأشجار لأن أجرة جنيها أغلى من سعر بيعها.

أين هؤلاء الذين ناصروا السلام؟ أين هؤلاء الذين ذرفوا الدموع على «إسحاق رابين» والذين ذهبوا لجنازته مشيعين، ولأهله وقومه معزين؟! أين هؤلاء الذين استقبلوا «بيريز» فخورين، والذين قدموا إليه الهدايا مزهوين؟! أين هؤلاء الذين زعموا أن هناك سلامًا حقيقيًا؟ وما رأينا لهذا السلام عينًا ولا أثرًا، ولا رأينا له حقيقة واقعة في قلب ديارنا.

رأينا إسرائيل مدلة بقوتها، إنها وحدها تملك الترسانة النووية، تملك نحو

ورواه أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهب، ورواه البخاري والنسائي عن أبي بكرة رضي الله عنه، ورواه البخاري والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهب. قال المناوي: والمراد أن ذلك كفر لمستحله، أو كفر للنعمة، أو يقرب من الكفر، أو يشبه فعل الكفار ... أو أراد به: الزجر والتهويل. «فيض القدير» للمناوي (394/6) برقم (9767).

ثلاثمائة قنبلة نووية. إسرائيل وحدها قادرة على أن تكون أقوى من المنطقة العربية كلها، وهكذا تدللها أمريكا، وتعطيها المليارات بعد المليارات. وحينما زارهم «كلينتون» بعد مؤتمر «شرم الشيخ» تبرع لهم بنفحة قليلة: مائة مليون دولار! نفحة صغيرة بجوار المليارات التي تأخذها كل عام!

لم يعد لنا معتصم بغيث من يستغيث:

أين دعة السلام وأنصار السلام إزاء ما يجري الآن في عالمنا؟ أين أمة العرب؟ أين هذه الأمة؟ إننا لا نستطيع إلا أن نقول كما قال الشاعر «عمر أبو ريشة»:

أمتي هل لك بين الأمم   منبر للسيف أو للقلم؟
أمتي كم من صنم قدسته   لم يكن يحمل طهر الصنم؟!
رب وامعتصماه انطلقت   ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها   لم تلامس نخوة المعتصم

المعتصم الخليفة العباسي حينما استغاثت به المرأة هناك في أرض الروم وقالت: وامعتصماه، وبلغه ذلك قال: لبيك لبيك أختاه، وجهز الجيوش، وكانت موقعة «عمورية» الشهيرة.

فهل هناك معتصم الآن ينجد أصحاب الصرخات وصاحبات الصرخات، من الأمهات الثكالى، من الأطفال اليتامى، من الزوجات الأرامل، من هؤلاء المشردين في الأرض؟ لا يوجد معتصم يغيث من يستغيث، أو من تستغيث.

لامست أسماعهم لكنها   لم تلامس نخوة المعتصم

أين هؤلاء؟ أين العرب وأمة العرب؟

من الرابح من وراء هذه السياسات؟

الشعوب العربية بصفة عامة ضد هذا الذي يجري. لماذا تكره الشعوب على سياسات لا ترضى عنها؟ من الكاسب من وراء هذه السياسات؟ الواقع أن الكاسب والرابح الوحيد من وراء هذه السياسات هو «إسرائيل»، ونحن الخاسرون على كل صعيد.

ربما كانت هناك مكاسب لبعض المنتفعين من الناس، الذين يريدون أن يُثروا من الحرام، وأن يتاجروا مع إسرائيل، ويستعجلوا رفع المقاطعة. ونحن الشعوب العربية المسلمة يجب أن نرفض هذا. يجب أن نرفض التطبيع، يجب أن نبقي المقاطعة، يجب أن نقاطع إسرائيل، وبضائع إسرائيل، وطائرات إسرائيل، والذهاب إلى إسرائيل(11).

لا تطبيع مع الصهاينة:

يجب على كل عربي أبي، عنده أنف حمي، وقلب فتي، وشعور قوي، يجب عليه أن يرفض هذا الاستسلام. ويرفض هذا التطبيع.

يريدون أن تكون علاقتنا مع إسرائيل سمنًا على عسل، تذهب طائراتنا إلى إسرائيل، وتأتي طائرات إسرائيل إلينا، نذهب إليهم سائحين، ويأتون إلينا سائحين وسائحات. ماذا وراء هذا إلا الفساد كل الفساد؟! إنهم يريدون أن ينشروا الإباحة ... أن ينشروا الإيدز ... أن ينشروا المخدرات ... أن ينشروا

---

(11) للشيخ القرضاوي فتويان في مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية وتحريم السفر إلى إسرائيل، ذكر فيهما من الأدلة الشرعية، ومن فقه الواقع على حرمة ذلك، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في كتابه «فتاوى معاصرة» المجلد الثالث.

العملات المزيفة، وهكذا أرادوا أن يصنعوا في مصر، وحاولوا، وبين الحين والحين تضبط هذه الأشياء، ويعرف أن اليهود وراء ذلك كله.

شحنة الغضب يجب أن تبقى:

يا أيها الإخوة: لا بد أن نقاوم. لا ينبغي أن يكون همنا أن نقول كلمات وتنتهي. الإخوة الذين قالوا لي: نريد أن نفرغ شحنة الغضب في صدورنا على ما يجري، قلت لهم: لا، لا نريد أن نفرغ هذه الشحنة ونستريح، نريد أن تظل شحنة الغضب تعتمل في صدورنا، تغلي في قلوبنا، نريد أن يظل هذا القدر يغلي ويغلي وهو مسدود مكوم لا نسمح له بأن يتنفس. وإذا ظلت النار تتقد والقدر يغلي، فلا بد أن يتفجر هذا القدر يومًا أو يتكسر.

لا بد أن يستمر هذا الأمر، وقديمًا قلت في إحدى القصائد[12]:

صبرنا إلى أن مل من صبرنا وقلنا: غدًا أو بعده ينجلي الأمر!
فكان غدٌ عامًا ولو مد حبله فقد ينطوي في جوف هذا الغد
وقلنا: عسى أن يدرك الحق أهله فصاحت «عسى» من «لا» و«لا» طعمها
وماذا علينا بعد أن فار مرجلٌ من الغيظ والآلام يغلي به
سددنا بطول الصبر منا صمامه فزادت عليه النار فانفجر القدر!

لا بد أن تزيد النار وينفجر القدر، لا يمكن أن تظل هذه الأمة على ما هي عليه، لا بد أن ينفجر القدر يومًا وأن يثور البركان الهادئ، هذا الذي نراه من

(12) من قصيدة ألقاها الشيخ القرضاوي في افتتاح مؤتمر عقده مع عدد من زملائه سنة 1953م في ساحة كلية الشريعة بالأزهر، للمناداة بمطالب الأزهريين وتطلعاتهم الدينية والعلمية والأدبية والاجتماعية، ولم يعد يحفظ منها إلا أبياتًا قليلة، فقد ضاعت فيما ضاع من كتابات ودواوين في أتون المحن المتتابعة التي ابتلي بها دعاة الإسلام في مصر.

الصمت، إنه صمت وراءه شيء، هذه الأمة لا يمكن أن تسكت على الظلم طويلًا، إن لديها مخزونًا، لا بد أن يظهر هذا المخزون، فيها مكنونات. لا بد أن تفجر هذه المكنونات والطاقات، ولا يفجرها إلا الإيمان ... إلا الإسلام، وهذا ما يخافه اليهود، وهذا ما يخافه الغرب.

الإسلام هو المقصود بالحرب:

ولذلك الآن يحاربون «الإسلام» باسم محاربة الإرهاب، وباسم محاربة التطرف، وباسم محاربة الأصولية، وكل هذه أغشية وأغطية يراد بها ذر الرماد في العيون حتى لا ترى، إن المقصود هو «الإسلام».

ما معنى الأصولية؟ قال «إسحاق رابين» في القمة التي انعقدت في الدار البيضاء في المغرب: إن أعداءنا الكونيين ثلاثة: الجوع، والمخدرات، والأصولية!

وأنا أقول لكم: إنه لا يقصد من هذه الثلاثة إلا «الأصولية»، وإنما ذكر المخدرات والجوع تمويهًا. الأصولية هي عدوه اللدود ... عدوه الأول.

الذي يمسك هذه المنطقة على جذورها، وعلى أصالتها، ويمنعها أن تذوب أو تنهار، إنما هو «الإسلام»، الذي يعبر عنه بـ «الأصولية».

وهؤلاء يريدون أن يمحوا الإسلام، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره **{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ}** [التوبة: 32].

هذا الإباء الإلهي هو الذي يطمئننا على مستقبل هذا الدين، وعلى مستقبل هذه الأمة ... على مصير هذه الأمة.

هذه الأمة لن تموت، هذه الأمة لن تسقط، يمكن أن يذبل عودها، يمكن أن يصيبها المرض والسقام، ولكنها لا تموت، هكذا رأيناها طوال التاريخ. إذا هيأ الله للأمة رجالًا ينفخون فيها من الروح ... يحركون عزائمها ... يوقظون قلوبها ... يوقدون شعلها، ستصنع هذه الأمة الأعاجيب.

فلسفة تجفيف المنابع:

إن الغرب يرى أن الإسلام هو العدو الأول، وهذا ما تتبناه إسرائيل وما توحي به إلى الغربيين، وهم الآن يعملون على سياسة تجفيف المنابع، كل المنابع التي تغذي الإسلام وتقويه، يجب أن تجفف، سواء كانت منابع ثقافية أو فكرية كما تفعل بعض البلاد، أرادت أن تحارب الإسلام في المدرسة وفي مناهج التعليم، كل ما يدعو إلى الجهاد، كل ما يدعو إلى الغيرة على الإسلام ... إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... إلى الولاء لله ولرسوله وعدم اتخاذ أعدائه أولياء، كل ما يوحي بتقدير البطولة، كل معارك الفتح الإسلامي، كل آيات الجهاد في سبيل الله، في القرآن وأحاديث الجهاد في السنة، وغزوات الرسول في السيرة: هذه ينبغي أن تحذف من مناهج التربية والتعليم.

وكذلك في الإعلام، ينبغي أن يحذف هذا بالتدريج في السياسة الإعلامية.

وهم أيضًا من ناحية أخرى يريدون أن يجففوا المنابع المالية، الآن هناك حرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية. قالوا: إنها تمول الإرهاب والإرهابيين إنها تمول الأصولية والأصوليين.

وقريبًا كان أحد أمراء الخليج في أمريكا، فقاله له الرئيس «كلينتون»: إن

الجمعيـات الخيريـة فـي بلادكـم تمـول الإرهـاب والإرهـابيين، والأصـولية والأصوليين. قال له: هذه الجمعيات جمعيات خيرية ونحن نعرف أصحابها، ونعرف القائمين عليها، وهم أناس طيبون ... إلخ، قال: المعلومات التي عندنا تقول: إنهم يمولون الأصولية والأصوليين.

طبعًا هذه الجمعيات تعمل على إحياء الدين الإسلامي، تنشئ مدارس يتعلم فيها أبناء المسلمين، تنشئ مساجد يصلي فيها المسلمون، تنشئ دورًا للأيتام يرعى فيها أبناء الإسلام، تطبع مصاحف يقرأها المسلمون، تطبع كتبًا إسلامية تثقف المسلمين، تبعث دعاة لتعليم الناس الإسلام. كل هذا ينشئ الأصولية التي يخافونها.

إعلان الحرب على الإسلاميين:

ولذلك نرى قادة الحرب الصليبية الحديثة اليوم، مصممين على أن يحاربوا الإسلام، يحاربوه بكل سلاح، ويحاربوه في كل منطقة، ويحاربوه بواسطة حكام المسلمين أنفسهم. أوقعوا ما بين الحكام والشعوب، أرهبوا الحكام وخوفوهم وقالوا لهم: إن هؤلاء الأصوليين يريدون أن يقتلعوكم من جذوركم، حافظوا على كراسيكم، حافظوا على مكاسبكم بأن تتغدوا بهؤلاء قبل أن يتعشوا بكم!

وبدأت الحرب على الإسلاميين في كل مكان، المتطرفون منهم والمعتدلون، حتى المعتدلون يحاربون، الذين ينكرون العنف، وينكرون الإرهاب، ولم يفعلوا أي حادثة من هذه الحوادث، حتى هؤلاء يحاربون، ويحاكمون محاكمات غير عادلة، ويساقون إلى السجون، ويساقون إلى

المعتقلات.

إن النغمة السائدة الآن: حاربوا الإسلام المعتدل! إنه الإسلام الأشد خطرًا إن التطرف قصير العمر، التطرف لا يمكن أن يستمر طويلًا، إنما الذي يمكن أن يستمر، وأن يبقى، وأن يدوم، وأن يؤثر، إنما هو «الإسلام المعتدل».

ثم يقولون: إن الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلًا، إنه يبدأ معتدلًا ثم يتطرف، فنحن نأخذ الأمر من أوله ونسد الطريق عليهم! يعني اعتدلنا أو تطرفنا لا بد من حربنا. هذا ما يجري عليه الحال أيها الإخوة.

ما الذي نستطيع أن نفعله؟ لا يمكن أن نستسلم، سنظل نقاوم، نرفض الذل والهوان، لا نعمل كما يحدث الآن، ما شعرت بالهوان الممزوج بالأسى والأسى الممزوج بالهوان، كما شعرت به هذه الأيام، وأنا أقرأ الصحف، وأشاهد نشرات الأخبار، وأرى ما يجري أمام عيني.

أين أمتي؟ أين أمتي؟ لا أجدها.

لا بد أن نقاوم، لا نستسلم أبدًا مهما كانت النتيجة. إنها إحدى الحسنيين: إما أن نعيش أعزاء سعداء وإما أن نموت شهداء **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ}** [التوبة: 52]. لا يجوز أن نقبل هذا الهوان ونردد مع الشاعر أبي الطيب الذي يقول:

ذل مـن يغـبط الـذليل بعـيش   رب عيش أخف منه الحمام[13]

مـن يهـن يسـهل الهـوان عليـه   مــا لجــرح بميــت إيـــلام

نحن قد هنا على أنفسنا، فهنا على الناس. وإذا أردنا أن نكون كرماء على الناس، فينبغي أن نكرم أنفسنا أولًا.

أمتنا لن تموت:

يجب أن نشعر بأننا خير أمة أخرجت للناس، أننا الشهداء على الناس، أننا الأمة الوارثة للنبوات **{وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ}** [الأنبياء: 105] أننا أمة القرآن، أمة الإسلام، أمة محمد عليه الصلاة والسلام، أمة الخلود، الأمة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يجب أن تتمكن هذه المشاعر في نفوسنا، وألا نستسلم أبدًا، هذا الشعور نفسه نعمة عظيمة، وغنيمة عظيمة، ومكسب كبير. هم يريدون أن يقتلوا فينا هذا الشعور ... أن يحس كل منا باليأس والإحباط ... أن يقول: ليس هناك فائدة ... ليس هناك إلا إسرائيل وترسانتها النووية، وميزانيتها العسكرية التي بلغت في سنة 1994م «سبع مليارات وربع».

هم يريدون أن نصل إلى هذا الحد من اليأس والإحباط والشعور بالقنوط، ونحن نقول: لا تيأسوا من روح الله فـ **{ ... إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [يوسف: 87]، لا تقنطوا من رحمة الله فإنه لا **{ ... يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ}** [الحجر: 56].

---

(13) بعض أنواع الحياة أفضل منها الممات «القرضاوي».

إن الدنيا دول، والدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، والله تعالى يقول: **{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ 140 وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ}** [آل عمران: 140، 141].

إن قلوبنا مع الشعب اللبناني، وقلوبنا مع الشعب الفلسطيني، قلوبنا مع أبطال الجهاد، قلوبنا مع أبطال «حماس»، وأبطال «الجهاد الإسلامي»، وأبطال المقاومة اللبنانية، وأبطال «حزب الله»، ومع كل من يقاوم الطاغوت، وكل من يقف في وجه العدوان. قلوبنا معهم، وألسنتنا تهتف وتدعو لهم، ولا نملك في هذه الآونة إلا هذه المشاعر، وهي رأس مالنا، فلا ينبغي - أيها الإخوة المسلمون - أن نفرط في هذه المشاعر.

ينبغي أن نشعر بأننا الأمة العزيزة التي كتب الله لها العزة **{وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** [المنافقون: 8].

والله لو وقفنا وقفة رجل واحد وصممنا وعزمنا، ما استطاعت إسرائيل أن تفعل شيئًا. إنما دخلت علينا إسرائيل حينما ادخلت الوهن على نفوسنا، والأمر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن**». قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(14)، هذه هي الآفة: «حب الدنيا وكراهية الموت».

---

(14) أخرجه أبو داود وأحمد من حديث ثوبان، وأوله: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قال قائل: يا رسول الله ومن قلة يومئذ؟ قال: «**لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ...** ».

أما إذا طلق الناس الدنيا وأقبلوا على الموت، لا يبالون أوقع الموت عليهم أم وقعوا عليه، ووضعوا أرواحهم في أيديهم باذلين لها في سبيل الله، فوالله لن تستطيع إسرائيل ولا من وراء إسرائيل أن يصنعوا شيئًا.

إن بضعة عمليات - ثلاث عمليات - حدثت في أيام قريبة، هزت إسرائيل، زلزلت قواعد إسرائيل. لأن هذه القنابل البشرية الموقوتة لا تستطيع إسرائيل أن تصنع أمامها شيئًا. ماذا تستطيع أن تفعل أمام إنسان باع نفسه لله، لا يبالي بالموت؟ وهو لا يكلف شيئًا، بعض مواد متفجرة ممكن أن توجد في أي مكان.

لن نباع بثمن بخس:

جففوا المنابع المالية كما زعمتم، لن يغني هذا شيئًا. إن الذي نحتاج إليه هو الإرادة ... هو التصميم ... أن نبقى عربًا مسلمين، لا يجوز أن نباع، لقد باعونا في سوق النخاسة، باعونا كما بيع يوسف بن يعقوب عليه السلامب، بثمن بخس، دراهم معدودة. ولكن يوسف عليه السلام قدر الله له أن يباع إلى رجل أكرمه، إلى عزيز مصر الذي قال لامرأته: {**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا**} [يوسف: 21] ولكنهم باعونا لمن لا يرعى لنا كرامة ولا حرمة، ولا يرقب فينا إلا ولا ذمة، باعونا بثمن بخس لليهود!

ما هو هذا الثمن يا قوم؟ ما الثمن الذي بعتمونا به؟

بعتم هذه الديار، وبعتم هذه الشعوب، وبعتم هذه الأمة الغالية، بعتموها بثمن بخس ولم تقبضوه! ثمن لم يقبض! كل ما كسب من هذا الثمن هو بقاء أهل الكراسي على كراسيهم!

ماذا أفادت الشعوب العربية من وراء الأمر؟ لم تستفيد شيئًا. إسرائيل هي المتحكمة، إسرائيل هي المالكة، إسرائيل هي المستفيدة، إسرائيل هي الرابحة!

ولكنا مؤمنون بأن الغد لنا، وأن المستقبل لنا، وأن النصر آت لا ريب فيه، وأن الله تعالى يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ}** [محمد: 7]، ويقول: **{إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ}** [آل عمران: 160].

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له، ولعلها تكون هذه الساعة[15].

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا. واجعل الحياة زيادة لنا في كل

---

(15) يشير الشيخ ظظظ إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه**» وأشار بيده يقللها. وأما تعين الساعة فقد اختلف العلماء فيها اختلافًا كثيرًا، وأفاض ابن القيم في ذكر أقوالهم ورجح منها قولين:

أحدهما: أنها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة.

والثاني: أنها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين.

انظر «زاد المعاد» (388/1 - 397) بتحقيق الأرناؤوط، و«المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (241/1 - 243).

خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

4- النفق الإسرائيلي[16]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في الجمعة الماضية كنت في مدينة «قونيه» بتركيا، للمشاركة في مؤتمر عن فقه التجارة الإسلامية ومشاكلها الحديثة.

بدأ هذا المؤتمر يوم الأربعاء، وعشت يوم الأربعاء والخميس في مشاعر طيبة، في هذه المدينة التي كانت عاصمة لدولة «السلاجقة»، وكان لها دورها في عهد العثمانين، وكان لها موقفها المتميز في مقاومة الردة الكمالية الأتاتوركية، وسقط منها الشهداء وراء الشهداء.

في هذه المدينة عقد هذا المؤتمر، ورأيت العلمانية التي حكمت تركيا نحو السبعين عامًا، لم تستطع أن تقتلع جذور الإسلام من نفسية الشعب التركي.

هنالك الآلاف وعشرات الآلاف من المدارس القرآنية، وهناك عشرات المعاهد للأئمة الخطباء، وهناك كليات الإلهيات التي خرجت جيلًا جديدًا من علماء الشريعة رأيتهم في هذا المؤتمر. رأيت حشدًا من رجال الفقه تخرجوا في هذه الكليات التي لم يسموها كليات «الشريعة» أو «أصول الدين»، وإنما سموها باسم أشبه بما يسميه النصارى، كليات «اللاهوت»، وهو كليات: «الإلهيات».

---

(16) ألقيت هذه الخطبة بجامع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالدوحة في 1417/5/21هـ الموافق 1996/10/4م.

رأيت في هذا المؤتمر التوجه الإسلامي الجديد في تركيا. التي أوصلت حزبًا إسلاميًا إلى سدة الحكم، وإن لم يكن له أغلبية مطلقة. ولكنها مؤشر ورمز إلى هذا التوجه الجديد للشعب التركي.

قام هذا المؤتمر بتعاون من كلية الإلهيات والوقف الإسلامي في مدينة «قونيه» مع بعض الشركات الكبرى التي تحاول أن تكيف أنشطتها ومعاملاتها وفق شرع الله عز وجل.

عشت مشاعر طيبة في يومي الأربعاء والخميس، وفي يوم الجمعة وفي مثل هذا الوقت كنا نصلي الجمعة، وفي أواخر صلاتنا سمعت تكبيرات تدوي تبلغ عنان السماء: الله أكبر ... الله أكبر ... فما إن فرغنا من الصلاة حتى سألت الإخوة الأتراك: ما الذي يجري؟ ما هذا التكبير؟ قالوا: هذه مسيرات يقوم بها الإسلاميون في هذا البلد تعبيرًا عن تضامنهم مع الإخوة الفلسطينين.

قلت: وماذا حدث من جديد للإخوة الفلسطينيين؟ فنحن في بلد لا نستطيع أن نقرأ الصحف ولا أن نتابع فيه النشرات في الإذاعة أو التلفاز، فلم تعرف عما جرى شيئًا.

قالوا: إنه احتجاج على من سقط من الضحايا والشهداء في القدس وفي الضفة الغربية وفي غزة، وقد سقط نحو خمسين شهيدًا، ومئات من الجرحى! قلت: من أجل ماذا؟ قالوا: من أجل النفق الذي صنعته إسرائيل تحت المسجد الأقصى.

هنالك ثار أبناء فلسطين الأبطال احتجاجًا على هذه العملية العدوانية،

ودفاعًا عن مقدساتهم، دفاعًا عن مسجدهم الأقصى، دفاعًا عن أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، دفاعًا عن أرض الإسراء والمعراج، دفاعًا عن هذه المقدسات. قاوم شباب وشابات ... رجال ونساء ... أطفال وشيوخ، قاوموا بصدورهم رصاص العدو الحي الذي يخترق الصدور، فلم يبالوا به، لأنهم يذودون عن حرمات مقدسة، تهون من أجلها الدماء، وترخص من أجلها الأرواح، ويهون من أجلها كل تضحية ما دامت في سبيل الله.

لم تطل المشاعر الطيبة السعيدة التي سعدت بها خلال يومي الأربعاء والخميس، حتى داهمتنا هذه الكارثة الجديدة.

إنها تدل على ما أكدناه دائمًا ونؤكده أبدًا: أن اليهود هم اليهود، والصهاينة هم الصهاينة، وأن مخططهم لا يزال قائمًا، وأن اتفاق «أوسلو» الذي حدث ليس له وزن ولا قيمة، وقد عارضناه من فوق هذا المنبر، وقلنا: إنه ليس سلام الشجعان، إنه سلام الأقوياء والضعفاء، سلام القط والفأر، سلام الأسد والغزال، سلام الذئب والحمل:

تكلم السيف فاسكت أيها القلم تحكم الذئب فاخضع أيها

ليس هذا هو السلام الذي نريد، أنه الاستسلام، إما أن تخضع وتحني رأسك، وتطأطئ ظهرك لما تريده إسرائيل وما تنويه إسرائيل، وإلا فالويل كل الويل لك، الجيش بالمرصاد، والشرطة بالمرصاد، والدبابات بالمرصاد، وطائرات الهليوكوبتر بالمرصاد، ستحصد الشبان والفتيات، ستحصد الرجال والنساء، ستحصد الشيوخ والأطفال ولا تبالي.

من يحاسبها؟ ومن يعاقبها؟ ومن يقول لها: لم؟ فضلًا عن أن يقول لها: لا؟

هذا ما تصنعه إسرائيل، هذا ما دل عليه هذا الاتفاق المزعوم ... اتفاق السلام.

أي سلام هذا الذي لم يحل مشكلة إلى اليوم من المشاكل المعلقة؟! علقوا المسائل المهمة وتركوها لما بعد!

القدس لا زالوا في كل يوم يعلنون أنها العاصمة الأبدية الموحدة لشعب إسرائيل.

اللاجئون الملايين المشردون من أبناء فلسطين الذين لا زال بعضهم يحتفظ بمفتاح داره، وعنده آمال في العودة يومًا إليها، هؤلاء ليس لهم حق في العودة، إسرائيل لا تحتمل مزيدًا من السكان إلا إذا كانوا سكانًا من اليهود!!

المستوطنون لا يزالون في أماكنهم، ولا يزالون يتزايدون ويتنامون وتتزايد مستوطناتهم في أرض فلسطين يومًا بعد يوم، وخصوصًا في منطقة القدس. إنهم يأخذون الأرض عنوة وقسرًا وقهرًا من أصحابها، نرى ذلك في التلفاز، ونشاهد هؤلاء المساكين وهم يصرخون ويبكون ويُولولون رجالًا ونساء، و«البلدزورات» تهدم وتأخذ الأرض من أهلها بالقهر، وبسيف الجبروت، وجبروت السيف وبمنطق الطغيان والاستكبار في الأرض بغير الحق.

هذا ما تصنعه إسرائيل.

لا نستغرب من هؤلاء أن يفعلوا ذلك، الاتفاق أفادهم ونفعهم، ولم ينفعنا بشيء.

الحدود حتى الآن لم تتضح. ما هي حدود إسرائيل؟ إنهم يسكتون عن هذا،

لأنهم لا يريدون أن يصرحوا عن حقيقة الحدود التي يعتبرونها حدودهم. إنهم يقولون في كتبهم الخاصة وفيما بينهم: إن حدود إسرائيل من «الفرات» إلى «النيل»، ومن «الأرز» في لبنان إلى «النخيل» في الحجاز، حيث لهم مطامع حول المدينة المنورة وخيبر، إذ كان هناك بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ويهود خيبر.

هذه هي أطماعهم، وهذه هي أحلامهم. لم يحل الاتفاق أي مشكلة من المشكلات.

وها هم يحفرون حول المسجد الأقصى، الحفريات مستمرة من سنين، وتآمرهم على المسجد الأقصى معروف. لقد حاولوا أكثر من خمس عشرة مرة إحراق هذا المسجد، وأحرقوه مرة أو أحرقوا بعضه، واحترق منبر صلاح الدين: التحفة التاريخية المعروفة، وحاولوا أن ينسفوا هذا المسجد، كما أراد ذلك الحاخام المعروف المقتول «مائير كاهانا»، وحاولوا إطلاق الرصاص على المصلين، وحاولوا أن يُصلوا فيه بالقهر ليثبتوا لهم وجودًا، كما أخذوا جزءًا من مسجد الخليل إبراهيم وحجزوه لهم إلى اليوم، وهو ملك المسلمين ومسجد المسلمين وقد بناه المسلمون.

قمة خماسية في واشنطن:

هذه محاولاتهم، فأين نحن من هذا؟

ماذا فعلنا أمام هذا السيل من الدماء التى أريقت، والأرواح التي أزهقت؟ حوالي ستين من الشهداء، وأكثر من ألف من الجرحى والمصابين!

ماذا فعلنا أمام هذا الصمود وهذه البطولة التي أظهرها أبناء فلسطين؟ إنها

انتفاضة جديدة.

ماذا فعلنا إزاء هذا؟ للأسف لم نقم بشيء.

قالوا: نذهب إلى قمة خماسية في واشنطن! ماذا تصنع هذه القمة الخماسية؟!

لقد أحسن الرئيس المصري «حسني مبارك» حينما رفض الذهاب إلى هناك، لأنه لا معنى للذهاب إلى واشنطن، ولا أمل في الذهاب إلى واشنطن.

ونود من مصر أن نؤكد هذه الخطوة الإيجابية بخطوة أخرى، وهي إلغاء المؤتمر الاقتصادي، الذي تلعب فيه إسرائيل دورها، وتريد أن تهيمن على المنطقة اقتصاديًا، حتى تنسجم المواقف بعضها مع بعض.

ينبغي - بل يجب وجوبًا حتميًا - إلغاء هذا المؤتمر، هذا أقل ما يرد به على هذا الموقف المتبجح الملطخ بالدماء.

ماذا فعلت القمة الواشنطنية؟

نحن نقول: إن القمة فشلت، هي فشلت بالنسبة لنا، ولكنها نجحت تجاحًا باهرًا بالنسبة لإسرائيل. أتدرون لماذا؟ لأنهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات الطويلة المدى وسيلة للوصول إلى النتائج!.

وما معنى نبذ العنف أيها الإخوة؟ معنى نبذ العنف: أي قمع الانتفاضة الجديدة أو إعلان الحرب على المقاومة الإسلامية «حماس» و«الجهاد» التي هي البديل الوحيد أمام الفلسطينيين للوصول إلى حقهم، كما قال الكاتب الكبير:

محمد حسنين هيكل، في كتابه الأخير[17].

لا يمكن أن يفهم الإسرائيليون غير لغة «القوة»، والقوة وحدها. أي لغة أخرى غير مفهومة، بل غير مسموعة عندهم إطلاقًا.

اتفقوا على نبذ العنف، وهنا تتعاون الوسائط الاستخباراتية والأمنية بين الفريقين في هذا السبيل. ولا ندري ماذا سيحدث اليوم بعد الصلاة في مساجد فلسطين، في القدس وغزة والضفة؟ وهل ستشارك السلطة الفلسطينية وشرطتها في قمع المصلين والمتظاهرين. والمتجمهرين تعبيرًا عن سخطهم على ما حدث؟

في إسرائيل تقوم مظاهرات ومسيرات ولا يقمعها «نتنياهو».

بعضها يطالب بالتشدد أكثر فأكثر، وبعضها يطالب بالسلام، ولكن السلطة الإسرائيلية لا تقمع هؤلاء ولا هؤلاء.

لماذا لا تتعلم السلطة الفلسطينية من إسرائيل، وتدع لأبناء فلسطين أن يعبروا عن أنفسهم سليمًا بالصراخ؟ ماذا يملك الإنسان المظلوم المهدوم المحطوم المجروح المذبوح إلا أن يصرخ في وجه ظالمه، دعوا للناس حرية الصراخ والصياح ليعبروا عن أنفسهم.

لا نريد للسلطة الفلسطينية أن تتورط أكثر مما تورطت، لا نريدها أن تطلق الرصاص على إخوانها وأبنائها من أبناء هذا الشعب البطل المجاهد الصامد المظلوم المفترى عليه.

---

(17) «العروش والجيوش».

نحن فشلنا في قمة واشنطن ونجح اليهود، لأنهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات! أي مفاوضات؟ وماذا تجزئ المفاوضات؟ لن يعد «نتنياهو» مجرد وعد أكيد حاسم في قضية من القضايا، لقد انسل من هذا الأمر كما تنسل الشعرة من العجين، ولم يقل شيئًا، كل ما قاله مجرد كلمات جوفاء ليس لها مضمون، لا تسمن ولا تغني من جوع.

كان الأصل أن يكون الموضوع الأول على مائدة المفاوضات، والذي من أجله عقدت القمة هو: «النفق»، وإغلاق هذا النفق. إما أن يكون هذا هو الموضوع الأول أو تُلغي المفاوضات من أول الأمر.

ولكن «نتنياهو» أعلن ببجاحة ووقاحة وصراحة: أن هذا الأمر ليس مطروحًا على مائدة المفاوضات، وأصر على رأيه، ولم يبحث هذا الأمر.

لماذا ذهبتم إذن يا قوم إلى المفاوضات، إذا كان الموضوع الذي أثار هذه الثائرة - موضوع النفق وموضوع الانتفاضة - ليس مطروحًا على مائدة المفاوضات؟!

نريد قمة في مكة لا في واشنطن:

نحن في الواقع لسنا في حاجة إلى قمة في واشنطن، نحن في حاجة إلى قمة أخرى تُعقد في مكة المكرمة، أو في القاهرة، أو في أي بلد إسلامي. وأولى البلاد بها بلد المسجد الحرام، الذي ابتدأ منه الإسراء لينتهي إلى المسجد الأقصى. لقد ربط الله ما بين المسجدين ربطًا أبديًا، هذا بداية الإسراء وهذا نهايته، ومن فرط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرط في المسجد الحرام.

نريد قمة إسلامية - لقادة المسلمين - تعقد في مكة المكرمة. ألا يستحق الأقصى منهم التنادي لهذه القمة؟ فذهب إلى قمة في واشنطن لإنقاذ المسجد الأقصى، ولا نقيم قمة في ديار الإسلام لإنقاذ هذا المقدس العظيم؟!

كنا نود أن يوجد في المسلمين رجل مثل «فيصل بن عبد العزيز» الذي دعا في سنة (1969م) - حينما حاول من حاول إحراق المسجد الأقصى - زعماء المسلمين وقادة بلاد الإسلام، إلى الاجتماع من أجل هذا الأمر، واجتمعوا في «المغرب»، وكان من وراء ذلك إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي.

واليوم تتزايد الأخطار على المسجد الأقصى، وعلى المدينة المقدسة «القدس»، وعلى أرض الإسراء والمعراج. اليهود يريدون تهويد «القدس»، وإخراجها عن عروبتها وإسلامها، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، وقد فعلوا من ذلك الكثير، وغيروا البنية السكانية ... غيروا نسبة السكان.

كان اليهود أول الأمر لا يسكنون في القدس، منذ دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مدينة القدس، وعقد عقد الصلح مع أهلها النصارى، وكان ذلك بطلب من بطريك القدس «صفرنيوس»، الذي أصر على أن لا يسلم مفتاحها إلا إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطاب.

وجاء عمر وسلم مفتاح المدينة، وعقد معهم صلح «إيلياء» إذ كانت المدينة تسمى في ذلك الوقت «إيلياء» - أو ما يسمى في التاريخ باسم «العهدة العمرية»، وكان من شروط هذه العهدة أو هذه الاتفاقية: أن النصارى طلبوا من عمر: أن لا يساكنهم في مدينتهم «يهود».

كان هذا من الشروط المبدئية الأساسية.

تشتيت اليهود عقوبة إلهية لهم:

معنى هذا أن اليهود لم يكن لهم في هذه المدينة نصيب منذ فرقهم الله في الأرض وقطعهم أمما كما قال القرآن الكريم: **{وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ 167 وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا}** [الأعراف: 167، 168].

{لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ}: وهذا معروف في التاريخ، من قرأ التاريخ وجد هذه الأدوار لليهود، حينما أفسدوا في الأرض وطغوا فيها وعلوا علوًا كبيرًا وفعلوا ما فعلوا، قتلوا أنبياء الله، وتعدوا على الحرمات، وكما قال القرآن: **{أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ}** [البقرة: 87] تاريخ اليهود حافل بقتل أنبياء الله، نشروا بالمنشار زكريا عليه السلام، وذبحوا ابنه يحيى عليه السلام.

بعد إفسادهم وطغيانهم وتعديهم:

سلط الله عليهم أهل «بابل»، وجاء «بختنصر» كما يقول مؤرخو العرب، ودخل ديارهم، وجاس فيها، وحرق معابدهم وتوراتهم وكتبهم، وأخذهم أسرى إلى بابل مدة سبعين سنة.

هذا معروف في تاريخهم.

ثم سلط الله عليهم الفرس، ثم سلط الله عليهم الرومان وضربوهم ضربة قاضية، قطعوا فيها في الأرض أمما، وتفرقوا شذر مذر، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك اليوم.

ولذلك حينما دخل المسلمون «القدس» لم يتسلموا القدس من اليهود، إنما تسلموها من النصارى، وقد شارطوا المسلمين ألا يساكنهم فيها يهود.

وظل هذا قرونًا، ثم يبدو أن المسلمين تساهلوا كعادتهم، وسمحوا لليهود يومًا بعد يوم بالدخول في هذه المدينة. إلى أن جاء القرن الثامن عشر ثم القرن التاسع عشر، في عهد الدولة العثمانية، وفي أيام ضعفها، وفي أيام انشغالها بالحروب خارج حدودها وداخلها، بدأ اليهود يخططون لدخول هذه المدينة وبناء أحياء أو مستعمرات حولها خارج سور المدينة، وبنوا من سنة (1843م) إلى سنة (1897م) سبعًا وعشرين مستعمرة.

وجاء «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية المعروفة إلى القدس سنة (1903م) وزارها، وتفقدها، ثم دعا اليهود في العالم وحثهم إلى أن يذهبوا إلى القدس ويسكنوا فيها ويستعمروها ما استطاعوا.

وظل الأمر كذلك، حتى جاء الانتداب البريطاني سنة (1917م) فمكن لليهود أكثر من أي شيء قبل ذلك.

حينما دخل البريطانيون القدس سنة (1917م) كان اليهود فيها يكونون خمسًا وعشرين في المائة (25%) من السكان، والعرب - مسلمون ومسيحيون - يكونون خمسًا وسبعين في المائة (75%)، ولا يملك اليهود من مساحة المدينة إلا أربعة في المائة (4%) فقط. وست وتسعون في المائة (96%) هي للعرب وللمسلمين، القدس كلها شرقية وغربية! ثم تغير الحال.

الآن يكادون يفرغون المدينة من سكانها العرب - بعد أن أصبحت القدس الغربية كلها لهم - نرى الإجراءات القمعية والتعسفية في القدس الشرقية

والقدس الغربية، ضد العرب مسلميهم ومسيحييهم، ونزع الهويات منهم، ومنع زيادة الأرض المبنية، منع اتساع المدينة من ناحية العرب.

وإعطاء الفرصة لبناء الأحياء السكنية والمستعمرات اليهودية على حساب العرب والمسلمين، جعل العرب والمسلمين فيها أقلية، حوالي ست وعشرين في المائة (26%) من العرب وأربع وسبعون في المائة (74%) من اليهود.

وبعد اتفاق «أوسلو» زاد الأمر تفاقمًا، فالاستيطان يتزايد يومًا بعد يوم، والأرض تنتزع من أهلها يومًا بعد يوم، واليهود يريدون تهويد المدينة «أن تكون مدينة يهودية».

نحن أولى بداود وسليمان منهم:

ومن أجل هذا يحفرون الحفريات بحثًا عن هيكل سليمان المزعوم! أين هيكل سليمان هذا؟ وما قيمته التاريخية؟ ومن يثبته؟

ثم نحن أولى بسليمان وداود منهم. هم والله يعتبرون داود وسليمان عليه السلامب كما تحكي توراتهم المحرفة - من أخس الناس.

داود عليه السلام أحب امرأة جاره، فبعث جاره في بعثة ليقاتل، وأمر قائده أن يعرضه للقتل، ليسطو على امرأته بعد ذلك!

هل يفعل هذا إلا سفلة الناس؟!

هكذا نسبوا إلى داود. ونسبوا إلى سليمان ما نسبوا من السحر وعبادة الأصنام وغير ذلك!

وداود وسليمان عندنا من كرام الأنبياء: **{وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ**

17 إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ 18 وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ 19 وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ} [ص: 17 - 20]، **{وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ}**، [ص: 30]، **{وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ 15 وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ}** [النمل: 15، 16].

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**أحب الصيام إلى الله: صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله: صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه**»(18)، ويقول: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(19).

نحن أولى بداود وسليمان منهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حينما وجدهم يصومون عاشوراء، فسألهم: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**»، قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصومه تعظيمًا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فنحن أحق بموسى منكم، فصامه رسول الله صلى**

---

(18) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(19) رواه أحمد والبخاري عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه «فيض القدير» للمناوي (425/5) برقم (7733).

الله عليه وسلم، وأمر بصيامه»[20].

نحن أحق بموسى منهم، وأحق بداود منهم، وأحق بسليمان منهم. نحن نعبد الله كما يريد داود وسليمان، أما هم فبماذا يعبدون الله؟ بإراقة الدماء؟! بالتعدي على خلق الله؟! بالعدوان على الأرواح والأموال؟! بأخذ الأراضي بغير حق؟! بمصادرتها بدعوى مختلفة: المصلحة العامة ... الاستملاك ... من لم يمكث في أرضه خمسين عامًا فليس له حق تملكها؟!

لقد أخذوا أراضي الفلسطينيين، وأخذوا أراضي الأوقاف الإسلامية التي لا يجوز لأحد أن يتصرف فيها، فهي ملك مؤبد لله تعالى.

لقد تملكوا هذه الأوقاف واعتدوا عليها، لأنهم لم يجدوا من يقول لهم قفوا عند حدكم.

واجب الأمة نحو فلسطين:

آن للأمة الإسلامية أن تتكلم، آن للأمة الإسلامية أن تقف موقفًا إيجابيًا ...

الأمة التي تملك مليارًا وثلث المليار من البشر في أنحاء الأرض، الأمة التي تملك من المقدرات الاقتصادية والاستراتيجية ما لا يملكه غيرها، الأمة التي تملك من القوة الروحية ومن مواريث السماء ما لا يملكه أحد سواها، الأمة التي تملك كل هذه المقومات تستطيع أن تفعل الكثير، لو وجدت القيادة. مشكلة الأمة الإسلامية ليست في القاعدة بقدر ما هي في القمة.

لقد استطاعوا أن يمزقوا ما بين قادة هذه الأمة، وأن يخوفوا بعضهم من

---

(20) متفق عليه، عن ابن عباس رضي الله عنهب.

بعض، وأن يفصلوا بعضهم عن بعض، حتى رأينا الدول العربية والإسلامية يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا.

أين الأمة التي سماها الله تعالى: **{أُمَّةً وَسَطًا}**[21]، وجعلها **{خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}**[22]؟ وقال: **{إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً}** [الأنبياء: 92] أين هذه الأمة الواحدة التي عبر النبي عليه الصلاة والسلام عن العلاقة بين أبنائها فقال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»[23] ثم شبك بين أصابعه[24].

وقال: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[25]، إنها كيان عضوي واحد يحس كل عضو بألم العضو الآخر. هذا هو الذي ينبغي أن تكون عليه الأمة، ولكن الآن نرى غير ذلك.

---

(21) في قوله تعالى: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}** [البقرة: 143].

(22) في قوله تعالى: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ}** [آل عمران: 110].

(23) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه «فيض القدير» للمناوي (252/6) برقم (9143).

(24) كما في البخاري. قال العلامة المناوي في «شرحه للحديث»: «أي يشد بعضهم بعضًا مثل هذا الشد، فوقع التشبيك تشبيهًا لتعاضد المؤمن بعضهم ببعض، كما أن البنيان الممسك بعضه ببعض يشد بعضه بعضًا، وذلك لأن أقواهم لهم ركن وضعيفهم مستند لذلك الركن القوي فإذا والاه قوي ... إلخ. ينظر: «فيض القدير» (252/6).

(25) رواه أحمد، ومسلم، والبخاري في الأدب، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه «فيض القدير» للمناوي (514/5) برقم (8155).

لقد استطاعوا بضربة واحد أن يمزقوا شمل العرب، كما فعلوا في ضربة حرب الخليج، التي لا تزال آثارها إلى اليوم.

ولكن أمام الأحداث الكبار ينبغي للأمة أن تنسى كل خلافاتها، أن توحد صفوفها، أن تجمع كلمتها، أن تتنادى فيما بينها لتنقذ مقدساتها، لا يجوز لأمة الإسلام أن تسكت على هذا الباطل ... على هذا الإجرام ... على هذا العدوان.

إننا - والله - نستطيع أن نفعل الكثير، مجرد وقوفنا وقولنا: «لا» يهز العالم كله هزًّا. قمة القاهرة التي عقدت من قريب هذه أقلقت القوم، وفزعوا أن يكون وراءها أمر إيجابي. وفعلًا حينما بدأت تتقارب مصر مع السودان ومصر مع إيران، قلقت القوى المعادية للإسلام وفزعت، وعملت عملها حتى تفسل هذه الخطوات المباركة في التقريب ما بين المتباعدين، والفصل ما بين المتخاصمين.

نحن نملك الكثير لو وحدنا صفوفنا.

ألا يوجد من يدعو هذه الأمة. بقوة لتجتمع في شكل قمة إسلامية إيجابية لزعماء المسلمين؟

وينبغي أن تكون هناك قمة أخرى شعبية لعلماء المسلمين في العالم: علماء المسلمين الذي درسوا كتاب الله وسنة رسوله، علماء المسلمين الأحرار الذين ليسوا من علماء السلطة ولا عملاء الشرطة! هؤلاء ينبغي أن يجتمعوا في بلدة ما تتسع لهم، ويقولوا رأيهم، ويعبروا عن تأييدهم لإخوانهم.

ألا يجتمع علماء الإسلام؟

إذا لم نصل إلى اجتماع الزعماء، فلنرض باجتماع العلماء.

ألا يوجد من ينادي العلماء في أنحاء العالم أن يلتقوا؟

ألا يدعو شيخ الأزهر في مصر ليجتمع العلماء في مصر؟ ألا يدعو الشيخ عبد العزيز بن باز إلى أن يجتمع العلماء في مكة؟ ألا يدعو بعض العلماء ليلتقوا حتى يقولوا كلمتهم؟

نحن نستطيع أن نفعل الكثير، ولا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي، مشلولي الألسنة، لا نفعل شيئًا، ولا نقول شيئًا.

إن الدماء المراقة من إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا وآبائنا وأمهاتنا، في أرض فلسطين التي بارك الله فيها للعالمين، توجب علينا أن نقف مع إخواننا مؤيدين مساندين، بالنفس والمال وبكل ما نستطيع.

الجمعيات الخيرية في قطر: جمعية قطر الخيرية، جمعية الشيخ عيد بن محمد الخيرية، صندوق الزكاة في قطر، يجب أن يساعدوا الأخوة في فلسطين، هؤلاء الذين استشهدوا وتركوا أولادًا، هؤلاء الذين جرحوا، هؤلاء المعتقلون «أكثر من ستة آلاف معتقل» هؤلاء المشردون، هؤلاء العاطلون «سبعون في المائة من أبناء غزة والضفة عاطلون نتيجة الحصار الإسرائيلي، وستة ملايين دولار يوميًا خسائر نتيجة هذا الحصار». لا بد أن نقف مع هؤلاء، نساعدهم بما استطعنا، نساعدهم بما يمكننا، ويمكننا الكثير، والله يبارك في القليل.

يا أيها الإخوة: إن الأمة الإسلامية تقدر أن تفعل كثيرًا، ولكنها معطلة، مقيدة، مغلولة الأيدي والأقدام، وينبغي أن نتحرر من الأغلال والقيود، وأن نسير إلى الأمام، وأن ندعو الله تعالى لإخواننا في الصباح والمساء، في

سجداتنا إذا سجدنا، في خلواتنا بالليل، في ساعات السحر.

علينا أن ندعو الله تعالى أن يؤيد إخواننا بروح من عنده، وأن يمدهم بملأ من جنده، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يأخذ أعداءهم أخذًا أليمًا شديدًا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

المعركة بيننا وبين اليهود مستمرة، ولا يمكن أن نلقى السلاح، وسنظل نقاوم ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، وسنظل نؤيد إخوتنا الذين يجاهدون في سبيل الله، ويعلون راية الإسلام وكلمة الإيمان في أرض فلسطين المباركة.

ونعتقد - إن شاء الله - أن الزمن في صالحهم، المثبطون يثبطون ويقولون: الزمن ليس في صالحنا، ونحن نقول: في صالحنا إن شاء الله.

لن يستمر القوي قويًا أبد الدهر، ولن يستمر الضعيف ضعيفًا أبد الدهر، دوام الحال من المحال، ومن سنة الله تعالى «التداول» ... تداول الأيام بين الأمم والأقوام، كما قال تعالى: **{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140] الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، وقد مرت الأيام التي علينا، وبقيت التي لنا.

الله تعالى قال عن اليهود: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ**

{وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ} [آل عمران: 112]، **{بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ}**: أن يدخلوا في الإسلام فيعتزوا به، **{وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ}** أن يتقووا ببعض القوى الموجودة في الأرض، كما يتقوون الآن بأمريكا.

ولكن لن يستمر هذا الحبل الموصول بينهم وبين الناس أبد الدهر، سرعان ما ينقطع هذا الحبل بسوء أخلاقهم وأنانيتهم وعدوانهم، ويعودون إلى القاعدة الأصلية: «ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا».

سيقطع الحبل الذي بينهم وبين الناس، كما انقطع الحبل الذي بينهم وبين الله، وسيبقون في العراء وسنواجههم بإيماننا وحقنا الذي لن يضيع أبدًا. سنواجههم إن شاء الله، وستكون المعركة في النهاية لنا، سيكون الحجر والشجر معنا، سيكون كل شيء في الوجود معنا وضد اليهود، دالًا عليهم وكاشفًا عن عوراتهم.

وقد روى الإمام أحمد والطبراني بسند رواته ثقات، عن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**»، قالوا: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»(26).

فاصبروا أيها الإخوة المرابطون في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس،

---

(26) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة. والحديث انفرد به الإمام أحمد عن أبي أمامة «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني» لأحمد عبد الرحمن البنا (207/23 - 208) برقم (442).

في الضفة الغربية، وفي غزة، وفي غيرها، وفي بلاد الشام، وفي مصر، فهؤلاء كلهم بأكناف بيت المقدس {**ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**} [آل عمران: 200].

اللهم افتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتم علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم أيد إخوتنا في فلسطين، اللهم انصرهم نصرًا مؤزرًا. اللهم اجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة وعزائمهم على الجهاد في سبيلك. اللهم وحد صفوفهم، اللهم أبعد العداوة والبغضاء من بينهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم رد سهامهم إلى صدورهم، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم لا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمن.

عباد الله: يقول الله تعالى: {**إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا**} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{**وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ**} [العنكبوت: 45].

إن شاء الله بعد أن نصلي ركعتي الجمعة، سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء.

* * *

5- القوة والضعف في تاريخ الإسلام(27)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لماذا تخلف المسلمون؟

حيثما شرقت أو غربت، حيثما ذهبت يمينًا أو شمالًا، في بلاد المسلمين، وخارج بلاد المسلمين، واجهني سؤال سأله الكثيرون من المسلمين: ما بالنا نحن المسلمين عامة ونحن العرب خاصة في ذيل قافلة البشرية؟ ما بالنا قد تغلب علينا الضعفاء، وتجرأ علينا الجبناء، وتعزز علينا الأذلاء، حتى اليهود أحرص الناس على حياة، وأجبنهم بنفس، وأبخلهم بمال؟

ما ما بالنا نحن المسلمين عامة نعد في البلاد النامية؟ أي البلاد المتخلفة في العالم الثالث ولو كان هناك عالم رابع لنُسبنا إليه!

ما بالنا نحن المسلمين عالة على غيرنا؟ حتى بلادنا - وهي بلاد زراعية - تستورد نصف أقواتها أو أكثر من نصفها في بعض الأحيان من بلاد أخرى، لا تملك الرغيف الذي تأكله! وهي عالة في الصناعة كما هي عالة في الزراعة، لا زلنا نعتمد على غيرنا في القُوى الصناعية، وفي الأسلحة التي نذود بها عن حياضنا، لم نصنع طائرة، ولم نصنع دبابة إلى اليوم. كل الأسلحة الثقيلة نعتمد فيها على سوانا!

---

(27) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في 1418/5/17هـ الموافق 1997/9/19م.

هل الإسلام سبب تخلفنا؟!

ما بالنا نحن المسلمين هكذا؟ أهذا راجع إلى إسلامنا؟ بعض العلمانيين واللادينيين والشيوعيين يقولون: إن السبب في تخلف المسلمين وضعف المسلمين وجهل المسلمين وهوان المسلمين يرجع إلى الدين! هل هذا صحيح؟ هل الإسلام مسؤول عما نحن فيه نحن المسلمين ونحن العرب؟ لا، والله، ما ذنب الإسلام؟ ما ذنب الطبيب إذا شخص لك الداء، ووصف لك العلاج والدواء، ولكنك لم تسمع للطبيب، ولم تتناول الدواء، ولم تتناول الغداء بالطريقة التي شرحها لك؟ ما ذنب الطبيب؟

ما ذنب الإسلام؟ الإسلام يدعوا إلى القوة ولكننا نحن الضعفاء، يدعو إلى الوحدة ولكننا نحن المتفرقون، يدعو إلى الإخاء ولكننا نحن المتعادون، يدعو إلى النظام ولكن الفوضى تضرب أطنابها في بلادنا، يدعو إلى أن نكون أمة واحدة - كالبنيان المرصوص - يشد بعضها بعضا ونحن نجافي بعضنا بعضا، بل يعادي بعضنا بعضا، بل يقاتل بعضنا بعضا.

ما ذنب الإسلام؟

لو كان هذا الكلام صحيحًا يمكن أن ينطبق على التدين الخرافي ... التدين الذي يتبعه بعض الناس، الذي يقوم على الخرافة في العقيدة ... على الشكيات والقبوريات ... على الأباطيل والأساطير، يقوم على الابتداع في العبادة ... على السلبية في التربية، والضعف في الأخلاق. هذا النوع من التدين الذي يشيعه بعض الناس باسم الدين، والدين منه براء.

إنما نحن نتكلم عن الإسلام الصحيح ... عن إسلام القرآن والسنة ... عن

إسلام الصحابة والتابعين ... عن إسلام خير القرون، هذا الإسلام هو الذي نؤمن به، وهو الذي ندعو إليه، وهو الذي نستمسك بعراه ولا نحيد عنه قيد شبر.

هذا الإسلام لا يمكن أن يكون سببًا لضياع الأمة، ولا سببًا لتخلفها، ولا سببًا لهوانها، والعكس هو الصحيح.

الذي ينظر في تاريخ هذه الأمة منذ نشأت ... منذ عهد النبوة وإلى اليوم، يجد هناك حقيقة ثابتة ثبوت السنن الإلهية، هذه الحقيقة: أن هذه الأمة كلما اتصلت بالإسلام واقتربت منه، حسن فهم وحسن سلوك، وحسن تطبيق لعقيدته وشريعته وأخلاقه ومثله العليا، كلما اقتربت من هذه: اقترب منها المجد والرفعة والازدهار، والعز والانتصار، والغلبة على الأعداء، والقوة في الداخل، والهيبة في الخارج. من يقرأ التاريخ يجد هذا واضحًا.

ولذلك نجد أعظم الفترات إضاءة وإشراقًا في تاريخ هذه الأمة، هي الفترات التي يحيا فيها الإسلام، وترتفع فيها راية الإسلام، وتطبق فيها أحكام الإسلام، وتراعي قيم الإسلام.

في عهد النبوة: ماذا حقق محمد صلى الله عليه وسلم الذي انتصر على جبهات عدة وقفت ضد دعوته؟ الجبهة الوثنية في جزيرة العرب، والجبهة اليهودية في غزوات بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وخيبر، والجبهة البيزنطية الرومية النصرانية، والجبهة المجوسية التي كانت متربصة، وجبهة المنافقين ... الطابور الخامس الذين يحيون بين المسلمين وكأنهم منهم وهم ليسوا منهم، يقولون: {**ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ 8 يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ**

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ} [البقرة: 8، 9].

ما مات محمد صلى الله عليه وسلم حتى وطد أركان هذا الدين، وأقام مجتمعًا إسلاميًا مثاليًا، وأسس دولة نموذجية، لقد تمت النعمة وكمل الدين وحق قول الله تعالى: **{ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ}** [المائدة: 3].

وجاء خلفاؤه الراشدون فساروا على سنته، ونهجوا نهجه، وانتشر الإسلام. انتشر الإسلام في أنحاء العالم بفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاميذهم. هؤلاء الصحابة هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم، رباهم النبي صلى الله عليه وسلم ليربوا العرب من بعده، ويربي العرب من بعدهم العالم كله. انطلقوا في الآفاق يقرئون الناس القرآن الذي حفظوه، ويروون للناس سنة محمد صلى الله عليه وسلم التي وعوها واتبعوها، ويدخلون الناس في الإسلام، ليس بالسيف كما يقول خصوم الإسلام: إن الإسلام انتصر بالسيف وانتشر بالسيف! لا، السيف لا يمكن أن يفتح قلبًا وعقلًا، إنما يمكن أن يفتح أرضًا.

انتصار الإسلام على السيف:

الإسلام في الواقع انتصر على السيف ولم ينتصر بالسيف منذ جاء الإسلام والسيف مشهور في وجهه، قامت الوثنية القرشية والعربية ضد محمد صلى الله عليه وسلم، وعذبته وأصحابه، صبت عليه سياط العذاب، وقاطعته وأصحابه ثلاث سنين، لا يبع لهم أحد ولا يبتاع منهم، ولا يزوجهم ولا يتزوج منهم، حتى أكلوا أوراق الشجر، وعاشوا وباتوا الليالي جياعًا،

يضعون على بطونهم الأحجار من الطوى. لقد لقي الإسلام من هؤلاء ما لقى.

الإسلام الذي ننعم به الآن ونحيا في ظلاله، لم يصلنا غنيمة باردة ولا بيضة مقشورة أريقت في سبيله الدماء، وأزهقت من أجله الأرواح، وضحى فيه الكثيرون، وسقط فيه الشهداء، وعُذب فيه المعذبون في سبيل الله.

هذا الإسلام يجب أن نعرف موقفنا منه نحن المسلمين.

إن الصحابة رضوان الله عليهم لم ينشروا الإسلام بالسيف، بل انتصر الإسلام على السيف.

غزوة «بدر» كانت تحديًا للمسلمين لقربها من المدينة، «أحد» غزوة للمسلمين في المدينة، «الخندق» غزو وحصار للمسلمين، المسلمون كانوا في موقف الدفاع، هكذا.

ما شرع الله القتال إلا للذود عن الحرمات، ولضمان حرية الدعوة، تأمين الدعوة إلى الله. لا يريد الإسلام من الناس إلا أن يطلقوا حرية الدعاة: دعونا نسمع الناس كلمات الله، نسمع الناس دعوة الله، ولا شأن لنا بكم.

فإن صددتمونا عن سبيل الله، ووقفتم في وجوهنا، وقتلتم دعاتنا ـ كما حدث مع الرومان ـ فلا بد أن ندافع عن أنفسنا وعن دعوتنا وعن حرية عباد الله.

انتشار الإسلام بالقيم والأخلاق:

الإسلام ما انتصر بالسيف، إنما انتصر بالإيمان ... بالأخلاق ...

بالسلوكيات.

المسلمون فتحوا جزءًا صغيرًا في بلاد الهند - أو في السند - بالسيف، ثم عاشوا بين الناس، فدخل الناس في دين الله أفواجا. هذه الكتل الإسلامية الكبرى: في الهند وفي باكستان وفي بنغلادش، لم تدخل بالسيف، ولا رأت السيف ولا رأت جيشًا يحمل السيف.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي قط مثل: ماليزيا وإندونيسيا - أكبر بلد إسلامي الآن، مائتان مليون أو أكثر، تسعون في المائة منه مسلمون - والفلبين، ما دخلتها الجيوش الإسلامية. وما نشر الإسلام فيها عن طريق دعاة محترفين، بل عن طريق تجار عاديين!

وإفريقيا ما انتشر الإسلام فيها بالسيف ولا بالجيوش. على رأس إفريقيا «مصر»، ذهب عمرو بن العاص إليها بأربعة آلاف جندي، ليقاتلوا جيش الإمبراطورية الرومانية في مصر، وعلى رأسه المقوقس وإلى مصر واستمد ابن العاص عمر أن يبعث إليه بمدد، فبعث إليه بأربعة آلاف آخرين وعلى رأسهم أربعة رجال قال: كل منهم بألف! ثمانية آلاف رجل تفتح بلدًا وبلدًا بعيدًا عن موطن الجيش الفاتح؟! لا، ولكن الناس هم الذين رحبوا بهؤلاء الفاتحين الجدد، الذين يحملون عدل الله لعباد الله، الذين حملوا النور للبشر.

الإسلام لم ينتشر إلا بأخلاق المسلمين. الناس رأوا المسلمين، رأوا فيهم صدق الإيمان، ومتانة الأخلاق، وحسن التعامل، وإنصاف الآخرين. لم يحسوا فيهم بجبروت الفاتحين، ولا بظلم الأقوياء، أو قوة الظالمين، إنما وجدوا فيهم أناسًا جددًا غير الذين عرفوهم طوال التاريخ، فأحبوهم ودخلوا

الإسلام من أجلهم.

في مصر كان ولاة بني أمية يفرضون الجزية على من أسلم من أهلها من النصارى، ذلك لأن الولاة يقولون: إذا لم نأخذ الجزية من هؤلاء الذين يدخلون في الإسلام بكثرة وهم لا تجب عليهم الزكاة إلا بعد حول، فمن أين نجد مالًا للخزانة؟ ومن أين ننفق؟ فكانوا يفرضون عليهم الجزية وإن أسلموا! كأنما ينفرونهم من الدخول في الإسلام!

وبقي هذا إلى عهد عمر بن عبد العزيز، وأرسل إليه واليه على مصر يقول له: يا أمير المؤمنين إن من كان قبلي كانوا يفرضون الجزية على من أسلم، فماذا تقول في ذلك؟ هل أفرض على الناس الجزية وإن أسلموا؟ فبعث إليه يقول له: قبح الله رأيك، إن الله بعث رسوله هاديًا ولم يبعثه جابيًا - الدولة الإسلامية ليست دولة جباية، ولكنها دولة هداية - أسقط الجزية عمن أسلم.

هكذا انتشر الإسلام في الآفاق.

ثم انتقل الإسلام إلى أوربا عن طريق المضيق الذي سمي: مضيق جبل طارق، وإنما سمي بهذا الاسم باسم ذلك القائد المسلم طارق بن زياد، هذا القائد البربري الذي ذهب لتلك البلاد وعبر البحر، ليستجيب لدعوات من استغاثوا بالمسلمين لينقذوهم من المظالم في تلك البلاد من إسبانيا.

خصائص حضارتنا الإسلامية:

وذهب المسلمون إلى تلك البلاد، وأقاموا فيها ثمانية قرون، أنشأوا فيها حضارة عظيمة في الغرب، كما أنشأوا حضارة أخرى في الشرق، حضارة جمعت بين العلم والإيمان ... بين الرقي المادي والسمو الروحي، حضارة لم

تتنكر للعقائد، ولم تتنكر للأخلاق ولا للمثل العليا. ليست حضارة مادية كالحضارة الغربية الحديثة، ولا حضارة إباحية كما نرى، إنها حضارة علم وإيمان وعمران وأخلاق.

أقام المسلمون حضارة ربانية ... حضارة إنسانية ... حضارة أخلاقية ... حضارة عالمية، ليست حضارة قومية متعصبة. صحيح أن العرب كانوا هم قادة هذه الحضارة، ولكنها كانت حضارة عالمية شاركت فيها شعوب شتى، وشاركت فيها ديانات شتى، وسعت المسلمين وغير المسلمين، وسعت العرب والعجم، الكل شارك فيها. قدرت اختلاف الناس في الأديان فلم تجبر أحدًا على أن يترك دينه، لأن اختلاف الأديان واقع بمشيئة الله: **{وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ}** [هود: 118].

واختلاف الناس الذي يحكم فيه هو الله تعالى: **{وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ 68 ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ}** [الحج: 68، 69]، **{ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}** [الشورى: 15].

هذا التسامح الذي عرفه المسلمون لم يعرف في أمة من الأمم. كان الناس في ظل الحضارات السابقة يخضعون للدولة الفاتحة القاهرة، الإسلام لم يخضع ضمائر الناس إلا لهم أنفسهم، كل واحد وما اقتنع به، لا يجبر أحدًا على أن يدخل في الإسلام، ولو دخل أحد تحت وقع السيف لكان مكرهًا، وكان إيمانه باطلًا، لأن الإيمان الحق لا بد أن يكون عن اقتناع واختيار.

حينما آمن فرعون حيث أدركه الغرق قال: آمنت، قال: **{ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ**

قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ} [يونس: 91] لا يصلح إيمانك وأنت الآن ليس لك اختيار ولا إرادة.

وقال الله تعالى في شأن قوم نزل بهم عذاب الله: **{فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ 84 فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [غافر: 84، 85].

هكذا كان الإسلام وكان المسلمون.

انتشر الإسلام في العالم بأخلاق المسلمين ... بسلوكيات المسلمين، هذا المليار والثلث الذي نراه من أبناء الإسلام في العالم: لم يأت نتيجة السيف، وما جاء نتيجة السيف يذهب إذا سقط السيف. الناس عاشوا سبعين عامًا تحت وطأة الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وفي بولندا وفي غيرها من البلاد، ولما سقط الحكم الشيوعي إذا بالأغلبية الساحقة من الناس تسب هذا الحكم وترجع عنه، وتختار حكامًا من غير الشيوعيين، لأنهم عاشوا تحت القهر، القهر لا يدخل عقيدة في قلب، إنما دخل الناس في الإسلام مختارين.

من صفحات تاريخنا المشرق:

من نظر إلى التاريخ الإسلامي يجد أن أعظم الفترات إضاءة وإشراقًا وازدهارًا في تاريخ المسلمين هي الفترات التي يقترب فيها الناس من الإسلام، وتطبق تعاليم الإسلام إلى حد معقول.

انظر عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، انظر عصر عمر بن عبد العزيز في العهد الأموي وقد مكن الله له، مع أن حكمه لم يطل أكثر من ثلاثين شهرًا «سنتين ونصف»، ولكن لم يمت عمر بن عبد العزيز حتى

أغنى الناس! ازدهر المجتمع وعم الرخاء، حتى بعث إليه وإليه على إفريقيا - إفريقيا كان يقصد بها تونس وما حولها من تلك البلاد - يقول: يا أمير المؤمنين جمعت زكوات عندي ولم أجد فقيرًا يستحقها لا من المسلمين ولا من أهل الذمة، فماذا أصنع بها؟! فبعث إليه عمر رضي الله عنه يقول: «اشتر بها رقابًا فاعتقها». تحولت حصيلة الزكاة إلى تحرير العبيد، ليست أمريكا ولا إبراهيم لنكولن ولا هؤلاء هم الذين بدأوا بتحرير العبيد. الذين بدأوا بتحرير الإنسان من الرق هم المسلمون. في مصارف الزكاة مصرف نص عليه القرآن: **{وَفِي ٱلرِّقَابِ}**(28) في تحرير الرقاب. ولذلك حينما تغلب الناس على الفقر شرعوا يعملوا لتحرير الناس من الرق.

ونجد هارون الرشيد يخاطب سحابة في السماء - وهو جالس على عرشه - وقد أظلت سماء بغداد ثم انقشعت عنها، فقال لها: أيتها السحابة شرقي أو غربي، وأمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك! حيث أمطرت ستأتي الثمرة إلى بيت مال المسلمين، إما زكاة يدفعها المسلم، وإما خراجًا يدفعه غير المسلم. انظروا إلى الملك.

حضارتنا علمت العالم:

أقام المسلمون حضارة عظيمة كانت هي الحضارة السائدة في العالم لعدة قرون، كان المسلمون هم الأمة الأولى والعالم الأول، ليسوا العالم الثالث ولا الرابع. كان المسلمون هم أساتذة الدنيا، كان الطلاب من أنحاء العالم يأتون إلى جامعات المسلمين يتعلمون منها، كانت اللغة العربية يتحدث بها أبناء

---

(28) قال تعالى: **{إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ}** [التوبة: 60].

أوربا يظهرون بها على ثقافتهم، كما نرى ذلك اليوم: بعض الناس يتكلمون ويدخلون بعض الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية دلالة على ثقافته، فهكذا كان يفعل الأوروبيون الذين يتعلمون في الأندلس.

تعلم الأوربيون من المسلمين المنهج التجريبي الذي يتحدثون عنه ويقولون: إن آباءه «فرنسيس بيكون» و«روجر بيكون». هؤلاء تعلموا من المسلمين ومن الحضارة العربية الإسلامية هذا المنهج الاستقرائي التجريبي. لم يكن ذلك في أوربا، بل تعلموه من المسلمين.

كانت أسماء علمائنا هي أشهر الأسماء في العالم، وأسماء مراجعنا العلمية هي المعروفة عند الناس أجمعين، وجامعاتنا هي موئل الطلاب.

بعدنا عن الإسلام فتخلفنا:

كنا نحن قادة الدنيا، كنا قادة العالم، وليس ذلك في عشر سنين أو عشرين أو خمسين أو مائة، مئات السنين ... قرون عدة والمسلمون هم في مطلع القافلة، في مأخذ الزمام من القافلة لا في الذيل منها كما نحن الآن.

ثم حدث ما حدث، لأننا تخلفنا عن الإسلام.

كلما اقتربنا من الإسلام ازدهرنا وانتصرنا وقوينا، وكلنا يذكر عهد عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي. وهؤلاء الأبطال، الذين نفخوا في الأمة من روحهم، نفخوا فيها روح الإيمان والجهاد، وقاموا الصليبيين وقاموا بعد ذلك التتار وهكذا. هذه الفترات المضيئة هي التي تدلنا على أن الإسلام هو مصدر القوة لهذه الأمة.

بروز الصحوة الإسلامية:

لما بعدنا عن الإسلام ضعفنا ... تفرقنا ... تخاذلنا، خصوصًا بالنسبة للدولة. إذا نظرنا إلى الشعوب نجد - والحمد لله - هناك صحوة إسلامية، قوية، بعثت الهمم، وأحيت العزائم، وأنارت العقول، وحركت القلوب، ودفعت الناس إلى السلوك الإسلامي، شبانًا وشابات، رجالًا ونساء، لا شك في هذا.

هناك صحوة إسلامية، ولكن هذه الصحوة الإسلامية فيها بعض الشوائب، فيها أناس يشغلون بالنوافل عن الفرائض، وبالجزئيات عن الكليات، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلف فيه عن المتفق عليه.

التخطيط لضرب الصحوة:

ومن ناحية أخرى فإن خصوم الإسلام يحاولون أن يضربوا الصحوة بعضها ببعض، وأن يؤلبوا الجماعات الإسلامية بعضها على بعض، فبدل أن تقف صفًا واحدًا في المعركة كما قال الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ}** [الصف: 4]، بدل أن يقف الجميع صفًا واحدًا: يكيد بعضهم لبعض، ويحاول بعضهم أن يبني نفسه يهدم الآخرين، وهذا لا يأتي إلا بالضرر على الجميع.

ثم إن أعداء الأمة يريدون أن يضربوا هذه الصحوة كلها، لا يريدون أن تبقى لها باقية، يريدون أن يجتثوا جذورها ... أن يهدموا أسسها. لذلك أشاعوا عنها ما أشاعوا، أحيانًا تحارب باسم التطرف، وأحيانًا تحارب باسم الإرهاب، وأحيانًا تحارب باسم الأصولية، وفي كل حين يخترعون أسماء

معينة. وهم في الحقيقة إنما يحاربون الإسلام، لا يريدون للإسلام أن يعلوا له علم، أو يذكر له اسم، أو يحقق ذاته في بلاده ودياره، يريدون أن يبقى الإسلام غريبًا في أوطانه، مخذولًا بين أنصاره.

هؤلاء الأعداء يكيدون لهذا الدين كيدًا، ويمكرون به مكرًا كبارًا. والمهم أن نفطن نحن لهذا الكيد، أن نكون مستبصرين بما يدبر لنا في الخفاء، الجميع مقصود، الأمة كلها يراد أن يُهال عليها التراب، الإسلام نفسه يُراد ألا تقوم له قائمة، فلا بد أن نتنبه لهذا الأمر.

ماذا يدبر لأمتنا؟

لا بد أن نعرف: ماذا يريد الأعداء لنا؟

إن تدبير الأعداء تدبير متين، وكيدهم عظيم، وقد بدأ منذ قرن من الزمان أو أكثر. منذ مائة سنة قام المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة «بازل» بسويسرا، برئاسة «هرتزل» الذي أسس المؤسسة الصهيونية، والذي قال: إن الدولة اليهودية قد قامت، وستقوم بعد نصف قرن! وفعلًا بعد خمسين - أو واحد وخمسين - سنة قامت دولة إسرائيل. تلك الدولة التي ظللنا عدة سنين ونحن نقول عنها في الصحف: إسرائيل «المزعومة». ثم بعد مدة من الزمن خجلنا من أنفسنا، لأن هذه «المزعومة» أصبحت تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة. فكيف تصبح مزعومة وقد أوشكنا أن نكون نحن المزعومين؟!.

وها هي إسرائيل اليوم تفعل ما تفعل، تتحدى أكثر من مائتي مليون من العرب، ومليارًا وثلث مليار من المسلمين، تريد أن تغتصب القدس الشريف

... المسجد الأقصى، هذا ما تفعله. حتى المساكن الشخصية المقابلة للمسجد تستولى عليها، كما فعلت في «رأس العمود» وأين نحن؟ ماذا فعلنا؟ لم نصرخ صرخة تهز الدنيا، حتى احتجاجاتنا خافتة متهافتة، لا تسمع، ولا تبلغ. نحن أصبحنا أضعف من أن نفعل شيئًا.

الموقف العربي الإسلامي موقف هش ضعيف، والموقف الإسرائيلي موقف صلب قوي. هذا ما وجدته «أولبرايت»(29) حينما زارت المنطقة، وجدت الصلابة والبجاحة والصلف والغرور والإدعاء والاستمساك بالباطل كأنه حق في جانب إسرائيل. ووجدت هذا الكلام الذي يحتمل أكثر من وجه، والذي يقال بنعومة ولطف، والذي لا يسمن ولا يغني من جوع في الجانب العربي.

والآن القدس تتعرض للخطر، القدس تتعرض لخطر عظيم، وهذا سيكون موضوع الخطبة القادمة إن شاء الله.

القدس تتعرض لخطر عظيم، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟ وأين جند الله الذين يدافعون عن هذا الحق؟ هل نسكت ونصمت حتى ينهار المسجد الأقصى؟

الحفريات من تحت المسجد الأقصى تشكل خطرًا على المسجد، وأنا أعتقد أن اليهود يعرفون متى يسقط هذا المسجد؟ متى سينهار؟ وقد يحددون هذا اليوم في وقت ما، ونحن عن هذا غافلون، في غفلة ساهون، وفي غمرة لاهون.

---

(29) وزيرة خارجية أمريكا السابقة «في عهد كلينتون».

نسأل الله تعالى أن ينير طريقنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن ينصرنا على عدوه وعدونا، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

6- واقدساه !!

المؤامرة الكبرى لتهويد القدس(30)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

وعدتكم في الجمعة الماضية أن نتحدث عن القدس. وما لنا لا نتحدث عن القدس، وهي الآن تتعرض لأعظم الأخطار؟ القدس الآن تكاد تضيع من العرب والمسلمين.

المخطط الصهيوني لتهويد القدس ... لإزالة صبغتها العربية الإسلامية ... لتفريغها من أهلها «مسلمين ومسيحيين»، المخطط الإسرائيلي الصهيوني بدًا واضحًا للعيان.

الاستيطان اليهودي للقدس ولما حول القدس ماضٍ في طريقه، لا يبالي بالفلسطينيين، ولا يبالي بالعرب، ولا يبالي بالمسلمين، لأن المنطق للقوة، وليست القوة للمنطق، حق القوة، وليست قوة الحق هي التي تحكم هذا العالم.

اليهود بالدم والحديد والنار والعنف والإرهاب المسلح: يستطيعون أن يصلوا إلى ما يريدون، وان يحققوا ما ينشدون، فإذا قلنا: لا ... إذا صرخ منا صارخ ... إذا ضرب منا ضارب قنبلة، قالوا: هذا هو الإرهاب ... قاوموا الإرهاب ... احذروا من الإرهاب ... حطموا الإرهاب! حتى إنهم يريدون أن

---

(30) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في 1418/5/24هـ.

يوقعوا الفلسطينيين بعضهم ببعض، يريدون من السلطة الفلسطينية أن تضرب الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وديارهم وأموالهم وأعراضهم وحرماتهم ودينهم وتاريخهم ومقدساتهم، فهؤلاء - في نظرهم - إرهابيون، هؤلاء دمويون، والذين ينفذون مخططاتهم بالعنف والدم ليسوا إرهابيين.

هذا هو الذي نشهده اليوم.

إسرائيل ماضية في طريقها، والعرب يستنكرون ويصرخون في بعض الأحيان صرخات ضعيفة متهافتة، ليست صرخات عنيفة قوية مزلزلة، ثم تسكت هذه الصيحات، وتضعف هذه الصرخات إلى أن تتلاشى، وتبدأ إسرائيل في شيء جديد.

ماذا صنع الناس بعد قرية «أبو غنيم» ومستوطنة أو مستعمرة «أبو غنيم»؟

الآن أصبح الأمر يتعلق برأس العمود ... أمام المسجد الأقصى ... الدخول في المنطقة الإسلامية العربية المقدسة نفسها. ويستولى على بيت أحد الفلسطينيين الذين سافروا إلى الخارج في أمر من الأمور، ولم يكد يعود الرجل حتى وجد بيته قد استولى عليه بدعاوي عريضة ووثائق مزورة. هذا المليونير الأمريكي القادم من «ميامي» في أمريكا الذي يدعي ملكية هذا البيت: من الذي أعطاه هذا الحق؟ ومن الذي يعطي أي فرد أن يبيع ملكه؟

في مثل هذه الحالات لا يجوز لفرد أن يبيع بيته وملكه لأجنبي.

يحرم حرمة مؤكدة على كل فلسطيني أن يبيع شبرًا من أرضه لأجنبي، لا

يجوز بحال من الأحوال أن يبيعه، وخصوصًا في القدس وحول المسجد الأقصى.

من باع بيته فقد باع دينه، وباع عرضه، وباع أهله، وباع وطنه، وباع كل المقدسات.

هؤلاء يزعمون أن لهم الحق في هذا، ويضحكون علينا، ويضحكون على لِحانا ويسخرون منا حينما احتج الناس على هذا الأمر ماذا فعل «نتنياهو»؟ زعيم «نتنياهو» إنه لم يكن يعلم بهذا!! وهذا كذب، فقد ثبت أن هذا الأمر بحث في مجلس الوزراء وأقره مجلس الوزراء، ثم قال: نحن نخرج هذه الأسرة اليهودية التي تسكن هذا البيت، ونُسكن فيه طلبة من طلاب التلمود ... من الطلاب الدينيين! وهؤلاء أشد خطورة من الأسرة. على من يضحك هؤلاء الناس؟!

وإن إسرائيل ماضية في طريقها ومستمرة في هذا الطريق، ونحن - للأسف - كأنما نحن عاجزون.

الفلسطينيون، وأكثر من مائتي مليون من العرب، وأكثر من مليار وثلث مليار من المسلمين، يقفون عاجزين أمام هذا الأمر!

لماذا لا نقاوم؟

قالوا: السلام! ولا زالوا يرددون: السلام!

أي السلام؟ «نتنياهو» نفسه قال عن اتفاق «أوسلو»: إنه مات! وهم الآن يسعون إلى دفنه، ولكن جماعة منا لا يريدون أن يدفنوا هذا الميت بعد أن تعفنت جثته وأنتن وظهرت رائحته في كل أفق، لا يريدون أن يستريحوا من

هذا الميت ويدفنوه.

لا زالوا يتحدثون عن هذا السلام وإحياء السلام!

وأي سلام؟ وهل كان السلام قد بدأ من أول الأمر؟ إنه لم يبدأ سلام صحيح، والسلام العادل الشامل لم يبدأ، السلام الحقيقي لم يبدأ منذ اتفاقية «أوسلو»، وهذا ما أعلناه من فوق هذا المنبر ولا زلنا نعلنه.

كيف يتم سلام: وقضية القدس معلقة، وقضية اللآجئين المشردين بالملايين من أبناء فلسطين معلقة، وقضية الحدود معلقة، وقضية المستوطنين - الذين يدخلون البلد لليلة أو ليلتين فيستمرون فيها كما فعلوا في الخليل وكما يريدون أن يفعلوا الآن في رأس العمود - معلقة؟!

قضية القدس لا زالت معلقة إلى اليوم. اليهود يريدون أن يغيروا المدينة تغييرًا كليًا ... تغييرًا جذريًا جوهريًا، ثم يأتون في النهاية ويقولون: هذه بلدة ليس فيها عرب وليس فيها مسلمون، هذه لا يوجد فيها إلا أفراد معدودون! بعد أن يعملوا بكل ما يستطيعون على تفريغها من أهلها.

لا يسمحون لأحد بالتوسع ... ببناء دار، بينما يسمحون لليهود أن يبنوا في كل مكان، حتى أصبحت القدس محاطة بالقرى اليهودية.

نحن للأسف نواجه هذا ونحن صامتون صمت القبور، وإذا تكلمنا تكلمنا بصوت خفيض، وإذا عمل بعض أبنائنا شيئًا للرد على هذا المنكر قام منا من يدينوهم وينكر عليهم!

ماذا يفعل المظلوم؟ المظلوم من حقه أن يصرخ.

من الناس من يقولون للمضروب: لا تصرخ، قبل أن يقولوا للضارب: لا تضرب! وهذا ما رأيناه عند أمريكا وغيرها من القوى العظمى، يريدون للعرب أن يستسلموا ولا يقولون لإسرائيل: كفى عن عدوانك!

الحفريات تحت المسجد الأقصى مستمرة، ونحن الآن في ذكرى مرور عام على فتح النفق تحت المسجد الأقصى الذي قاومه الفلسطينيون واستشهد فيه نحو «ثمانية وثمانين» من أبناء فلسطين. ولا زالت الحفريات مستمرة، وقد سمعت بأذني من أحد الإخوة: الشيخ رائد صلاح - رئيس بلدية أم الفحم في فلسطين المحتلة ورئيس الحركة الإسلامية هناك - وهو يقول: إنه أتيحت له فرصة أن يرى هذه الحفريات بنفسه - بحكم وجوده في إسرائيل ورئاسته لإحدى البلديات - وإنها توشك أن تؤذن بانهيار المسجد خلال سنوات.

وهذا ما قلته وأعلنته مرارًا، قلت: إن إسرائيل تعرف متى سينهار المسجد الأقصى ومتى سيتهاوى بناؤه، تعرف هذا ولكنها موقتة الوقت المعلوم الذي تعلن فيه هذه الحقيقة، وتسحب فيه بعض الأعمدة فينهار هذا المسجد.

ستختار الوقت المناسب حينما لا يستطيع العرب ولا المسلمون أن يفعلوا شيئًا إلا الصراخ.

أين المسلمون؟

إن حريق المسجد الأقصى سنة (1969م) جعل المسلمين يتنادون بقمة إسلامية من أجل المسجد الأقصى، كان ذلك في أيام الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، الذي دعا إلى عقد أول مؤتمر قمة إسلامي، واجتمع الملوك والرؤساء والأمراء من كل بلاد الإسلام في المغرب، وأدى

ذلك إلى إقامة «منظمة المؤتمر الإسلامي».

الآن الأمر أخطر من حريق المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى وقبة الصخرة والقدس كلها ستذهب، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟ لا زالوا يلهثون ويلهثون ويلهثون وراء هذا السراب الذي سمي «بالسلام»، وهو { **... كَسَرَابِۢ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ...** } [النور: 39].

يلهثون وراء هذا السراب، وإسرائيل لا تعترف به ولا تهتم به، ولكن نحن الذين نتشبث به. نتشبث بهذه الحبال الواهية ونركض وراءها هنا وهناك من أجل الإبقاء على شيء لا قيمة له.

إسرائيل لا تهتم بأي اتفاق، و«نتنياهو» يقول: نبدأ اتفاقية جديدة. كأن الاتفاقية القديمة لم تكن مع دولة «إسرائيل»؟! وهذا ما ذكره الله تعالى عن هؤلاء وأمثالهم: {**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ 55 ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ**} [الأنفال: 55، 56]، نزلت هذه الآيات في يهود الأمس في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ويهود اليوم هم نسخة من آبائهم، إنهم على سنتهم وعلى آثارهم يهرعون.

يا أيها الإخوة المسلمون!

إن القدس تضيع منا، فأين موقفنا؟

مكانة القدس في الإسلام:

اليهود يدعون أن لهم حقًّا دينيًا وحقًّا تاريخيًا في القدس، ومن يقرأ التوراة

وملحقات التوراة لا يجد فيها أي تقديس للقدس، ولا أي اهتمام بها. على خلاف الأمر عندنا نحن المسلمين، القدس والمسجد الأقصى له في عقيدتنا وشريعتنا وعباداتنا وأذكارنا مكان كبير.

1- **القدس هي القبلة الأولى:** صلى المسلمون بعد فرض الصلاة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات صلوا ثلاث سنوات وقبلتهم بيت المقدس، وبعد الهجرة أيضًا ظلوا ستة عشر شهرًا يصلون إلى بيت المقدس حتى حول الله القبلة إلى البيت الحرام. وأحدث اليهود ضجة على هذا التحويل وقال من قال: إن صلاة المسلمين السابقة ضاعت لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة، وقال الله تعالى: { **... وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ**} [البقرة: 143].

وفي المدينة المنورة معلم أثري بارز اسمه «مسجد القبلتين»، صلى فيه المسلمون إلى المسجد الأقصى ولما بلغهم الخبر «أن القبلة غيرت» تحولوا في نفس الصلاة إلى القبلة الجديدة.

2- **والقدس أرض الإسراء والمعراج:** وهذا ما ذكره القرآن وفيه سورة سميت بهذا الاسم: «سورة الإسراء»، وبدأت بهذه الآية: {**سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ ...** } [الإسراء: 1]. لم يوصف المسجد في مكة إلا بأنه المسجد الحرام، ولكن المسجد الأقصى ذكره الله بالبركة «الذي باركنا حوله»، وإذا كان ما حوله مباركًا فأولى أن يكون هو مباركًا.

كان الإسراء إلى هذه الأرض، ثم كان المعراج منها، وهذا يدل على أن

الرحلة إلى هذه الأرض مقصودة، كان يمكن أن يتم المعراج من مكة ... من المسجد الحرام إلى السموات العلى، ولكن الله تعالى أراد لرسوله أن يمر على القدس ويصلي إمامًا بالأنبياء، ويؤذن بالتغيير الجديد في القيادة الدينية للعالم، وأنها انتقلت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل ... إلى أمة جديدة ... أمة عالمية هي خير أمة أخرجت للناس، ليست أمة عنصرية.

وأراد الله بهذه الرحلة الربط بين المسجدين المعظمين: «المسجد الحرام» مبتدأ الإسراء و«المسجد الأقصى» منتهي الإسراء، ليظل في وجدان الإنسان المسلم الارتباط بين المسجدين المعظمين، فالتفريط في أحدهما يؤذن بالتفريط في الآخر.

القدس أرض الإسراء والمعراج، ومن الذكريات حائط البراق، ومسجد الصخرة، وهذه كلها من ذكريات الإسراء والمعراج.

3- والقدس كذلك هي أرض البركات والنبوات: وصف الله أرض فلسطين كلها بالبركة في خمس آيات من كتابه العزيز: **{ ... مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ... }** [الإسراء: 1]، وقوله عن إبراهيم: **{ ... وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ}** [الأنبياء: 71]، وقوله عن سليمان **{وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا ... }** [الأنبياء: 81].

بل قال عدد من المفسرين: إن قوله تعالى: **{وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ}** [التين: 1] يقصد أرض التين والزيتون وهي أرض بيت المقدس، بدأ الله بالقسم بها، هذا ذهب إليه عدد من كبار المفسرين. وبهذا تتناغم وتنسجم هذه الأقسام الثلاثة:

{وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ} الأرض التي ظهر فيها عيسى عليه السلام، **{وَطُورِ سِينِينَ}** [التين: 2] الأرض التي كلم الله عليها موسى عليه السلام، **{وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ}** [التين: 3] الأرض التي ظهرت فيها نبوة محمد عليه الصلاة والسلام.

فهذه مكانة القدس.

4- **والقدس كذلك هي أرض الرباط والجهاد:** فقد أعلم الله رسوله أن هذه الأرض ستتعرض للغزو والاحتلال، وعلى المسلمين أن يرابطوا فيها ويجاهدوا الأعداء ويقاوموهم حتى لا يحتلوها، وإذا احتلوها جاهدوهم حتى يحرروها، وفي هذا جاء الحديث الذي رواه الإمام أحمد في «المسند» عن أبي أمامة الباهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء** «أي ما أصابهم من أذى وعنت» **حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**». قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس، وأكتاف بيت المقدس**»(31)، هذه الطائفة المرابطة في سبيل الله.

فهذه منزلة القدس في الوجدان الإسلامي ... في الضمير الإسلامي ... في الوعي الإسلامي ... في الاعتقاد الإسلامي.

5- والقدس - أيضًا - ثالث المدن المعظمة في الإسلام:

---

(31) رواه عبد الله بن أحمد عن أبيه في «المسند» (269/5)، كما أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (288/7) وقال: رواه عبد الله «ابن الإمام أحمد» وجادة عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات وفيه: «**إلا من جابههم**» ولعلها غلط ناسخ أو طابع.

المدن المعظمة عندنا:

1- مكة المكرمة: فيها بيت الله الحرام والمسجد الحرام.

2- والمدينة المنورة «طيبة»: التي شرفها الله بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وضمت رفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3 - والمدينة الثالثة المعظمة في الإسلام هي: مدينة «القدس» التي تضم المسجد الأقصى.

وهذه هي المساجد المعظمة في الإسلام، والتي أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا تشد الرحال إلا إليها. كل المساجد متساوية في المثوبة إلا هذه المساجد الثلاثة، أي مسجد صليت فيه فالمثوبة واحدة إلا أن تذهب إلى مسجد لتسمع فيه خطيبًا، أو تحضر فيه درسًا، أو تلقى فيه أخًا صالحًا أما الصلاة فهي متساوية في كل المساجد إلا هذه المساجد الثلاثة، كما قال الحديث: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[32] أي لا يجوز أن ينوي الإنسان السفر ويعزم على الارتحال للصلاة في مسجد معين بقصد زيادة المثوبة فيه، إلا هذه المساجد الثلاثة، وكل المساجد متساوية.

فهذه المدينة ... مدينة المسجد الأقصى تتعرض الآن لهذا الخطر، فأين

---

(32) رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة. ورواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه، عن أبي سعيد الخدري. ورواه ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص «فيض القدير» للمناوي (403/6) برقم (9802).

المسلمون؟ أين العرب؟ أين الرجال الذين يبيعون أنفسهم لله؟

لا حل إلا الجهاد:

والله لا يمكن أن يقاوم هذا الطغيان الصهيوني إلا القوة ... إلا الجهاد ... إلا المقاومة ... إلا الانتفاضة.

لقد مضى على ذكري الانتفاضة عشر سنوات. هذه الانتفاضة هي التي لفتت أنظار العالم شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، وهي التي أسفرت عن جيل الحجارة الذي كان يقاوم بالحجارة، وأسفرت عن المقاومة الإسلامية «حماس» والجهاد الإسلامي.

لقد قال من قال: إنه لم نعد نحن بحاجة إلى الانتفاضة بعد أن حققنا السلام! وأسكتوا صوت الانتفاضة بدعوى السلام المزعوم، ولم نر لهذا السلام أثرًا.

يجب أن تعود الانتفاضة كما كانت، وأقوى مما كانت. يجب أن نقاوم التسلط اليهودي، والبغي اليهودي، والطغيان اليهودي على حقوق الناس، وعلى حقوق الإسلام، وعلى حقوق المسيحية، وعلى حقوق المسلمين وعلى حقوق المسيحيين، ولا يقاوم الطغيان إلا بالقوة.

صحيح ليست لدينا ترسانة نووية كما عند إسرائيل. ولا نملك من الأسلحة ما تملكه إسرائيل، ولكنا نملك الحق، والحق أقوى من القوة. الحق يظل دائمًا أقوى من القوة إذا استمسكنا بعراه، وتجمعنا عليه، ولم نتنازل عنه، ولم نفرط فيه.

لماذا تنتصر علينا إسرائيل؟

تنتصر علينا إسرائيل لأنها تصمم ونحن مسترخو العزائم، إسرائيل مصممة على أن تصل إلى ما تريد وتنفذ، ولكن عزائمنا رخوة.

إسرائيل تخطط لما تريد، وتعمل على تنفيذ تخطيطها، ونحن نرتجل ولا نخطط، ولا نجد من يخطط لنا. دائمًا نشكو أننا أسرى مخطط جهنمي يكيد لنا ويمكر بنا ويفعل بنا كذا وكذا، وهل هذا عذر لنا؟ إلى متى يخطط لنا ولا نخطط لأنفسنا؟ أليس لنا عقول؟ لنا - والله - عقول نستطيع أن نخطط بها.

ولكن هنا أيضًا: إسرائيل متجمعة ونحن متفرقون، إسرائيل على قلة عددها مجتمعة القلب والفكر والعزم، إسرائيل على قلب رجل واحد، كل إسرائيل، لا تظنوا أن هناك فرقًا جوهريًا بين «العمل» و«الليكود»، كلا الحزبين متفق على ما يريد، ولكن الخلاف: متى نؤجل هذا ومتى نعلن هذا؟ الخلاف في الوسائل أو في بعض الوسائل، أو في الإعلان، أو في كيفية معالجة الأمور بما لا يثير. إنما الكل متفقون على أن يبتلعوا القدس، الكل متفقون على أن لا يبقى باقية للعرب والمسلمين في القدس الشريف.

اليهود مجتمعون ونحن متفرقون للأسف والتفرق يضعف الكثرة، والاتحاد يقوي القلة.

اليهود يبذلون ونحن لا نبذل، اليهود الذين وصفوا بالجبن والبخل: { ... **أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ ...** } [البقرة: 96]، {**لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭ ...**} [الحشر: 14]، وهم عباد الذهب ... عباد العجل الذهبي، هؤلاء أصبحوا يبذلون، ويدفعون الملايين، ويدفعون الأنفس، ونرى المستوطنين يقاتلون ويقاومون.

هم تغيروا ونحن تغيرنا. هم تغيروا إلى الأحسن، ونحن تغيرنا إلى الأسوأ والعياذ بالله.

ولكن هذه الأمة لا تخلو من رجال صادقين، هؤلاء الشباب الذين يضحكون بأنفسهم في عملياتهم الاستشهادية من أجل أن يسمعوا العالم صوت وطنهم وصوت قضيتهم. هؤلاء الشباب الذين يستشهدون في سبيل الله، يسعى أحدهم إلى الموت ركضًا، لا يبالي أسقط على الموت أم سقط الموت عليه، وهو ينشد:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا   على أي جنب كان في الله

هذا الشباب وحده هو الأمل، هو موضع الرجاء، هو الذي يستطيع أن يسمع إسرائيل صوت الحق وكلمة الحق.

لن تسمع إسرائيل الاحتجاجات، ولا الاستنكارات، ولا المذكرات، ما دامت عندها الأسلحة النووية والترسانة العسكرية، وما دامت تؤيدها أمريكا: المال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي مع إسرائيل.

ماذا نملك نحن أمام هذا؟ نملك الإيمان بحقنا، نملك الاعتماد على ربنا، ثم نملك الاعتماد على أنفسنا. والله إنّا لنستطيع أن نفعل الكثير، نستطيع أن نقف صفًا ندافع عن القدس.

لو كان لنا خلافة، لو كان لنا خليفة أو إمام مُبايع من المسلمين، ونادى المسلمين: يا مسلمون هبّوا لنجدة الأقصى، لهبّ المسلمون من كل مكان وذهبوا إلى هذا المسجد ووقفوا ضد اليهودي، وليقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف، لكن لا يستطيع أن يقتلوا كل المجاهدين ولا أن يواجهوا كل

المسلمين.

المشكلة أننا متفرقون، وليس لنا قيادة، والذين سعوا في إزالة هذه القيادة العالمية هم الصهاينة.

حاول «هرتزل» مؤسس المؤتمر الصهيوني العالمي - ومؤسس الصهيونية العالمية - الرسمية - أن يغري السلطان عبد الحميد - آخر سلاطين آل عثمان أو قبل الأخير - بالمال ... بالرشوة ... بالملايين من الليرات الذهبية، شيء لجيبه وشيء للدولة، ولكن الرجل رفض وقال: والله لا أستطيع أن أعطيكم شبرًا من فلسطين وأنا حي، هذه أرضي وأرض شعبي وأرض آبائي وأجدادي ولا يمكن أن أفرط فيها.

ولذلك قال «هرتزل»: أنّه لم يعد لنا خيار أمام تعنّت هذا الرجل وصلابته إلا أن نزيحه. وكانوا أن تآمروا مع القوى التركية العلمانية فأزاحوا هذا الرجل، وجاءوا بحزب «الاتحاد والترقي»، الحزب العلماني القومي الطوراني الذي يقف ضد العرب والعروبة والإسلام.

ذكريات مريرة في هذا العام:

يا أيها الإخوة:

نحن في هذه السنة نذكر ذكريات عدة، كلها ذكريات مريرة.

نذكر مرور مائة سنة على المؤتمر الصهيوني الأول، قرن كامل مر على هذا المؤتمر الذي عقد في مثل هذه الأيام سنة (1897م) وأعلن فيه «هرتزل»: أنّ الدولة اليهودية ستقوم بعد نصف قرن، وقامت بالفعل.

ونذكر أيضًا مرور ثمانين عامًا على وعد «بلفور» الذي صدر في الثاني من نوفمبر سنة (1917م) أيام الحرب العالمية الأولى. و«بلفور» هو وزير خارجية بريطانيا، وقد وعد اليهود بإقامة وطن قوميّ لهم في فلسطين! وعلّق على ذلك من علّق: بأن من لا يملك وعد من لا يستحق! الذي لا يملك - وهو بريطانيا - تعطي أرضًا غير أرضها لمن لا يستحقها!

وعلّق على ذلك مفتي فلسطين الأكبر المجاهد الكبير الحاج أمين الحسيني رحمه الله بكلمته الشهيرة: إن فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتى تستقبل شعبًا بغير وطن.

مرّ على هذا الوعد ثمانون عامًا.

ومرّ نصف قرن على قرار تقسيم فلسطين سنة (1947م)، وهو القرار الذي رفضه العرب، والآن يتمنون لو تحقق هذا التقسيم. لأن التقسيم ما أعطاه للعرب أكثر بكثير جدًّا مما لهم اليوم، ولكن العرب رفضوه، وكان من حقهم أن يرفضوه، كيف تقسم وطني بيني وبين إنسان دخيل عليّ جاء من أرض غريبة؟! هل يستطيع الإنسان أن يقسم وطنه؟ هل يستطيع الإنسان أن يقسم زوجته بينه وبين غاصب آخر: لي أيام ولك عدة أيام؟! هناك أشياء لا تقبل القسمة.

مرّ خمسون عامًا على قرار تقسيم فلسطين الذي كان تمهيدًا لقيام دولة «إسرائيل» بعد ذلك بسنة سنة (1948م).

وتمرّ بنا ذكرى ثلاثين عامًا على حرب الأيام الستة المشهورة ... الهزيمة الكبرى ... هزيمة حزيران أو يونيو 1967م.

مرّت ثلاثون سنة على هذه الذكرى الأليمة التي سمّوها «النكسة». ولا أدري لماذا سمّوها النكسة؟ هي نكبة كبرى أصابت الأمة بعد نكبة سنة 1948م. ولذلك سميتها في كتاب لي «النكبة الثانية»(33).

النكبة الأولى سنة 1948م حينما أُخرج الفلسطينيون من ديارهم وقامت دولة إسرائيل، والنكبة الثانية هي هذه نكبة 1967م.

وتمرّ بنا ذكرى أخرى وهي مرور عشرين عامًا على زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل سنة (1977م). وكانت هذه بداية الخلل في وحدة الموقف العربي. كان العرب يقفون صفًا واحدًا حتى بدأت هذه الزيارة.

والآن بعض الناس يقولون: ليتنا قبلنا ما سعى إليه السادات! كأننا ننزل من سيء إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشدّ سوءًا، هكذا ننحدر دائمًا.

هذه ذكريات مريرة تمرّ على أمتنا.

والآن ما الحل؟

ما الحل؟ وما العلاج؟

لا نجد أمام الصلف الإسرائيلي، والاستكبار الإسرائيلي، والغرور الإسرائيلي، والفجور الإسرائيلي، إلا الجهاد.

لا يمكن أن نقبل مع هؤلاء شيئًا حتى نسترد حقنا، وذلك ما دعا إليه مجلس جامعة الدول العربية من استمرار المقاطعة مع إسرائيل ومقاومة التطبيع مع

---

(33) هو كتاب للشيخ اسمه «درس النكبة الثانية ... لماذا انهزمنا؟ وكيف سننتصر؟» طبع مكتبة وهبة بالقاهرة. والرسالة ببيروت.

إسرائيل ...

لا يجوز أن نطبّع العلاقات مع إسرائيل.

كيف يكن الشيء غير الطبيعي طبيعيًا؟ كيف يطبع الإنسان علاقاته مع عدوه؟!

ولهذا على كل منا فريضة: أن يقاطع بضائع إسرائيل، وأن يقاطع كل ما يجيء من إسرائيل. لا نطبع العلاقات معها لا سياسيًا ولا ثقافيًا ولا اقتصاديًا ولا اجتماعيًا ولا بأية طريقة من الطرق(34).

لقد رفضت حينما سئلت: أيذهب المسلم إلى إسرائيل ليصلّي في المسجد الأقصى؟ قلت: لا، لا يصلّي في المسجد الأقصى تحت العلم الإسرائيلي ... تحت الراية الصهيونية.

لا ندخل ويختم على جوازنا ختم إسرائيل. الفلسطينيون يفعلون ذلك بحكم وضعهم، إنما لا يجوز لمسلم غير فلسطيني أن يذهب إلى الصلاة والراية الإسرائيلية مرفوعة خفّاقة.

ندّخر ذلك ولا نصلّي، لكن عندما يتحرّر المسجد الأقصى نهرول إليه لنصلي فيه، كما كان يتمنّى الملك فيصل رحمه الله: أن يصلّي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرر من يد الصهيونية ويعود إلى يد أهله العرب

---

(34) للشيخ القرضاوي في ذلك فتوى كان لها الأثر القوي في مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، تجاوب معها المسلمون في شتى بقاع الأرض، ونوهت بها وسائل الإعلام العربية والإسلامية، تراجع الفتوى في كتابه «فتاوى معاصرة» الجزء الثالث طبعة دار القلم - والمكتب الإسلامي.

المسلمين(35).

إننا نناشد العالم كله: نناشد الفلسطينيين جميعًا بكل فصائلهم، ونناشد العرب مسلميهم ومسيحييهم - وقد حضرت مؤتمرًا في بيروت تحت عنوان: مسلمون ومسيحيون معًا من أجل القدس - ونناشد المسلمين عربهم وعجمهم - فالمسجد الأقصى ليس للعرب هو لكل المسلمين - ونناشد الأحرار الشرفاء في كل هذه المعمورة فوق الكرة الأرضية، أن يقفوا مع أبناء القدس، أن يقفوا مع الحق، أن يقفوا مع العدل، ضد الظلم والبغي المتمرد الذي تمثله القوة الإسرائيلية الصهيونية.

نناشد الأحرار جميعًا أن يتكاتفوا في وجه هذا الظلم، حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد:

فطالما ناديت من فوق هذا المنبر بأنه إذا لم يكن لنا خلافة ولا خليفة ولا إمام ينادي المسلمين: أن هبّوا لإنقاذ الأقصى، فينبغي أن يكون البديل المؤقت عن ذلك: مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين، يمثل علماء المسلمين في المشرق

---

(35) راجع فتوى الشيخ كاملة تحت عنوان «السفر إلى المسجد الأقصى» في الجزء الثالث من «فتاوى معاصرة».

والمغرب، في أرض الإسلام جميعًا[36]. يجتمع هذا المؤتمر ليبحث قضية المسجد الأقصى وواجب المسلمين نحوها، وينشيء صندوقًا لإعانة المسلمين وتوطين المسلمين في المسجد الأقصى، وتوطين العرب حتى مسيحييهم في القدس، حتى لا يهاجروا تحت الضغط الإسرائيلي والاضطهاد الإسرائيلي.

لا بد أن ينشأ هذا الصندوق، وتنشأ هيئة عليا لإنقاذ الأقصى، هيئة عالمية إسلامية لا تمثل العرب وحدهم، بل تمثل العرب والمسلمين، وحتى الأحرار من أبناء العالم كله.

نريد أن لا يمر ما تفعله إسرائيل دون أن نقف موقفًا إيجابيًا ضد هذا العدوان الصارخ المتأله المستفز المتحدي الذي لا يبالي بأحد، ولا يبالي بأمم متحدة، ولا يبالي بمؤتمر إسلامي، ولا يبالي بجامعة عربية، ولا يبالي بفلسطين، ولا يبالي باتفاقيات، إنه يبالي بشيء واحد هو «القوة العسكرية»، ويقول ويفعل، ويريد وينفذ ما يريد تحت أسنّة الرماح والسلاح.

لا بد أن نقف موقفًا إيجابيًا والله معنا، ولن يترنا أعمالنا، ونحن نؤمن بأن الحق لنا، قد نكون قد غُلبنا في هذه المرحلة، ولكن التاريخ دوّار، والأيام دول، { **... وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ...**} [آل عمران: 140]، ودوام الحال من المحال، وإن مع اليوم غدًا، وإنّ غدًا لناظره قريب { **... إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ**} [هود: 81]؟

اللهنم انصر عبادك المؤمنين، اللهم انصر عساكر الموحدين، اللهم انصر

---

(36) للشيخ القرضاوي جهود حثيثة لإنشاء «اتحاد عالمي لعلماء الإسلام» ليقف علماء الإسلام موقفًا موحدًا في قضايا الأمة الهامة، والاتحاد على وشك التأسيس والإنشاء.

حزبـك المفلحـين. اللهـم انصـر إخواننـا المجاهـدين فـي فلسـطين، وإخواننـا المجاهدين في لبنان، اللهم أيّدهم بـروح مـن عنـدك، وأمـدّهم بمـلأ مـن جنـدك، واحرسـهم بعينـك التـي لا تنـام، واكلأهـم فـي كنفك الـذي لا يضـام. اللهـم أيّـد إخواننا المجاهدين في كل مكان، وأنقذ إخواننا المضطهدين في كل مكان.

{ ... رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

عبـاد الله، يقـول الله تعـالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبـارك علـى عبدك ورسولك محمد، وعلـى آلـه وصـحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *

7- القدس عربية إسلامية(37)

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

الكلام عن القدس لا ينتهي:

لا زال حديثنا عن القدس موصولًا، وينبغي أن يستمر حديثنا عن القدس وعن فلسطين ... عن أرض النبوّات والبركات ... عن أرض الإسراء والمعراج ... عن أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ... عن القبلة الأولى ... عن أرض الرباط والجهاد.

ينبغي أن يظل حديثنا عن هذه القضية ما دامت هذه القضية ساخنة، وما دامت المؤامرات تُحاك لتهويد القدس ... لإخراجها من الدائرة العربية الإسلامية. لتصبح يهودية خالصة.

تهويد القدس هو المؤامرة الكبرى التي تحاك الآن عن طرق شتّى، منها طريق المستوطنات، ومنها الحفريات - التي لا تزال تعمل عملها ليل نهار، وصباح مساء، وصيف شتاء - تحت المسجد الأقصى. ولا ندري أيّ وقت حدّده اليهود لينهار فيه هذا المسجد ويقع، ويصبح أنقاضًا، والمسلمون يتفرّجون، وقد يصرخون ويحتجون، ولكنّهم لا يصنعون شيئًا.

يجب أن يظل حديثنا عن القدس وعن إسرائيل التي تدبر أمرها للقدس، وتبيّت مكيدتها للقدس، والعرب في غفلة لاهون، والمسلمون في غمرة

---

(37) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة في 1418/6/2هـ الموافق 1997/10/3م.

ساهون، مختلفون فيما بينهم واليهود قد أجمعوا أمرهم.

إن القدس عربية إسلامية، ويجب أن تظل عربية إسلامية. وفلسطين عربية إسلامية، ويجب أن تظل عربية إسلامية.

يدّعي اليهود حقوقًا لهم في فلسطين وفي القدس، ولكنّها دعاوي لا يسندها حقّ، ولا يسندها منطق، ولا يؤيدها دليل معتبر، لا من دين ولا من تاريخ.

هل لليهود حق ديني في فلسطين؟

يدّعي اليهود أنّ لهم حقًّا دينيًا بمقتضى وعد وعده الله تعالى لإبراهيم ومن بعده إسحاق ومن بعده يعقوب، أنّه سيعطيهم الأرض المقدسة لهم ولنسلهم! ولكن إبراهيم مات وعمره مائة وخمس وسبعون سنة، وإسحاق مات وعمره مائة وثمانون سنة، كما تحكي التوراة والله أعلم، ويعقوب من بعدهما. لم يملك أحد من هؤلاء من فلسطين شبرًا واحدًا، عاشوا فيها غرباء مهاجرين ولم يكن لهم فيها قدم راسخة، حتى إنّ سارة زوج إبراهيم عليه السلامب حينما ماتت لم يكن يملك أرضًا يدفنها فيها، فطلب من أحد الفلسطينيين أن يعطيه مكانًا لقبرها، فأعطاه مكانًا في مغارة تسمى مغارة «الماكفيلا»، وتبرع الرجل لإبراهيم بهذه الأرض، ولكن إبراهيم أبى إلا أن يشتريها منه، فهل يشتري الإنسان ملكه؟!

وهكذا عاش إبراهيم وعاش ابنه إسحاق وعاش حفيده يعقوب، ومعروف أن يعقوب مات في مصر حينما ذهب هو وبنوه إلى يوسف حينما قال: **{ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ}** [يوسف: 93] وجاء يعقوب وذريته ودخلوا مصر وعاشوا فيها كما تقول التوراة

أربعمائة وثلاثين عامًا.

عاش إبراهيم وإسحاق ويعقوب في أرض فلسطين مائتين وثلاثين عامًا، جاءوا من العراق، لم تكن هذه أرضهم، جاءوا غرباء ولم يكن لهم فيها أي ملك لأنهم كانوا رعاة: كانوا بدوًا يرعون الأغنام والإبل وهذه الأشياء، فلم يكونوا في حاجة، كانوا رُحّلًا، وهكذا حينما ذهبوا إلى ملك مصر قالوا له: نحن قوم رعاة، فأعطاهم أماكن خارج المدن، ثم عادوا إلى فلسطين بعد موسى عليه السلام.

دعوى الحق التاريخي:

أراد موسى أن يدخل هذه الأرض المقدسة التي كتب الله لهم دخولها - ولم يكتب لهم البقاء فيها - ومع هذا حينما قال لهم موسى: **{يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ}** [المائدة: 21] لم يستجيبوا لموسى، موسى الذي أنقذهم الله على يديه، وأغرق فرعون وجنوده أمام أعينهم، وضرب البحر بعصاه فتركه يبسًا، موسى هذا لم يستجيبوا لدعائه ليجاهدوا من أجل دخول الأرض و**{قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ}** [المائدة: 22]! وكرروا هذا: **{قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ}** [المائدة: 24]. وانظروا إلى سوء الأدب: «فاذهب أنت وربك» كأنه ليس ربهم، كأنه رب موسى وحده. فقال موسى في أسف وحسرة: **{ ... رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ 25 قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ}** [المائدة: 25، 26]. حرم الله عليهم دخولها أربعين سنة،

وبقوا في التيه في صحراء سيناء، ولذلك لم يدخلوها إلا بعد وفاة موسى، دخلوها مع «يوشع» أو كما تسميه التوراة «يشوع»، ونقول عنه في كتبنا: يوشع بن نون.

دخلوا بعد وفاة موسى وحدث ما حدث لهم، ولم تقم لهم دولة في فلسطين إلا بعد ذلك بمئات السنين في عهد شاؤول وداود وسليمان، ثم انقسمت دولتهم أو مملكتهم بعد سليمان عليه السلام إلى دولتين يحارب بعضهما بعضًا: دولة «يهوذا» في القدس ودولة «إسرائيل» في نابلس. استمرت دولة يهوذا أربعمائة وأربعًا وثلاثين عامًا ثم جاء «سرجون» ملك بابل فحطم دولتهم وأسرهم وفعل بهم الأفاعيل. وبقيت الدولة الأخرى مائتين وثمانيا وتسعين عامًا إلى أن جاء بختنصر - أو نبوخذ نصّر - وقضى على بقية الباقية من مملكة إسرائيل. يعني: إحدى الدولتين بقيت (434) سنة والأخرى (298) سنة، هذا كل ما كان لدولة إسرائيل في القدس.

انتهت دولتهم منذ خمسة قرون - أو أكثر - قبل الميلاد، والآن بعد خمسة وعشرين قرنًا جاءوا يقولون إنّ لنا حقًا تاريخيًا! أيّ تاريخ لكم؟! بقيتم في فلسطين أصحاب دولة أربعة قرون ونصف، ومن كان في فلسطين قبلكم؟

كان العرب الكنعانيون، وقبل الكنعانيين كان العرب اليبوسيون. فالعرب هم أصحاب هذه الأرض، والمسلمون ملكوها منذ أربعة عشر قرنًا. وحينما دخلها المسلمون لم يكن فيها يهودي واحد، فإن الرومان حرّموا على اليهود أن يدخلوا القدس، وحينما ذهب عمر لفتح المدينة كان من شروط الصلح والاتفاقية: ألا يساكن اليهود أهلها. فالمسلمون لم يأخذوها منهم، ولم يكونوا فيها بل كان محرمًا عليهم دخولها، فأي حق تاريخي لهم؟!

ثم المؤرخون يقولون: إنهم حتى في أعظم أوقات ممالكهم اتساعًا، لم يملكوا إلا أجزاء من فلسطين، لم يملكوا فلسطين كلها في أي وقت من الأوقات، إلا في هذا العصر بعد حرب حزيران - أو يونيو - 1967م.

فأين الحق التاريخي وقد ذهبت دولتهم ثم انتهى وجودهم نهائيًا؟! ذهبت دولتهم بالضربة البابلية ... بانتصار بابل عليهم وسحقهم سحقًا، ثم انتهى الوجود اليهودي من فلسطين بقضاء الرومان عليهم قضاءًا نهائيًا وتفريقهم شذر مذر وتقطيعهم في الأرض كما قال الله تعالى: **{وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ 167 وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا ... }** [الأعراف: 167، 168]. قطّعهم الله في الأرض جماعات وفرقًا، تفرقوا شذر مذر هذا هو الحق التاريخي.

من المقصود بنسل إبراهيم؟

ويقولون لنا حق ديني بهذه الوعود لإبراهيم ونسل إبراهيم! فما معنى نسل إبراهيم؟ هل نسل إبراهيم هم ذريته من صلبه أم هم المؤمنون الذين يتبعون نهجه ويسيرون على ملته؟ إن الأولى بمنطق النبوة ومنطق الرسالة ومنطق الخلة التي لإبراهيم **{ ... وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا}** [النساء: 125] أن يكون أولى الناس به هم المؤمنون، وليس أبناءه من صلبه، فقد قال الله تعالى: **{ ... وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ}** [الصافات: 113] **{وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}** [البقرة: 124] إذا ظلمت ذريتك أو أساءت فلا حق لها، والقرآن يقول: **{إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ}** [آل عمران: 68].

فلو كان هذا لنسل إبراهيم، فنسل إبراهيم الحقيقيون هم المؤمنون بالحنيفية الإبراهيمية: { ... أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا ...} [النحل: 123]، {قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ} [الأنعام: 161]. فنحن أولى الناس بإبراهيم.

ثم من ناحية أخرى: لو كان المقصود بنسل إبراهيم ذريته من صلبه، لماذا لم يدخل إسماعيل عليه السلام في هذه الذرية؟! لماذا أخرج اليهود إسماعيل من ذريته، وهو ابنه الأول، ابنه البكر؟! {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ} [إبراهيم: 39]، لماذا تكون أرض فلسطين لذرية إسرائيل - وهو يعقوب عليه السلام - ولا تكون لذرية إسماعيل عليه السلام؟! هذا ليس منطقًا، لماذا يُحابي الله إسرائيل أو إسحاق على حساب إسماعيل؟![38].

حقيقة وعد الله لليهود بفلسطين:

ثم من ناحية ثالثة: كيف يعد الله قومًا بأرض ليست لهم ويأخذها من أهلها عدوانًا وغصبًا؟! هذا أمر ليس معقولًا، هذا ليس عدلًا، والله تعالى يحب المقسطين ولا يحب الظالمين، فكيف ينتزع أرضًا من أهلها ليعطيها لقوم غيرهم وهم مستقرون فيها؟!

ثم من ناحية رابعة: هل هذا الوعد الذي أعطي لبني إسرائيل - لو أمنا به كما يقولون - وعد مطلق؟ أو هو وعد مقيد ومشروط؟ إن الذي يقرأ الكتاب

---

(38) يدعي اليهود: أن إسماعيل غير محسوب في أبناء إبراهيم؛ لأنه ابن أمة! مع أن نصف أولاد إسرائيل «يعقوب» أولاد أمة؛ باعتراف اليهود؛ وبنص توراتهم، فلماذا يكيلون بكيلين؟!!.

المقدس بقسميه: العهد القديم والعهد الجديد، يجد أن هذا الوعد مشروط بأن يحفظ بنو إسرائيل عهد الرب، ويصونوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويحفظوا التعاليم، وليس عهدًا مطلقًا.

وفي التوراة نصوص شتّى وفي ملحقات التوراة «كتب الأنبياء المتعددين بعد التوراة» وفي الأناجيل: نصوص كلها تجعل هذا العهد عهدًا مقيدًا، وكلها تقول: إن بني إسرائيل لم يحفظوا العهد، ولم يصونوا التعاليم، ولم يقفوا عند حدود الله، لم يأتمروا بأمره ولم ينتهوا بنهيه، بل فعلوا الأفاعيل، وتعدّوا الحدود، ونكثوا العهود، وأخلفوا الوعود، وقتلوا الأنبياء، وهذا ما قاله لهم المسيح: «يا أبناء الأفاعي، يا أبناء قتلة الأنبياء»! هذا هو وصفهم في التوراة والإنجيل، فهم لم يحافظوا على العهود، ولذلك لا يستحقون بأي وجه من الوجوه ما زعموا أن الرب أعطاه لهم.

إن اليهود يتمحكون في هذه الأشياء، وإلا ما الذي أسكتهم هذه الدهور من خمس وعشرين قرنًا، ثم جاءوا اليوم يطالبون بهذا الأمر؟! ما الذي أسكتهم هذه المدة؟! كل ما في الأمر أنهم اعتمدوا على الكيد والمكر، ثم على القوة والعنف، فهذه هي الطبيعة الإسرائيلية.

لقد حاولوا أن يتسللوا إلى هذه الأرض عن طريق الرشوة ... عن طريق الحيلة، ثم ساعدهم الاستعمار عندما هُدمت القلعة الإسلامية الأخيرة: الخلافة الإسلامية، الحصن الذي كان يتحصن فيه المسلمون، والتي كانت تمثل آخر تجمع للمسلمين تحت راية العقيدة «لا إله إلا الله محمد رسول الله». هُدّمت القلعة التاريخية بمكايد اليهود، عندما وجدوا السلطان عبد الحميد لا ينصاع ولا يخضع لإغراءاتهم قالوا: لا بد من إزالة هذا السلطان ولا بد من إزالة هذه

الخلافة. وقد نفّذوا ما أرادوا.

خصائص الطبيعة اليهودية:

نحن نقول: الطبيعة الإسرائيلية التي نتعامل معها طبيعة سيئة رديئة خبيثة، فيها آفات ملازمة لها ملازمة السم للأفعى.

1- العنصرية:

هذه الطبيعة الإسرائيلية الصهيونية طبيعة عنصرية، يرون أنهم وحدهم العنصر الممتاز، والشعب المختار الذي اختاره الله دون سائر الشعوب!

قد يقبل ذلك عندما كانوا هم دعاة التوحيد في وسط الوثنيين، أما الآن وقد تغيروا وأصبحوا أناسًا آخرين يهتمون بالمال والمادة، ويعبدون الذهب، فلماذا يُختارون على غيرهم؟!

ليس هذا كما قال القرآن: {**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ...**} [آل عمران: 110]، فهنا وصف للأمة لا لشعب من الشعوب، ليس هذا اختيارًا للعرب على العجم. الأمة المسلمة لو دخل فيها الأمريكان أو دخل فيها الانجليز أو دخل فيها البرازيليون أو دخل فيها أي شعب يصبح جزءًا من هذه الأمة، لأنها أمة ذات رسالة. ولكن العنصرية اليهودية عنصرية عرقية ترى أن هذا الشعب مميز يجري في عروقه دم غير دم الآخرين! هذا ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم، فهذه هي العنصرية الباغية.

وهم يتبجحون ويقولون للعالم عن كل من يقول عنهم شيئًا: إن هؤلاء يعادون السامية! مع أنهم هم الآن الذين يعادون السامية الحقيقية. هم لم يعودوا ساميين، لأنه دخل فيهم عناصر كثيرة، العرب هم الساميون الحقيقيون، أما

هم فيعادون السامية.

لقد استغلوا مسألة النازية وأن «هتلر» أحرق منهم الملايين! وقد تبين في عصرنا أن هذه أكذوبة كبرى، وصدرت دراسات ورسائل علمية «دكتورهات» تبين أن هذه خرافة، وأن العدد الذي قاله اليهود عدد مبالغ فيه جدًا جدًا، ولكنهم لا يسمحون لأحد أن يقول هذا.

هؤلاء يعادون النازية، وهم يجسدون الآن عنصرية نازية متعالية مغتصبة معادية للعرب وللمسلمين.

أول آفاتهم هذه العنصرية.

2- القسوة:

وثاني آفاتهم هي: القسوة. الطبيعة الإسرائيلية الصهيونية طبيعة قاسية، كما قال الله تعالى في سورة البقرة: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةًۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [البقرة: 74].

وهذه القسوة كانت عقوبة من الله تعالى لهم، كما قال عز وجل: **{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ...}** [المائدة: 13]، السوة التي تتمثل في هذا العنف الذي رأيناه طوال تاريخ اليهود وعلاقاتنا معهم، وفي هذه المذابح التي رأيناها: مذبحة دير ياسين ... بحب البقر ... صبرا وشاتيلا ... مذبحة قانا ... مذبحة النّفق ... في العالم الماضي مذبحة مسجد الخليل، حيث قتل الصُوم

الرُكع السجود في مسجد الخليل وفي رمضان(39) وفي فجر رمضان. كل هذا يمثل تلك القسوة التي لا تبالي بشيء.

3- العدوانية:

ثم هي طبيعة تتسم بالعدوانية، العدوان جزء منها، لا تبالي في سبيل تحقيق أغراضها بمن تعتدي عليه، لا تبالي أي دم تسفك، أي عرض تهتك ... أي حرمة تنتهك ... أي شيء تدمر، لأن هذا يمثل أيضًا عنصرًا آخر وهو ما نسميه:

4- اللا أخلاقية:

اليهود الصهيونيون الإسرائيليون من آفاتهم: اللا أخلاقية.

نحن العرب المسلمين عندنا العنصر الأخلاقي يحكم تصرفاتنا في السلم والحرب، لا تنفصل الأخلاق عن الحياة، لا علم بلا أخلاق، لا سياسية بلا أخلاق، لا اقتصاد بلا أخلاق، لا حرب بلا أخلاق، حتى الحرب تحكمها الأخلاق: **{وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ}** [البقرة: 190]. النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**أخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع**»(40) ومن وصايا الخلفاء الراشدين للقواد العسكريين: «**لا تقتلوا وليد ولا شيخًا ولا امرأة ولا تهدموا بناء ولا**

(39) عام 1414هـ.

(40) رواه أحمد (493/1)، وأبو يعلى (2549)، والطبراني في «الكبير» (179/11)، والبيهقي في «السنن» (385/13) عن ابن عباس، ورواه أبو داود (2614) عن أنس بن مالك. وقد حسن محققو «المسند» إسناده برقم (2728) طبعة الرسالة.

تقطعوا شجرًا»[41]، وهكذا وصايا الخلفاء الراشدين للقواد العسكريين. لذلك نجد الحرب الإسلامية حرب رحمة ... حرب عدل، وليست حرب عدوان. لا يقبل الإسلام أبدًا مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة. لا، لا بد من الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، ولا نصل إلى الحق بطريق الباطل، لا يقبل الإسلام ذلك.

أما هؤلاء فالغاية عندهم تبرر كل الوسائل، كل شيء مشروع في سبيل الوصول إلى أهدافهم، لا يتقيدون بدين ولا بعقيدة ولا بشريعة ولا بقيم ولا بأخلاق، يستبيحون الأعراض ويستبيحون الأموال ويستبيحون كل شيء، بل يقدمون أعراض بناتهم ونسائهم في سبيل ذلك على أن غاياتهم أسوأ من وسائلهم.

ولذلك رأينا هذا فيما رأيناه: اعتداءهم على الأخ المجاهد رئيس المكتب السياسي لحماس أخينا خالد مشعل أبو الوليد حفظه الله وعافاه، واستعمال هذه الطرق التكنولوجية المتطورة ... هذا الجهاز الذي أصابه في أم رأسه وكاد يقتله لولا لطف الله عز وجل: **{ ... وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ}** [الأنفال: 30].

وهم يستخدمون الجوازات المزورة وغير ذلك، ويشترون الناس بالأموال من أي جنسية، ولا يبالون بعهود، رغم المعاهدة بينهم وبين الأردن لم يبالوا بمعاهدة ولم يبالوا باتفاقية، ولم يبالوا بشيء في سبيل الوصول إلى ما يريدون، هذا هو شأن هؤلاء اليهود.

---

(41) رواه البيهقي في «السنن» (374/13) عن سعيد بن المسيب: هو من وصايا أبي بكر لقادة جيوشه.

5- التوسعية:

ثم من آفاتهم: الأحلام والأطماع التوسعية. هم لا يرضون بشيء، إنهم إذا أخذوا شيئًا بحثوا عن غيره. يمكنهم - تكتيكيًا أن يقبلوا سلامًا مؤقتًا، ولكن «إسرائيل الكبرى» لا تخرج أبدًا من رؤوسهم. وقد كتب ذلك أحد أساتذة الجامعات عندهم في كتاب نشر بالانجليزية وترجم لي أحد الإخوة فقرات منه: إنهم يطمعون في أجزاء من السعودية ومن الكويت ومن اليمن ومن لبنان ومن سوريا ومن مصر حتى الاسكندرية! كل هذا في ضمن دولتهم: «إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ومن الأرز إلى النخيل»!

قد يقبلون سياسة المراحل فترة من الفترات، حتى إذا هدأت الأعاصير وسكنت العواصف، خطوا خطوة أخرى. هذا هو ما يريده هؤلاء، هذه آفات ثابتة ومستقرة عند هؤلاء القوم.

لماذا حدثنا القرآن عن طبائع اليهود؟

ولذلك يجب أن نتعامل معهم ونحن نعرف طبائعهم. القرآن حدثنا عنهم حديثًا منفصلًا في صور شتّى، لم يحدثنا عن الفرس، ولم يحدّثنا عن الروم، ولم يحدّثنا عن الأحباش، ولم يحدثنا عن المصريين، ولم يحدثنا عن شعب من الشعوب، كما حدثنا عن بني إسرائيل، حديثه عن تلك الشعوب كان مجملًا. أما حديثه عن بني إسرائيل فكان مفصلًا. لماذا؟ لأن الله يعلم أن هناك معركة ستكون بيننا وبينهم. فلا بد أن نعرف القوم على حقيقتهم، ونتعامل معهم على أساس الواقع لا على أساس الأوهام.

لماذا نقاتل اليهود؟

إن المعركة بيننا وبين اليهود ـ كما قلت وكما أؤكد دائمًا ـ ليست من أجل دينهم، نحن لا نحاربهم لأنهم يهود، فقد كانوا يهودًا وعاشوا بيننا قرونًا وقرونًا فيظل سماحة الإسلام وعدل الإسلام وبر الإسلام، وكانت لهم أموال وكانت لهم ثروات، وكان لهم نفوذ، وكان لهم مناصب، ووصلوا إلى الوزارة في بعض البلاد وكانوا مقربين من السلاطين والأمراء والملوك، عاشوا هكذا قرونًا لم تقم بيننا وبينهم أي معركة. المعركة ابتدأت حينما اعتدوا على أرضنا، حينما طمعوا في أرضنا، حينما أرادوا أن يُخرجوا أهل فلسطين من ديارهم، ويسكنوها بدلًا عنهم، ويرثوا الأرض من أهلها وهم أحياء. حينما أرادوا ذلك قامت المعركة بيننا وبينهم.

لا نقاتلهم لأنهم يهود، ولا نقاتلهم لأنهم إسرائيليين، ليكونوا عنصريين أو ليذهبوا إلى الجحيم. نحن لا نقتلهم لا من أجل عنصريتم ولا من أجل عقيدتهم، إنما نقاتلهم وسنظل نقاتلهم من أجل حقنا في أرض فلسطين ... الحق الذي اغتصبوه وما زالوا يغتصبونه وصرّون عليه، ويريدون مزيدًا من اغتصاب الحقوق يومًا بعد يوم.

لم يكفهم أن قسّموا القدس إلى غربية وشرقية، وأخذوا الغربية وتركوا الشرقية، الآن يريدون القدس الشرقية ويحيطونها بالمستوطنات ودخلوا فيها نفسها، هذا الاحتلال الذي فعلوه في «رأس العمود» هذا دخول في قلب القدس، بل في مقابلة المسجد الأقصى نفسه.

من أجل هذا نقف ضد إسرائيل والصهيونية، نقف ضد الاغتصاب وضد

العدوان ولا نتسامح أبدًا في أرضنا، لا نتسامح في حقنا، إن من فرط في أرضه أوشك أن يفرط في دينه، وأهله وعرضه، ونحن لا نفرط في شيء من ذلك.

سنظل نذود عن كرامتنا، وندافع عن مقدّساتنا، ما بقيت فينا عين تطرف، ما بقى فينا روح يسري، ما بقى فينا دم يجري، سنظل ندافع عن هذه الحقوق والمقدسات، ونحن أصحاب الحق، نعتقد أن الحق معنا، والحق لا يمكن أن يُهزم باستمرار، المهم العاقبة **{وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ}** [الأعراف: 128، طه: 132، القصص: 83].

إن الحق لا بد أن ينتصر لأن الله هو الحق المبين: **{بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ...}** [الأنبياء: 18]. إن الله عع هو الحق، وسينصر الحق وأهله.

سنظل نحمل الراية، ولن تسقط الراية أبدًا ما دام هناك مؤمنون صادقون مصرّون على الجهاد والرباط، كإخواننا من أهل «حماس» وأهل «الجهاد» ومن ناصرهم من أبناء فلسطين. ما دام هؤلاء قائمين فإن الله عع آخذ بأيديهم، وناصرهم على عدوّهم، وفاتح لهم فتحًا مبينًا، وهاديهم صراطًا مستقيمًا، وناصرهم نصرًا عزيزًا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

تحية لرموز الجهاد الفلسطيني:

أما بعد: فمن فوق هذا المنبر أوجهها تحية خالصة، تحية إعجاب وتقدير وإكبار، لذلك الشيخ الجليل، الشيخ القعيد، الذي يتحرك على كرسي ولا يستطيع الوقوف على رجليه، شيخ حماس، مؤسس الحركة الإسلامية ... حركة المقاومة الإسلامية، مؤسس العمل الجهادي في فلسطين: الشيخ أحمد ياسين.

أوجّه هذ التحية إلى ذلك الشيخ الصابر المصابر المرابط المجاهد القعيد في كرسيه، الذي زلزل أركان العتو والطغيان والعدوان في إسرائيل، رغم قعوده ورغم زمانته، ورغم مرضه، فقد كان مخوفًا عندهم. كانوا يخافون هذا الشيخ القعيد ... الشيخ الزمن ... الشيخ الذي لا يستطيع أن يتحرك ... الشيخ الذي أصابته الأمراض، وأحاطت به الأدواء من كل جانب، كانوا يخافونه ويخشونه، لأن المرء ليس بجسمه ولكن بقلبه، الإنسان ليس هو هذا الهيكل ... ليس هو هذا الجسم، فقد قال الله تعالى عن المنافقين: **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ...}** [المنافقون: 4]، وقال العرب: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل؟!

كان عبد الله بن مسعود رجلًا قصير القامة نحيف الجسم، نحيل القوام، وقد صعد يومًا على شجرة فظهرت ساقاه نحيفتين نحيلتين هزيلتين، فضحك بعض الصحابة من دقة ساقيه، فنظر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم: «**ما تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من**

أحد»[42].

الرجال ليسوا بالقامة بل بالقيمة، الرجال ليسوا بالأجسام بل بالأحلام، ليسوا بالأشباح بل بالأرواح، ليسوا بالكم بل بالكيف.

تحية إلى هذا الشيخ الذي لم يمد يديه يطلب الإفراج، لم يمد يديه إلى إسرائيل، لم يحن هامته ذُلًا لهم، ولكنه صبر على بلائه، وبقى في سجنه كالأسد الهصور، حتى جاءه هذا الإفراج. وحينما جاءه هذا الإفراج قال: إنه لا يرضيني إلا أن يفرج عن جميع المعتقلين والأسرى في سجون إسرائيل! وقال: إن هذا لا يعني أن يقف الجهاد، سيظل الجهاد مستمرًا ومرفوع اللواء حتى نحرر فلسطين كل فلسطين. وقد قال لمن زاروه: إن السلطة الفلسطينية فعلت في هذه الأيام ما لم تفعله إسرائيل خلال سنواتها الماضية، استجابت لدعوة إسرائيل بضرب البنية التحيتية لقُوى الجهاد، فأغلقت ست عشرة جمعية خيرية إسلامية من مؤسسات حماس!

لماذا تغلق الجمعيات الخيرية والمؤسسات التربوية؟ لأن إسرائيل طلبت ذلك! إسرائيل كل ما تريده الآن أن يضرب الجهاد الذي تسميه الإرهاب، أن يضرب الجهاد وألا تبقي له باقية ولا تقوم له قائمة. هي تعربد وتصول يمينًا وشمالًا ولا تريد لأحد أن يرد عليها، وليست هي إرهابية، لكن الذي يدافع عن وطنه وعن شرفه وعن أهله وعن حقه وعن مقدساته هو إرهابي!!

---

(42) أورده الهيثمي وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى - أي راوية الحديث - وهي ثقة. وأورده الحافظ ابن حجر في «الإصابة» وقال: اللفظ المرفوع منه أخرجه أحمد بسند حسن. انظر «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد مع شرحه بلوغ الأمان» (312/22) برقم (2990).

ما كنا نريد للسلطة الفلسطينية أن تستجيب لطلبات اليهود، ولن يرضي ذلك اليهود، لن يرضيهم ما فعلت، لا يرضيهم إلا أن تستولى على القدس وأن تصبح القدس لهم.

تحية إلى الشيخ أحمد ياسين، وتحية إلى الأخ المجاهد الصابر المصابر المخطط - مع إخوانه - خالد مشعل أبي الوليد، الذي يفكر برأسه، ولذلك أراد اليهود أن يضربوا هذا الرأس المفكر، أن يضربوه بهذا الجهاز القاتل ... بتلك الأشعة وتلك المواد الكيماوية، ولكن الله حفظه **{ ... فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ}** [يوسف: 64].

تريد إسرائيل أن تقول: إن ذراعي طويلة، وإن يدي يمكن أن تمتد لكل من يمس إسرائيل بسوء. ونقول لإسرائيل: إن الله فوق تدبيرها، ومكر الله أعظم من مكرها، وكيد الله أقوى من كيدها **{إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا 15 وَأَكِيدُ كَيۡدٗا 16 فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا}** [الطارق: 15 - 17].

نحمد الله على سلامة أخينا خالد ظظظ وأبقاه، وحفظ إخوانه حتى يعيدوا الحق إلى نصابه، حتى يؤدبوا الطغاة المعتدين، ويعلموهم أن في هذه الأمة رجالًا وأن في الزوايا خبايا.

رثاء الشيخ محمود شاكر:

ودعاءً بالمغفرة والرحمة أوجهه من هذا المنبر إلى شيخين جليلين توفيّا في هذا الصيف:

أحدهما: العالم الجليل الشيخ محمود محمد شاكر، أحد علماء الأمة الأفذاذ، وأحد علماء اللغة الأثبات، وأحد المحققين الثقات - الذي يشكل مع

أخيه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله مدرسة متميزة في تحقيق نصوص التراث - وأحد الأدباء المعتبرين، وأحد الأقلام التي نصبت نفسها للدفاع عن الإسلام وأمة الإسلامة وحضارة الإسلام وثقافة الإسلام والعربية، وقف ضد دعاة التغريب والتعية. وترك وراءه تراثًا أدبيًا علميًا: المتنبي، وأباطيل وأسمار، الطريق إلى ثقافتنا تحقيق وتفسير الطبري، وغيرها.

هذا الرجل الذي تتلمذ على يديه كثير من الأدباء وكبار الرجال، مات ولم يكد أحد يتحدث عنه. صحافتنا وإذاعاتنا وتلفازاتنا التي أخذت الساعات الطوال بل الأيام، تتحدث عن «ديانا» و«دودي» وكأن مصيبة حدثت في العالم، امرأة ماتت ولها أخطاؤها وخطاياها ولا نتحدث عن ذلك، ويكفي أنها باحت وتبجحت وتحدثت عن خيانتها لزوجها علنًا وفي الإعلام، كان يكفي أن يكون هذا فضيحة لها، الغرب لا يهمه ذلك واليهودية العالمية تريد ذلك، وبرتوكولات حكماء صهيون تريد ذلك، تريد أن لا يكون للخيانة الزوجية ... لجريمة الزنا ... لهذه الأشياء، ألا يكون لها وقع في نفوس الناس، وأن يتقبل الناس هذا بصدر رحب وبسماحة وبسهولة. ولذلك فعل الإعلام العالمي الذي يوجهه اليهود في كثير من البلدان ما فعل.

والعجيب أن إعلامنا نحن العرب سار في هذا الركاب، وقال ما قال، وظل يتحدث ويحكي ويحكي. هذا ما حدث ولا زال إلى اليوم. هل هذا الإعلام الذي تحدث عن «ديانا» و«دودي» تحدث بشيء عن الشيخ محمود شاكر؟ من منكم يعرف الشيخ محمود شاكر؟ لا تعرفونه، لأن الإعلام لم يتحدث عنه، ليس رجلًا من رجالات الإعلام، ليس ممن تُسلط عليه أضواء الصحافة.

رحم الله الشيخ محمود محمد شاكر، وتقبله في الصالحين، وجزاه عن دينه وعن أمته خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين.

رثاء الشيخ عنتر حشّاد:

ومات أيضًا بعد الشيخ شاكر رجل تعرفونه جميعًا هنا في قطر: الشيخ عنتر حشّاد، رجل القرآن ... رجل التوحيد ... رجل العربية ... رجل العلم المتمكن، الذي عهدناه في هذا المسجد وفي غيره رجل صدق ورجل دعوة.

مات الشيخ عنتر حشّاد في مصر، وكنت في مصر ولم أعرف ذلك إلا بعد أن رجعت إلى هنا، وقالوا: هل سمعت بموت الشيخ عنتر؟ قلت: لا، والله ما سمعت. أنا كنت في مصر وفي مدينة نصر التي يسكن فيها الشيخ عنتر، وما سمعت هذا.

هكذا يموت العلماء، وهكذا يموت الدعاة، ولا يكاد أحد يسمع لهم ذكرًا. ولكن الآخرين من أهل الفن وأهل الطرب وأهل الغناء وأهل التمثيل، هؤلاء هم نجوم المجتمع! هؤلاء هم الكواكب اللّامعة في سماء المجتمعات! إذا حدث لأحدهم أن شاكته شوكة ... دخلت في أصبعه شوكة، تحدثت الصحف عن الشوكة التي أصابت ذلك الفنان! إذا حدث له أي شيء، وإذا مات قامت الدنيا ولم تقعد.

حتى إنه من أثر هذه الضجة الإعلامية التي تصاحب موت واحد أو واحدة من هؤلاء. كثيرًا ما نرى انتحارات! نرى فتاة ترمي نفسها من طابق أعلى فتندق عنقها، حزنًا على تلك المطربة أو ذلك المطرب أو ذلك الممثل، وهكذا.

نحن لأسف في عصر يصنع الإعلام فيه الأفكار والأذواق والمواقف

والأعمال، وإعلامنا للأسف لا يرتبط بقيمنا، ليس مقيدًا بعقيدتنا وشريعتنا، إلا من رحم ربك، وقليل ما هم.

نسأل الله تعالى أن يرحم موتانا، وأن يغفر للعلماء العاملين، وأن يجزيهم عنا وعن المسلمين خير ما يجزي به الصادقين.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك. اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام. اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين. اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين. اللهم انصر إخوتنا في فلسطين وفي لبنان، وفي كشمير وفي السودان، وفي الفلبين وفي سائر بلاد الإسلام. اللهم أنقذ إخوتنا المستضعفين والمعتقلين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم. اللهم اجعل بلدنا هذا بلدًا مطمئنًا آمنًا سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

{ ... رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

عباد الله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

{ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

8- لماذا نقاتل اليهود؟

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زلنا في قضية القضايا، قضية المسلمين الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، قضية القدس، قضية المسجد الأقصى.

القدس رمز القضية الفلسطينية، والأقصى رمز القدس، والقدس الآن تتعرض لمكايد ومؤامرات يراد إزالتها من الوجود العربي والإسلامي، يُراد تهويد هذه القدس.

الصهاينة قد أعدّوا عدّتهم، وهيأوا خطتهم، في غفلة من العالم العربي والإسلامي في هذا العصر، عصر الاستسلام الفلسطيني، والعجز العربي، والتفكك الإسلامي، والغياب العالمي، والاستكبار الأمريكي، والتجبر الإسرائيلي.

في هذا العصر يريد اليهود أن يلعبوا لعبتهم، وأن يحاولوا تهويد القدس، بما دبروا من مؤامرات من مدة، آخرها مستوطنة جبل أبو غنيم. مستوطنة جبل أبو غنيم هي مجرد رمز وعنوان لقضية خطيرة. قضية تغيير معالم القدس، وهم يعملون لذلك منذ زمن، ونحن في غمرة ساهون، نستجلب قضايا جزئية، ونُشغل بمعارك جانبية، يحارب بعضنا بعضًا، ويعادي بعضنا بعضًا، وننسى القضايا المصيرية والقضايا الأساسية، ومن هذه القضايا

قضية الأقصى وقضية القدس وقضية فلسطين، والمعركة بيننا وبين اليهود حول هذه القضية ... حول الأرض.

لماذا نحارب اليهود؟

وقد سألني بعض الإخوة: أليست المعركة بيننا وبين اليهود من أجل الدين والعقيدة؟ قلت له: لا، نحن لا نقاتل اليهود من أجل أنهم يهود، هذا خطأ، اليهود عاشوا بيننا قرونًا متطاولة في ديار الإسلام، كان لهم ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، كانوا يملكون المال والثروات والجاه والقربى من ذوي السلطان.

هذا أمر معروف في التاريخ، حتى إن أحد الفقهاء المشهورين «العلامة ابن عابدين» وهو أحد علماء الأحناف المتأخرين صاحب الفتاوي وصاحب الحاشية المعروفة، ذكر في حاشيته ما قاله بعض العلماء.

أحبابنا، نوب الزمان كثيرة وأمر منها رفعة السفهاء!
فمتى يفيق الدهر من سكراته وأرى اليهود بذلة الفقهاء؟!

اليهود تعزّزوا والفقهاء ذلّوا!! وهذا دليل على اضطراب موازين المجتمع، ولكنّا نستدل به على أن اليهود عاشوا في المجتمع الإسلامي يتمتعون بجاهه وثرواته وأمواله وأمنه، حيث طردهم العالم كله، لفظهم العالم لفظ النواة، ولم يجدوا دارًا يأوون إليها ويحتمون فيها ويجدون فيها الأمن والسلام، كما وجدوها في دار الإسلام، أوطان الإسلام هي التي وسعتهم.

وحينما نشأنا وجدنا اليهود في مصر يملكون أعظم الشركات وأعظم المؤسسات. من في مصر يجهل تلك المؤسسات التي لا تزال تحمل أسماءهم:

كوريل، وأوريكو، وشيكوريل، وبنزايون، وصيدناوي، وسمعان، وداود عدس، وعمر أفندي[43]، إلى آخر تلك الأسماء اليهودية التي ملكت تجارة البلد؟ تجارة البلد كانت في أيديهم ولم يمنعهم أحد من هذا.

فما الذي جرى بيننا وبين اليهود؟ الذي جرى بيننا وبين اليهود: أن اليهود أرادوا أن يأخذوا أرضنا ويجعلوا منها وطنًا قوميًا لهم! وكان أمامهم متسع، عرض عليهم أن يأخذوا أرضًا لهم في إفريقيا في أوغندا، في جنوب إفريقيا، أو في غيرها من البلدان في جنوب أمريكا. وفي أول الأمر كانوا يفكرون هكذا، كان كثير من حكمائهم ومفكريهم يبحثون عن أرض لا نزاع عليها. أما فلسطين فهي أرض عربية إسلامية فيها أهلها «أهل فلسطين» وسيقاتلون عنها وسيدافعون عنها.

ولكن الذي أصر على أن تكون «دولة إسرائيل» في أرض فلسطين هو «هرتزل»، هرتزل في مؤتمره القومي الذي عقد منذ نحو مائة سنة - أي في سنة 1897م نحن الآن في سنة 1997م - منذ قرن عقد هذا الرجل الذي كان يخطط ويرتب ويهيء الأسباب، ويزيل الأسباب، ويزيل العوائق، رتب هذا وأصر على أن تكون الدولة المشودة - دولة اليهود المرجوة - في أرض فلسطين، وقال لهم في ختام المؤتمر: الآن أقمنا الدولة اليهودية - أي بعد أن خططنا لها وعزمنا على إقامتها، اعتبر أن الدولة قامت - وبعد خمسين سنة ستقوم في فلسطين! وفعلًا قامت الدولة اليهودية في سنة 1948م كما خطط اليهود تمامًا.

---

(43) كان في الأصل ليهودي اسمه «روزدي باك».

المعركة إذن بيننا وبين هؤلاء القوم ليست من أجل أنهم يهود. وإلا كان الواجب علينا أن نقاتل جميع النصارى لأنهم نصارى، وأن نقاتل جميع الوثنيين لأنهم وثنيون. المعركة بيننا وبينهم: أنهم اغتصبوا الأرض، وعدوا عليها، وانتهكوا الحرمات، وسفكوا الدماء، وأزهقوا الأرواح وخربوا ما خربوا، قاتلونا في ديارنا فوجب علينا أن نقاتل وندافع عن أنفسنا **{ ... وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا ... }** [البقرة: 246].

اليهود في نظرنا نحن المسلمين أهل كتاب، وأهل الكتاب: اليهود والنصارى بصفة أساسية، أباح الله لنا أن نؤاكلهم - أي نأكل من ذبائحهم - وأباح لنا أن نصاهرهم - نتزوج من نسائهم - : **{ ... وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ... }** [المائدة: 5]، فأباح الله لنا أن نصاهرهم وأباح لنا أن نؤاكلهم.

ولكن الذي حدث أن هؤلاء القوم قلبوا لنا ظهر المجن، وغدروا بنا، وأصبحوا معتدين علينا. اعتدوا علينا، وأخذوا الأرض أمام أعيننا. لعل الجيل الجديد لم ير هذا، نحن شهدناه، شهدنا سقوط المدن الفلسطينية مدينة بعد مدينة: حيفا ويافا وعكا، تسقط هذه المدن، كل عدة أيام تسقط مدينة نودعها بالبكاء والحسرات والآهات.

أرض فلسطين لم يكن لليهود فيها شيء يُذكر.

نحن نعلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما صالح بطريق القدس «صفرنيوس» - الذي أصر على أن لا يسلم مفاتيح المدينة إلا لخليفة

المسلمين وأمير المؤمنين. وجاء عمر من المدينة إلى القدس وسلمه الرجل بيده المفاتيح، وعقد معه المعاهدة المعروفة بالعهدة العمرية، وفي هذه المعاهدة شرط أساسي: أن لا يسكن فيها أحد من اليهود! اشترطوا على عمر والمسلمين أن لا يساكنهم فيها اليهود.

وهكذا ظلوا عدة قرون لم يسكنوا في القدس.

ثم بدأوا يتسللون بعد ذلك، وأعدوا العدة منذ التسلل إلى القدس وإلى فلسطين بصفة عامة. وقد صدر «فرمان» من الدولة العثمانية أيام السلطان عبد الحميد، هذا «الفرمان» يقول: «إنه لا يجوز لأي يهودي لا يحمل التابعية العثمانية - الجنسية العثمانية - أن يبقى في القدس إذا زارها أكثر من ثلاثين يومًا، وإلا وجب طرده بالقوة». كانوا يدركون أن لليهود مطامع في هذه البلاد، ممكن أن يذهب لغرض ديني ولكن لا يستقر في البلاد أكثر من شهر. هذا ما فعلته الدولة العثمانية.

المعركة إذن بيننا وبين هؤلاء هي أنهم مغتصبون معتدون، ووجب علينا أن نرد العدوان بمثله، ولا نسلم في أرضنا، لا يجوز التسليم في شبر أرض من أرض الإسلام، ولا يملك أحد هذا، ومن فعل هذا فكلامه مردود عليه: **«من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[44] فهو باطل مردود على صاحبه، لا يجوز لأحد أن يتنازل عن أرض الإسلام.

وكما قلت في محاضرتي منذ عدة أيام: يجوز لنا أن نهادن اليهود - نعقد

---

(44) رواه أحمد ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، وعلّقه البخاري في «صحيحه» «فيض القدير» للمناوي (182/6) برقم (8868).

معهم هدنة ـ تحت ضغط الظروف والضرورات والمصالح، كما عقد النبي صلى الله عليه وسلم هدنة مع قريش، وكما عقد صلاح الدين هُدنات مع أمراء الصيبيين. أما أن نسلم ونعترف بأن الأرض التي اغتصبوها أصبحت ملكًا لهم، ونعترف بشرعية اغتصابهم، فهذا ما لا يجوز.

إننا يجب أن نقف جميعًا للذود، عن حقنا، الأمة العربية والإسلامية جميعًا مسؤولة عن فلسطين وعن القدس.

حينما أحرق استرالي منذ سنوات المسجد الأقصى وأصابه ما أصابه، هاج المسلمون وقامت الدنيا في ديار الإسلام ولم تقعد، ودعا الملك فيصل رحمه الله قادة المسلمين في أنحاء العالم إلى مؤتمر قمة إسلامي، وهو أول مؤتمر قمة إسلامي. الذي جمع هذا المؤتمر: القدس ... المسجد الأقصى، وانبثق عن ذلك ميلاد «منظمة المؤتمر الإسلامي».

واجب المسلمين نحو القدس:

الآن الأقصى يضيع، والقدس كلها تضيع، فأين المسلمون؟ انعقدت قمة للأسف هزيلة في باكستان، ونادى المنادون أن تنعقد قمة عربية موسعة ومكبرة من أجل هذه القضية. ولكن «واشنطن» لا تريد للعرب أن يجتمعوا، ووقفت ضد هذا الأمر! ولا أدري إلى متى تظل الولايات المتحدة تدلل إسرائيل وتعطيها وتعطيها على حساب العرب، وعلى حساب العدل، وعلى حساب الحق. إن مائتين وخمسين مليونًا من العرب وألفًا وثلاثمائة مليونًا من المسلمين، أولى من رعاية هذه الملايين اليهودية. صحيح أن اليهود أغنياء ويستطيعون أن يؤثروا في الانتخابات، ولكن من ينظر بميزان المصلحة

القومية فأي الفريقين أولى بأن يرجح في الميزان؟

إن الواجب على الأمة العربية والإسلامية أن تهب من رقدتها، وتقف صفًا واحدً كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، من أجل الحفاظ على القدس عربية إسلامية، من أجل الحفاظ على المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى تحفر تحته الحفريات ولا ندري إلى ما تنتهي هذه الفريات. أنا أخشى أن يأتي يوم - قد لا يكون بعيدًا - ينهار فيه هذا المسجد، وقد يكون هذا اليوم معلومًا عند إسرائيل، ولكنها تدّخره، تخبئ هذا اليوم إلى وقت معين ترى فيه الأمر وقد أصبح ممكنًا، في غفلة من المسلمين، أو في حال تفرق وتنازع بينهم، تفعل هذا الأمر وينهار هذا المسجد.

إذا لم توجد أمة تدافع عن هذا المسجد وتدافع عن هذه الأرض المباركة، يمكن أن يفعل اليهود كل شيء.

ومن رعى غنمًا في أرض ونام عنها تولى رعيها الأسد

لا بد أن نغار على حرماتنا. إذا كان اليهود يعملون بوحي من توراتهم وتلمودهم، فلماذا لا نعمل بوحي من قرآننا وسنة نبينا؟ نحن أصحاب الدين الأقوى وأصحاب الحق وأصحاب الأرض، وهم مغتصبون.

مزاعم يهودية:

هم يزعمون أن الله كتب لهم هذه الأرض في التوراة، وأنه وعد إبراهيم أن هذه الأرض ستكون له ولنسله، ووعد ابنه إسحاق أن هذه الأرض ستكون له ولنسله، ووعد حفيده إسرائيل - أو يعقوب - أن هذه الأرض ستكون له ولنسله! وقد مات إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يملكوا من هذه الأرض شبرًا

واحدًا.

حينما ماتت «سارة» زوجة إبراهيم عليه السلام، لم يجد لها قبرًا، فاشترى من أحد الرجال أرضًا - مغارة اسمها مغارة «المكفيلة» في المكان الذي يعرف الآن باسم الخليل - دفن فيها امرأته - ودُفن فيها بعد ذلك - والرجل أراد أن يتبرع بهذه الأرض مكرمة منه لإبراهيم، ولكنه أصر على أن يدفع ثمنها.

لو كانت هذه الأرض له هل يشتري الإنسان ملكه؟ لا يشتري ملكه. لم يملك إبراهيم منها شيئًا - كما وعده الله إن صدق هذا الوعد - ولم يملك إسحاق ابنه منها شيئًا، ويعقوب كما نعلم ذهب مع أولاده إلى مصر، وحينما ذهبوا إلى مصر { **... وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ**} [يوسف: 99] دخلوا مصر وعاشوا فيها كما قالوا نحو أربعمائة وثلاثين سنة، فإذا نظرنا عمر إبراهيم الذي عاش نحو مائة وخمسة وسبعين سنة بعضها قبل أن يأتي إلى فلسطين وإسحاق الذي عاش نحو مائة وثمانين سنة ويعقوب الذي عاش نحو ذلك من السنين، يعني المجموع حوالي «سبعمائة سنة» لم يملك أحد - لا إبراهيم ولا إسحاق ولا يعقوب ولا بنو إسرائيل - هذه الأرض التي زعموا أن الله وعدهم إياها! فأين هذا الوعد؟ هل يكذب الله في وعده؟ { **... وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا**} [الكهف: 98]، هل يخلف الله وعده؟ { **... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ**} [آل عمران: 9، الرعد، 31].

كل ما في الأمر أن الله أمر موسى أن يدخل هذه الأرض ببني إسرائيل، وأن الله كتب لهم دخولها، ولكنهم للأسف رغم أن موسى أخبرهم بأن الله كتب لهم أن يدخلوا هذه الأرض: {**قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن**

نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ} [المائدة: 22]، هل هناك أهل بلد يخرجون من وطنهم مختارين ليدخلها الآخرون؟ هذا مستحيل، هكذا كان شرطهم. **{قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ 23 قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ}** [المائدة: 23، 24] بهذه البجاحة: **{فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ}** ولذلك حرم الله عليهم دخولها أربعين سنة يتيهون في الأرض، لينشأ جيل جديد ليدخل بعد ذلك.

لم يدخل موسى ولا هارون هذه الأرض، إنما دخلها فتاه وتلميذه «يوشع بن نون»، دخلها بعد ذلك وعُمر فيها قليلًا وحصل ما حصل. ثم جاء بعد ذلك عهد داود وسليمان. والمدة التي بقى فيها اليهود في أرض فلسطين أقل من مائتي سنة! دولتهم التي يزعمون أنهم يملكون بها حق هذه الأرض لم تمكث مائتي سنة!

وهذه الأرض من قديم كانت أرض العرب الكنعانيين، ومن بعد ذلك كانت أرض العرب المسلمين من عهد سيدنا عمر إلى اليوم «أكثر من أربعة عشر قرنًا». وتحقق وعد الله لإبراهيم: أن الأرض لك ولنسلك. وهل إسماعيل ليس من نسله. وبنو إسماعيل أليسوا من نسله؟

ثم هل المراد بالنسل المعنى العنصري الدموي أم المعنى الروحي؟ المعنى الروحي أهم في مقام النبوات من معنى الدم واللحم، ولذلك الله تعالى قال لسيدنا نوح حينما قال: **{ ... رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي** [ابنه الكافر] **مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ 45 قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ... }** [هود: 45، 46] تبرأ منه.

المسألة ليست مسألة الدم واللحم، ولهذا قال الله تعالى: **{إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: 68]. فنحن أولى الناس بهذه الأرض: من ناحية الحق القديم فهي بلاد العرب، ومن ناحية الفتح الإسلامي فهي بلاد العرب المسلمين، وليس لليهود حق فيها، إنما الحق حق القوة، اليهود أخذوها بالسلاح ... بالحديد والنار ... بالعنف والدم، وهذا هو شأن اليهود إذا تمكنوا وقدروا لم يعفوا، إذا قدروا فجروا، إذا تمكنوا فعلوا الأفاعيل، هذا تاريخهم، وهذا ما تقوله توراتهم: «إذا دخلت بلدًا فأبد أهلها بحد السيف». هكذا، هذا هو شأن اليهود الذين يزعمون أن لهم حقًا في أرض فلسطين.

تطويع العقل المسيحي لخدمة اليهود:

والعجيب أنهم أقنعوا بذلك النصارى المسيحيين، وخصوصًا «البروتستانت» منهم. حكى شيخنا الشيخ عبد المعز عبد الستار ظظظ نقلًا عن مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني أنه زار المندوب البريطاني في القدس، فقال له هذا المندوب: إن والدتي تريد أن تسلم عليك وأن تكلمك. قال له: أهلًا بها. فجاءت المرأة العجوز وقالت له: يا شيخ أمين، قال: نعم، قالت له: كيف تعارض إرادة الله؟ فقال لها: أنا أعارض إرادة الله؟ ومن أنا حتى أعارض إرادة الله؟ وهل يستطيع أحد أن يعارض إرادة الله؟ قالت له: أنت، أنت تعارض إرادة الله. قال: كيف؟ قالت له: أنت تعارض أن يملك اليهود فلسطين، وهذه أرض أعطاها الله لهم. قال لها: يا سيدتي كيف يعطيها الله لهم وهي أرضي وفيها بيتي؟ وإذا أخذها اليهود فأين أذهب أنا؟ قالت له: هذه إرادة الله فلا تقف ضد إرادة الله! ودخلت المرأة، فقال لابنها: أمك امرأة

طيبة تتصور الأمور على غير حقيقتها. فقال له: لا، هذا ما نؤمن به جميعًا نحن البروتستانت «أن اليهود لهم حق في فلسطين»!

وهذا ما رأيناه عند رؤساء أمريكا: كارتر كتب هذا في مذكراته بوضوح، وريغن، وكلينتون، وبوش، كلهم يؤمنون بهذا للأسف. استطاع اليهود أن يطوعوا العقل المسيحي ليكون في خدمتهم.

ومن عدة سنوات استصدروا من الفاتيكان وثيقة بتبرئة اليهود من دم المسيح. كان المسيحيون يتهمون اليهود أنهم وراء صلب المسيح كما يعتقدونه، فما زال اليهود يكيدون ويمكرون حتى استصدروا هذه الوثيقة التي تبرئهم من هذا الأمر.

مصادرنا لمعرفة اليهود

إن لليهود مكرًا وإن لليهود كيدًا، ولا بد أن نعرف كيد هؤلاء. المشكلة أننا حتى اليوم لا نعرف اليهود حق المعرفة، مع أن مصادر المعرفة باليهود ميسورة لنا ومتوافرة أمامنا.

1- القرآن:

أول هذه المصادر التي تعرفنا بحقيقة اليهود وطبيعتهم: القرآن الكريم. القرآن مليء بالحديث عن بني إسرائيل، حتى قال بعض المفسرين: كاد القرآن أن يكون لموسى وبني إسرائيل!

لماذا توسع القرآن في الحديث عن بني إسرائيل وعن صفاتهم؟ لماذا حدثنا عن قسوتهم وقال: **{فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ...}** [المائدة: 13]، **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ...}** [البقرة: 74]؟

لنعلم مع من نتعامل نحن.

رأينا هذه القسوة - ورأينا هذا العنف - في المجازر البشرية التي صنعها اليهود من قبل ومن بعد، رأيناها في دير ياسين، ورأيناها في صبرا وشاتيلا، ورأيناها في بحر البقر، ورأيناها في قانا، ورأيناها في المسجد الإبراهيمي، ورأيناها في نفق المسجد الأقصى، ورأيناها ورأيناها. هذه هي القسوة التي عبّر عنها مناحم بيغن في كتابه المعروف «التمرد» الذي يقول فيه: أنا أحارب إذن أنا موجود! الذي يدل على وجودي ليس هو الفكر، وليس هو العمل، وليس هو الإيمان، إنما هي الحرب!

واليهود عامة يعجبون بأشعياء ونبوات أشعياء في أسفار العهد القديم، ويسمونه: النبي المحارب.

القرآن تحدث عن قسوة بني إسرائيل، تحدث عن غدرهم، وأنهم لا يوفون بعهد، ولا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، يقول الله تعالى: **{إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ 55 ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ}** [الأنفال: 55، 56]، لا وفاء لهم، الغدر من طبيعتهم، الوقاحة والتبجح من طبيعتهم، حتى على أنبيائهم، حتى على الله عز وجل قالوا: **{ ... إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ... }** [آل عمران: 181]، **{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ...}** [المائدة: 64].

حدثنا القرآن عن طبائع اليهود لنعرف هؤلاء حينما تقع المعركة بيننا وبينهم. الله هيأ أنفسنا وهيأ عقولنا لنعرف حقيقة اليهود، فنبني على ذلك كيف نتعامل مع هؤلاء القوم.

2- التوراة والتلمود:

القرآن هو المصدر الأول لنعرف منه الطبيعة النفسية لليهود. ثم من ناحية أخرى هناك كتبهم المقدسة: التوراة، والتلمود. من رجع إلى هذه الكتب عرف طبيعة بني إسرائيل. كتب الأستاذ «عزّة دروزة» رحمه الله كتابًا من عدّة أجزاء اسمه: «تاريخ بني إسرائيل»، اعتمد على أسفارهم المقدسة، وعرف منها تاريخ هؤلاء.

يجب أن ندرس هذه الكتب ونعرف منها من هم هؤلاء القوم؟ وما هي توجهاتهم؟ وما هي أحلامهم؟ لا بد، هذا مصدر متاح أمامنا.

وهناك دراسات كثيرة عن التوراة، وعن اليهود في التوراة، وعن حجية التعاليم التلمودية، وأنهم يعتبرون الناس جميعًا أحط من البهائم وأذل من الكلاب، وأنهم وحدهم شعب الله المختار، وكما قال القرآن عنهم: { **... وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ...** } [آل عمران: 75] لا حرج علينا في هؤلاء الأميين العرب. كانوا يسمونهم الأميين وكل الناس - الغويين كما يسمونهم - وكل الشعوب يجب أن تكون في خدمتهم.

وفي التوراة قالوا أيضًا: إن لليهودي لا تقرض بربا، ولغير اليهودي تقرض بربا! تعاملوا بمعيارين مختلفين. نحن عندنا الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع.

هذا ما تقوله كتبهم المقدسة.

3- التاريخ:

هناك أيضًا مصدر مهم وهو: التاريخ. يجب أن نعود إلى التاريخ، فهو مخزن العبر: ماذا صنع اليهود في التاريخ؟ ماذا حدث؟ كيف أفسدوا في الأرض أكثر من مرة؟ وكيف عاقبهم الله عز وجل؟

لا بد أن نعرف تاريخهم معنا ... مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، وكيف نقضوا العهود؟ الرسول صلى الله عليه وسلم منذ هاجر أقام معهم اتفاقية، وجعل لهم حقوقهم، واعتبرهم مواطنين في الدولة الإسلامية، ولكنهم لم يرعوا عهده، ونقضوا المواثيق بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم وتآمروا مع المشركين وقالوا: { **... هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا**} [النساء: 51] الوثنيون أهدى من أهل التوحيد!! أهل كتاب ويقفون مع الوثنيين!! وفعلوا وفعلوا.

التاريخ مصدر من المصادر.

4- كتابات اليهود عن أنفسهم:

ثم من ناحية أخرى، هناك ما يكتبه اليهود المعاصرون عن أنفسهم. هناك يهود معاصرون كتبوا عن اليهود وعن الشخصية اليهودية وعن النفسية اليهودية وعن الأفكار اليهودية، وأن عندهم أقانيم ثلاثة: الشعب والأرض والله أو الإله. هذه أقانيم ثلاثة تتكوّن منها أيديولوجيتهم، وهكذا قال «موشي ديّان»: أنه إذا اجتمعت التوراة وشعب التوراة فلا بد أن يكون معهم أرض التوراة «وهي أرض فلسطين»! وهذا ما يؤمن به هؤلاء، وقد كتبوا أشياء كثيرة في هذه الناحية.

وقال قائلهم: إن أعظم معلق ومفسر للتوراة هو الجيش ... القوة العسكرية. ولذلك أعظم من يحكم إسرائيل: المؤسسة العسكرية. وسعوا إلى هذه الترسانة النووية ليخيفونا بها نحن العرب ونحن المسلمين، لكن ماذا يفعلون بالترسانة النووية؟ إن أول من تصيب: تصيبهم هم أنفسهم.

5- كتابات المنصفين عن اليهود:

هناك أيضًا ما يكتبه الناس عنهم، لا أقصد كتابات العرب والمسلمين، فربما يقال هذه كتابة خصم عن خصمه وعدو عن عدوه. ولكن ما يكتبه الغربيون أنفسهم.

الغربيون هم الذين صنعوا إسرائيل، هم الذين وعدوا بإقامة الوطن القومي، هم الذين هيأوا لهم الأسباب أيّام الانتداب، هم الذين اعترفوا بإسرائيل منذ اللحظة الأولى منذ ولادتها، هم الذين أمدّوها بالمليارات وأمدّوها بالسلاح والقوة وأمدّوها بالعناصر البشرية، ولا يزالون يمدّونها إلى اليوم. هؤلاء الغربيون منهم من يكتب عن إسرائيل، هناك من يكتب بإنصاف وهناك من يكتب بتحيز. ومن هؤلاء الذين يكتبون بإنصاف المفكر الفرنسي الكبير: روجيه - أو رجاء جارودي، في أكثر من كتاب: «فلسطين أرض الرسالات الإلهية» «أحلام الصهيونية وأضاليلها» الذي نشر في الثمانينات، وكتابه الأخير الذي هيّج عليه اليهود في العالم وحاكموه وحكموا عليه بسنة سجن، ولا زالت القضية معروضة كتاب «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»!

لماذا هزمنا اليهود؟

أمامنا إذن أن نعرف مع من نتعامل؟

اليهود يعملون، ويعملون بجد، ونحن متقاعسون متقاعدون.

لماذا انتصر اليهود علينا ولماذا انهزمنا أمامهم؟ لسنا أقل عددًا، نحن كثيرون، ولكن كثرة كغثاء السيل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم[45]، اليهود يخططون ونحن نرتجل، لليهود مشيخة أو حكماء خططوا لهم منذ مائة سنة ونحن لا مشيخة لنا ولا حكماء ولا قادة فكريين يخططون لهذه الأمة، ولا بد أن ينتصر التخطيط على الارتجال.

اليهود يعلمون ماذا يفعلون، عندهم سياسة المراحل أو دبلوماسية المراحل. يمكن أن يقبلوا اليوم بنوع من الصلح مع العرب، وليس معنى هذا أنهم تنازلوا عن إسرائيل الكبرى، لأن هذا أمر أساسي عندهم: إسرائيل من الفرات إلى النيل، وكما قلت: - ومن الأرز إلى النخيل «من الأرز في لبنان إلى النخيل في المدينة وخيبر»! هذا حلم أساسي عندهم لا يتنازلون عنه، ولكن يمكن أن يقبلوا في هذه المرحلة السكوت عن هذه القضية ثم تأتي مرحلة أخرى.

---

(45) في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان رضي الله عنه: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**». قال قائل: يا رسول الله، ومن قلة يومئذ؟ قال: «**لا بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**». قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**». انظر: «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط (16/15) برقم (4224).

القوم يخططون، حددوا هدفًا، وحددوا له وسائل، ووضعوا له خططًا، وهيأوا له مراحل، وهم ينتقلون من مرحلة إلى مرحلة. ماذا خططنا نحن؟ وماذا أعددنا؟ نقابل هذا كله بارتجال.

ثم هم يتجمعون على هدف ونحن متفرقون، نحن أمة كبيرة، العرب أكثر من مائتين وخمسين مليونًا، والمسلمون أكثر من مليار وربع المليار «حوالي (1300) مليون في العالم»، ولكن ما قيمة العدد؟ ما قيمة الكم بلا كيف؟ كم ممزق متفرق يعادي بعضه بعضًا ويجافي بعضه بعضًا، بل يقاتل بعضه بعضًا. بين البلاد العربية والإسلامية مشاكل حدود ونزاعات على قضايا جزئية. ينبغي أن تعرف الأمة أنها مهددة في كيانها ووجودها.

حرب الخليج التي دبرها الغرب - ووراءه إسرائيل - مزّقت العرب، ولا يزالون ممزقين إلى اليوم. ولا ينبغي أن تحكمنا عقدة حرب الخليج إلى الأبد، لا بد أن نتخلص من هذه العقدة، وأن يقترب الناس بعضهم من بعض، وأن يقفوا كما قال الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ}** [الصف: 4]. القضية أخطر من أن نتفرق ونتمزق أمامها.

الله تعالى وصف اليهود جميعًا بقوله: **{ ... بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ... }** [الحشر: 14]. هذا الوصف أصبح ينطبق علينا أكثر مما ينطبق عليهم الآن، هم عندهم اختلافات في إسرائيل وأنواع من الناس وجنسيات متباينة، وأهل الشرق وأهل الغرب، وأهل الشمال وأهل الجنوب، وأهل الفلاشا، ولكن وضعوا لذلك صيغة «الديمقراطية»: الأغلبية تحكم، استطاعوا أن يصلوا إلى صيغة سياسية يجتمعون عليها، ولم نستطع نحن في بلادنا أن نصل إلى صيغة نجتمع عليها.

هم اجتمعوا ونحن تفرقنا، ولا يمكن أن ينتصر المتفرقون على المجتمعين. هم يبذلون ونحن لا نبذل، اليهودي أبخل الناس بماله وأحرص الناس على حياة ومع هذا بذلوا المال وبذلوا الحياة! يجب أن نكون صرحاء ونعترف بهذا. اليهود بذلوا الملايين حينما أرادوا أن يقيموا الدولة، كانوا يجمعون من يهود العالم ملايين في ساعة واحدة. ماذا بذل أغنياؤنا وأثرياؤنا؟ لم يبذلوا إلا القليل ممن رحم ربك.

اليهود الذين نصفهم بالجبن تقدموا وأقدموا ولم يحجموا، وانتصروا علينا في أكثر من حرب جند فيها الرجال والنساء، وحينما هزمنا سنة (1967م) كانت تحكمهم امرأة «جولدا مائير».

اليهود يبذلون ونحن لا نبذل، اليهود يعملون ونحن لا نعمل. اليهود يعرفون أن عليهم إقامة دولة في جزيرة من بحر الكراهية، فهم يعملون ليل نهار. أين نحن وأين عملنا؟ لا بد أن نكون على المستوى المطلوب منا.

اليهود جنّدوا من جنّدوا على أساس الدين والعقيدة، يعلمون أن الدين ضرورة في هذه المعركة، حتى العلمانيون اللادينيون منهم «بن جوريون» و«ليفي اشكول» هؤلاء علمانيون لا يؤمنون بالدين، ولكن يؤمنون بأهمية الدين في المعركة، فجنّدوا من جندوا على أسس دينية، جمعوا اليهود من العالم على هذا الأساس وحمسوهم وغذوهم بهذا المعنى. ولكن نحن لم نفعل ذلك.

أيام مؤتمر «مدريد» قال رئيس وزراء إسرائيل ليلة السبت: يجب أن نوقف المفاوضات لأن غدًا يوم السبت. فقالوا له: نحن عندنا اليوم يوم الجمعة

ومع هذا ظللنا نفاوض ولم نوقف المفاوضات! قال لهم: ولكن يوم السبت عندنا يوم مقدس! فكيف ينتصر من لا يعظم يوم الجمعة على من يعظم يوم السبت؟!

دخلوا المعركة ومعهم التوراة، ولم ندخلها ومعنا القرآن. قالوا: الهيكل، ولم نقل: المسجد الأقصى. قال: اليهودية، ولم نقل: الإسلام. قالوا: التلمود، ولم نقل: السنة النبوية، هتفوا باسم موسى، ولم نهتف باسم محمد، قالوا: بروتوكولات حكماء صهيون، ولم نقل: قال سلفنا الصالح، عظموا السبت، ولم نعظم الجمعة.

لا بد أن نتسلّح بالدين، الدين هو أساس في معركتنا مع قوم لم يجمعهم شيء إلا الدين. اليهود اجتمعوا من أوطان شتّى ومن جنسيات شتّى، ولكن الذين جمعهم هو أحلام التوراة وتعاليم التلمود. فيجب أن تحكمنا تعاليم القرآن وأحكام الإسلام وبيانات السنة النبوية. هذا إذا أردنا أن ننتصر في معركتنا.

الإسلام حرب على العنصرية:

هذه المعركة معركة كبيرة، ليست ضد السامية كما يقول اليهود، كل من تكلم قالوا: هذا ضد السامية! نحن ساميون، العرب أمة سامية. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نحن ضد أي نزعة عنصرية، النزعة العنصرية مرفوضة عندنا، تقسيم الناس على أساس العروق والعناصر هذا مرفوض إسلاميًا، الناس سواسية كأسنان المشط **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ...}** [الحجرات: 13]. أسقط الإسلام العنصرية واللونية: هذا أبيض وهذا أسود وهذا عربي وهذا عجمي.

الإسلام يرفض هذا، ويتعامل مع الناس على أساس إيمانهم وعملهم أو بالتعبير القرآني «التقوى»: {إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ}.

ليس كل يهودي إسرائيليًا:

نحن لا نعادي اليهود من أجل السامية لأننا ساميون، ولأن الإسلام يرفض العنصرية، ونحن جميعًا ننتسب إلى إبراهيم عليه السلام، نحن بنو إسماعيل وهم بنو إسرائيل، إن صح أنهم بنو إسرائيل، فمن من اليهود يُعتبر حقيقة من بني إسرائيل؟ هناك من كتبوا من الغربيين وأثبتوا أن اثنين وتسعين بالمائة (92%) من اليهود في العالم ليسوا من بني إسرائيل، ولم يملك أجدادهم شبرًا من فلسطين، بل لم يدخلوا أرض فلسطين يومًا من الدهر! وهذا صحيح، لأن اليهودية دين يدخله من شاء من الناس، دخله من اليمن ودخله من المغاربة ودخله من أوربا، وكان هناك مملكة في وسط آسيا اسمها مملكة «الخزر» كانت لليهود، واستمرت عدة مئات من السنين، ثم زالت في القرن الرابع عشر للميلاد، وانتهت من الوجود، وتفرق أهلها في البلدان. هؤلاء هم يكوّنون - كما قال هذا الباحث الغربي - اثنين وتسعين بالمائة (92%) من يهود العالم. فليس كل اليهود إسرائيليين كما يزعمون، وهذا منطقي، فاليهودية دين يدخل فيه الناس من كل نسب ومن كل عنصر كالإسلام والمسيحية.

المعركة بيننا وبين اليهود هي معركة الأرض التي اغتصبوها، وشردوا أهلها، وسفكوا الدماء بغير حق، ولا يزال هؤلاء المشردون أصحاب الحق في العودة إلى ديارهم. لا بد أن يعود كل إلى دياره.

كنا بالأمس مع أحد الإخوة الذين زارونا في قطر، وهو الأخ حمزة منصور النائب الأردني، وسأله سائل: إذا لم تقبلوا الإسرائيليين ولم تقبلوا دولة إسرائيل فأين يذهب هؤلاء اليهود الذين في إسرائيل؟ قال: كل واحد يرجع إلى بلده ... إلى البلدة التي جاء منها، أنا أذهب إلى بلدتي التي في فلسطين، وشامير يذهب إلى بولندا، وفلان يذهب إلى روسيا، وفلان يذهب إلى كذا، كل واحد يرجع إلى بلده، هذا هو المنطق. أما أن تأتي من شرق أوربا ومن غيرها وتحتل بلد غيرك بالقوة، وتدّعي أنك صاحب الحق، فهذا لا يجوز.

نحن نعتقد أن الصهاينة قوم معتدون، اعتدوا علينا في حالة ضعف وعجز منّا، فأخذوا أرضنا بالقوة ومزّقوا الأرض العربية وجعلوا بينها فاصلًا أو شوكة دامية في جنب هذه الأمة، وما أُخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة. مفاوضات السلام المزعومة هذه لن تؤدي إلى نتيجة لا مع «الليكود» ولا مع «العمل»، كلاهما سواء. الذي وافق على الاستيطان في القدس قبل «نتنياهو» هو «بيريز» نفسه، بيريز وافق على عشر مستوطنات قبل ذلك. الجميع سواء في هذه القضية.

ولذلك نحن مستمسكون بحقنا لا نتنازل عنه أبدًا، مهما يصبنا ما يصيبنا. كل ما في الأمر أنّنا في حاجة إلى أن نوحد قوانا وأن نجمّع جهودنا، ويوم تتوحد هذه الجهود نستطيع أن نفعل الكثير.

إسرائيل وراء كل فتنة:

اليهود يخافون من مجرد التجمع ... من مجرد قمة، القمة التي عقدت في

القاهرة فزعوا منها، ويفزعون الآن من الدعوة إلى قمة جديدة. ولذلك يحاولون تمزيق هذه الأمة ويرمون لكل فتنة بالوقود. إذا رأيت فتنة في بلد فاعلم أن إسرائيل وراءها، وأن الصهيونية وراءها، ما يجري في السودان الآن وراءه إسرائيل - ووراءه أمريكا، تريد أن تلغي الحكم الإسلامي، وأن تعطل هذه الإرادة القوية التي قالت: لا لمحاولات التسوية والسلام الهشّ المزعوم - إسرائيل تريد أن تلعب لعبتها، وأن تسيطر على منابع النيل في الحبشة وفي منطقة البحيرات الكبرى، وأن تطل على البحر الأحمر، ولذلك حرّكت إريتريا وأفورقي وأتباعه. هذا ما نراه.

نحن يجب أن نتنبه لهذه المكايد والمؤامرات، وأن نعيها، وأن نقف لها بالمرصاد، وأن ندعو أمتنا أن تتناسى خلافاتها ونزاعاتها الجزئية والجانبية، وتقف جبهة واحدة.

آن لهذه الأمة أن تعلم أنه لا ينجيها من الغرق إلا الاتحاد والتعاون: **{وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ...}** [آل عمران: 103]، و**«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**(46).

أسأل الله تعالى أن يهيء لنا من أمرنا رشدًا، وأن ينير بصائرنا، وأن يضيء الطريق أمامنا حتى نرى أهدافنا ووسائلنا بوضوح. إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم،

---

(46) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم عن أبي موسى الأشعري. وتتمته كما في البخاري: ثم شبك بين أصابعه. أي يشد بعضهم بعضًا مثل هذا الشد. «فيض القدير» للمناوي (252/6) برقم (9143).

وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

كنت أريد - أيها الإخوة - أن أعلّق على ما جاء في برنامج «قضايا وآراء» الذي لم يستمع إلى نصيحتي بإغلاق ملف «فوائد البنوك»، وقد ارتكب أخطاء قبيحة جدًا في الحقيقة. ولكني أدخر هذا التعليق إلى الجمعة القادمة إن شاء الله، إذا هيأ الله لنا أن نحيا[47].

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

* * *

---

(47) انظر خطبة: «توضيح الحق في فوائد البنوك» في الجزء الثالث من هذه الخطب (ص 94 - 110).

9- دروس من انتفاضة الأقصى(48)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زالت الأحداث تتوالى، وهي أحداث توحي بأن هذه الأمة إلى خير، وهي على خير إلى يوم القيامة.

لا زالت انتفاضة القدس الشريف - انتفاضة الأقصى - حيّة تتفاعل ويتجاوب معها المؤمنون في كل مكان، لا زالت كل يوم تصدّر إلينا الشهداء والجرحى.

لا زالت هذه الانتفاضة توحي لنا بدروس لا بد أن نستفيد منها. وتلقننا دروسًا حيّة على هذه الأمة أن تعيها:

الشعب الفلسطيني لم يمت:

الدرس الأول: أن الشعب الفلسطيني لم يمت، الشعب الفلسطيني لا زال يقدّم التضحيات تلو التضحيات، منذ الانتداب البريطاني الذي زرع اليهود زرعًا وغرسهم غرسًا، وتولاهم برعايته وتسميده، إلى أن أصبحوا دولة. منذ ذلك اليوم وهذا الشعب يضحي ويبذل من أرواحه، ومن أبنائه، ومن شيوخه، ومن شبابه، حتى هذه الانتفاضة الثانية.

لقد جربنا الانتفاضة الأولى: انتفاضة غزة، التي بدأت من غزة، وكانوا

---

(48) اندلعت هذه الانتفاضة في أعقاب قيام رئيس وزراء العدو السفاح «إرييل شارون» مع زمرة من حزبه بتدنيس المسجد الأقصى وساحته، وذلك في 2000/9/28م.

يسمونها «ثورة المساجد»، التي كانت المساجد منطلقاتها، وكانت المصاحف راياتها، وكان شعارها «لا إله إلا الله والله أكبر»، وكان نشيد أبنائها:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمد سوف يعود

هذه الانتفاضة التي أجهضوها، والتي أذهلت العالم، قد بدأت مرة أخرى هي: «انتفاضة الأقصى» هذه المرة، هي الغضب من أجل المقدسات، الغضب من أجل المسجد الذي بارك الله حوله، من أجل المسجد الذي صلّى إليه المسلمون قبل الهجرة ثلاث سنوات وصلوا إليه بعد الهجرة ستة عشر شهرًا، فهو أول قبلة للمسلمين، وهو منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج.

هذه الانتفاضة كانت غضبًا لهذا المسجد أن يدنّسه أمثال شارون، كانت غضبًا لهذه المقدّسات أن يدنّسها قتلة الأنبياء. هذه الانتفاضة نحيي أبناءها، مرحى مرحى يا أبناء فلسطين، يا شباب فلسطين، يا أطفال فلسطين، هؤلاء الصغار الذين أصبحوا بصمودهم وتضحياتهم كبارًا، هؤلاء الأشبال الذين أضحوا أسودًا، هؤلاء التلاميذ الذين أمسوا معلّمين.

رحم الله الشهداء الذين قدّمهم أبناء فلسطين، وشفى الله الجرحى الذين قدّمهم أبناء فلسطين، وحيّا الله شرطة فلسطين الذين التحموا مع أبناء شعبهم وأطلقوا الرصاص على الأعداء، وهذا هو الذي ينبغي.

إن شعب فلسطين قد أصبح كتلة واحدة اليوم، أصبح الشعب كله جبهة وصفًّا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، وهكذا يجب أن يظل هذا الشعب وأن تظل هذه الانتفاضة.

ونحذّر من إجهاض هذه الانتفاضة الباسلة، التي لا تبالي ما أصابها في

سبيل الله:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا على أيّ جنب كان في الله

هذا هو الدرس الأول.

اليهود دمويون لا عهد لهم:

الدرس الثاني: أن هذه الانتفاضة تدلنا على أن هؤلاء اليهود الذين وثق بهم من وثق، ووضع يده في يدهم من وضع، الذي سار وراءهم السائرون وأحسنوا بهم الظن، هؤلاء اليهود لا عهد لهم ولا ذمة.

دلتنا هذه الأحداث على دناءة اليهود، ونذالة اليهود، وخسّة اليهود، وغدر اليهود، وقسوة اليهود، وعدوانية اليهود. وهذا درس تعلّمناه من قديم، من القرآن الكريم نفسه، ومن أحداث التاريخ، ومن أحداث الواقع الذي نعايشه. ولكن هذه الانتفاضة أكدت لنا هذا، زادتنا يقينًا بأن هؤلاء قوم كما قال الله تعالى: **{ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ}** [الأنفال: 56]، وأن هؤلاء هم القساة الذين وصفهم الله تعالى: **{ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ}** [البقرة: 74]، وأن هؤلاء هم العدوانيون الذين لا يبالون بقتل الأطفال البرآء وبقتل الشيوخ الذين لا حول لهم ولا طول.

إنهم يهود لا يتورعون عن شيء، ولا يستنكفون عن شيء، قديمًا قتلوا أنبياءهم: **{ ... فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ}** [المائدة: 70]، بل تطاولوا على الله عز وجل: **{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ... }** [المائدة: 64]، و**{قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ ... }** [آل عمران: 181]!

الذين تطاولوا على الله ورسله لا يستبعد أن يتطاولوا على شعب فلسطين وأبناء فلسطين.

وقديمًا قال مناحم بيغن: «أنا أحارب إذن أنا موجود»! يدلل على وجودهم بالحرب والسلاح. وقد رد عليه الشيخ أحمد ياسين فقال: «وأنا أقاوم إذن أنا موجود». الوجود الفلسطيني إنما يتحقق بالمقاومة، وباستمرار المقاومة.

هذا هو الدرس الثاني أيها الإخوة.

تأييد الغرب المطلق لإسرائيل:

الدرس الثالث: أن هذه الانتفاضة تعلّمنا أن الذي زرع اليهود في فلسطين - ولم يكن لهم وجود يذكر قبل الانتداب البريطاني وقبل وعد بلفور - هم الغربيون، بريطانيا هي التي غرست هذا الغرس لمدة ثلاثين عامًا أيام الانتداب، ثم أُعلنت الدولة الصهيونية المغتصبة الظالمة التي أقامت كيانها على الدماء ... على الاغتصاب ... على المجازر البشرية. هذه الدولة اعترف بها الغرب من أول يوم، اعترفت بها أمريكا من الدقيقة الأولى ... من الثواني الأولى، وقال الغرب جميعًا - حتى روسيا نفسها - : إن إسرائيل خلقت لتبقى.

هذا الغرب لا زال يدعم إلى اليوم إسرائيل، وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية، التي تقف مع إسرائيل بالحق وبالباطل، بالصواب وبالخطأ، بالظلم وبالعدل، تدعمها دعمًا لا حدود له وتحميها، تحميها ماديًا وتحميها عسكريًا وتحميها سياسيًا.

ولولا التأييد الأمريكي المطلق الذي لا حدود له، ولولا المال الأمريكي بالمليارات، ولولا السلاح الأمريكي بلا شروط، ولولا الفيتو الأمريكي بغير

تحفظ، ما استطاعت إسرائيل أن تصول وتجول وتعربد في المنطقة، لا يردها راد، ولا يصدها صاد، ما استطاعت إسرائيل أن تنشئ لها ترسانة نووية ولا يلومها أحد، ولا يجبرها أحد أن تدخل اتفاقية حظر الأسلحة النووية، يُطالب العالم كله بالتوقيع على هذه الاتفاقية إلا إسرائيل! هي الطفل المدلل لأمريكا، أمريكا تحميها من كل شيء ... إنها تحمي الإرهاب.

إسرائيل هي الإرهابي الأكبر في العالم الذي قام كيانه من أول يوم على الإرهاب ... على الدم ... على الاغتصاب ... على العدوان، في حين أمريكا ترى مثلي «إرهابيًا» لا يجوز له أن يدخل أمريكا!! أنا ممنوع من الدخول إلى أمريكا لماذا؟ لأني إرهابي وأناصر الإرهابيين! لأني أناصر أبناء فلسطين، أناصر أبناء الجهاد، وأبناء حماس، وأبناء حزب الله، أناصر الذين يدافعون عن أوطانهم بالدفاع المشروع! أصبحت إرهابيًا في نظر الأمريكان، وأصبحت ممنوعًا من الدخول إلى أمريكا!

أمريكا أصبحت عدوًا للعرب والمسلمين منذ أصبحت هي المؤيد المطلق والمساند المطلق والداعم المطلق للكيان الصهيوني.

هذا درس ثالث أيها الإخوة.

أمتنا لا تزال بخير:

ودرس رابع: هو أن أمتنا العربية والإسلامية لا تزال بخير. في أول الأمر كان هناك نوع من البرود في التجاوب مع هذه الأحداث، ولكن سرعان ما تحركت الأمة بعد همود، واستيقظت بعد رقود، وانبعثت بعد جمود، وقامت المسيرات في كل مكان. حيّا الله الشباب الذين انطلقوا من الجامعات

في مصر وفي سوريا وفي الأردن وفي غيرها من البلاد، في عُمان وفي أبو ظبي وفي قطر. حيّ الله هؤلاء، وحيّ الله شباب الجامعة الأمريكية في القاهرة الذين يتلقون تعليمًا غربيًا بل تعليمًا أمريكيًا، ولكنهم مع هذا ثاروا على الظلم الأمريكي، وثاروا على التحيز الأمريكي، وثاروا على الدعم الأمريكي المستمر لإسرائيل. نحيي هذه الشعوب التي تجاوبت مع هذه الانتفاضة المباركة.

واليوم هو موعد لانتفاضة كبرى في العالم الإسلامي كله، تنطلق من مساجد الأمة الإسلامية المسيرات والهتافات.

اليوم هو يوم الغضب الإسلامي والغضب العربي على الاعتداءات المتكررة ... على هذه الحرب غير المتكافئة.

إسرائيل أعلنت الحرب على الفلسطينيين، حرب بين من ومن؟ بين اللحم والسكين! حرب بين الصدور العارية والدبابات الثقيلة والمروحيات والصواريخ! يحاربون شعبًا أعزل شعبًا جردوه من أسلحته، ثم استخدموا هذه التقنيات العالية وهذه الأسلحة المتطورة ضد هذا الشعب الذي لا يملك سوى العصى.

لنعرف عدونا:

الدرس الرابع إذن هو أن نعرف: من عدوّنا؟ ومن مع عدونا؟ أن نعرف أن أمريكا أصبحت هي إسرائيل الثانية، وأن الأمريكان قد اتخذوا موقفًا عدائيًا ضد العرب والمسلمين. وهذا درس يجب أن لا ننساه.

الفجوة بين الشعوب والقادة:

وهنـاك درس خـامس أيهـا الإخـوة، هـذا الـدرس هـو: أن هنـاك فجـوة بـين الشعوب العربية والإسلامية وبين القـادة الـذين يملكـون أزمـة الأمـور. للأسـف لا نجـد تجـاوب القـادة والزعمـاء والسياسـيين بالقـدر الكـافي مـع صـحوة هـذه الشعوب. هذه الشعوب في واد وحكامها في واد آخر، هذا ما يؤسفنا.

تصوروا أن قادة العرب إلى اليوم لم يستطيعوا أن يعقدوا قمـة عاجلـة لهـذا الأمـر. مـا بـالكم أيهـا القـادة العـرب وأيهـا الحكـام العـرب؟ مـا بـالكم بـادرتم وسارعتم إلى اللقاء في شرم الشيخ حينما زُلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل نتيجـة العمليـات الفدائيـة والاستشـهادية؟! فمـا كـان مـن هـؤلاء إلا أن دعـوا لمـؤتمر قمـة، وفـي أيـام اجتمـع هـؤلاء! لمـاذا؟ ليـدينوا الإرهـاب! مـا هـو الإرهاب؟ الذين يدافعون عن أوطـانهم، الـذين يصـرخون مـن أعمـاقهم، الـذين يـذودون عـن حياضـهم وحرمـاتهم، هـؤلاء إرهـابيون!! اجتمـع هـذا المـؤتمر بسـرعة، لمـاذا لا يجتمـع اليـوم القـادة العـرب والقـادة المسـلمون؟ إنهـم لا يجتمعـون لأن أمريكـا لا تريـد لهـم أن يجتمعـوا! أمريكـا تـرفض أن يجتمـع العرب في قمة على شيء من هذا! ونحن طوع أمريكا! نحن قوم مؤدبون لا ينبغي لنـا أن نخـالف أسيادنا! الأمريكـان أصـبحوا سـادتنا، أصـبحوا متحكمـين فـي رقابنـا وفـي مصـيرنا، فـإذا أرادوا أمـرًا - ولـو بالإشـارة ولـيس بصـريح العبارة - فعلينا أن نطيع، وعلينا أن ننفذ.

سراب السلام:

وهنـاك درس سـادس أيهـا الإخـوة: أن هـذه العمليـة السـلمية التـي يسـمونها عملية السلام هي عملية زائفـة، وعمليـة عرجـاء عوجـاء. هذا سـلام أعـرج ...

سلام أعوج ... سلام ظالم ... سلام لا يقوم على عدل ولا على حق.

رضينا بالسلام أو بعملية السلام، ولكن الذين نادوا بها لم يرضوا! رضينا بأن نجلس مع الغصبين، ولكن الغاصبين أخذوا منا ولم يعطونا شيئًا ماذا أعطوا للفلسطينيين؟ ما أعطوا شيئًا! وعلّقوا كل القضايا المهمة: القدس، واللاجئين، والمياه، والحدود، والمستوطنات! كل القضايا الأساسية عُلّقت إلى النهاية. فماذا حلّ من مشكلات إذن؟

هذه العملية السلمية يجب أن توقف. يجب إيقاف هذه المهزلة. يجب أن نقول بملء أفواهنا: لا، للسلام الزائف، لا للتطبيع الذين ينادي به أقوام عندنا للأسف - جماعة كوبن هاجن وأمثالهم - الذين دعوا إلى السلام، وزعموا أن هناك فئات في إسرائيل تدعوا إلى السلام. أين هذا السلام يا قوم؟! متى دعا هؤلاء الصهاينة إلى السلام؟ ومتى كانوا أنصارًا حقيقيين للسلام؟ إننا نحن المسالمون، أما هم فليسوا مسالمين قط، هم أعداء، هم إرهابيون، هم دعاة العنف أبدًا.

يجب أيها الإخوة أن نستفيد من هذه الدروس.

القدس قضية كبيرة:

وهناك درس أخير: هو أن هذه القضية ليست من القضايا السريعة ولا القضايا البسيطة، إنها قضية لا تحل بين عشية وضحاها، إنها قضية قد تمتد إلى سنين تطول أو إلى عقود من السنين. وقد جربنا قبل ذلك حينما جاء الصليبيون إلى هذه المنطقة، وكان العرب والمسلمون أشد وهنًا مما هم فيه الآن وأشد اختلافًا وتفرقًا، وكان في حكامهم وأمرائهم: الخونة الذين تحالفوا

مع الصليبيين، ولكن الله عع يقيّض لهذه الأمة ويقيّض لهذا الدين من يقوم بنصره.

فبعد أن ظل المسجد الأقصى أسيرًا في يد الصليبيين تسعين عامًا وبعد أن ظل الصليبيون في المنطقة مائتي عام، هيأ الله رجالًا جاؤوا من خارج المنطقة، لم يكونوا عربًا وإنما عربهم الإسلام، قام عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود الشهيد وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، قاموا بحرب الصليبيين، وهيأ الله النصر لصلاح الدين في معركة حطّين ومعركة بيت المقدس، وحرر الله على يديه بيت المقدس.

هذا درس يجب أن لا ننساه أيها الإخوة.

هذه هي الدروس التي نستفيدها من هذه الانتفاضة الجديدة المباركة الحيّة الباسلة.

واجبنا الوقوف مع الانتفاضة:

وإننا نطالب الأمة كلها أن تؤيد هذه الانتفاضة، وأن تشد أزرها، وتسند ظهرها، وتقف بجوارها، بكل ما تستطيع. من استطاع أن يذهب إلى هناك فليفعل، وأتمنى لو فتحت الأبواب للمجاهدين، هناك شباب - في كل مكان ذهبت إليه - يتحرقون شوقًا للجهاد من أجل المسجد الأقصى. من لم يستطع فليجاهد بماله: **{ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... }** [التوبة: 41]، وقد فتحت حملات للتبرعات، فلنبذل فيها بسخاء. ومن لم يستطع بالمال فليتبرع بدمه، الجرحى بالآلاف الآن ويحتاجون إلى الدماء للعمليات الجراحية، فلنتبرع بالدماء.

علينا أن نساند هذه الانتفاضة بكل ما نستطيع، نساندهم بالدعاء في صلواتنا، نقنت قنوات النوازل في الصلوات ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا، كما سنقنت اليوم إن شاء الله بعد الركعة الثانية.

علينا أن نساندهم بكل ما نستطيع، وعلينا أن نطالب زعماءنا بأن يعلوا على خلافاتهم ويقرروا أمرًا لا بد منه: أن يلتقوا في قمة عاجلة. لا بد أن يلتقوا في قمة لا تبحث إلا موضوعًا واحدًا لا خلاف عليه: الأقصى والخطر الذي يتهدد الأقصى. هذا ما نطالب به هؤلاء الزعماء.

نطالبهم أن يجتمعوا بسرعة ويقرروا ولو بالحد الأدنى: ماذا يجب على هذه الأمة أن تفعل؟

إن كل يهودي في العالم يعتبر قضية إسرائيل - كما يسمونها وأنا آسف أن أنطق بهذا الاسم على لساني، ولكنها واقع لا بد منه - قضيته ودولته. فكل مسلم في العالم يجب أن يعتبر قضية فلسطين - أرض النبوات وأرض الأقصى وأرض الإسراء والمعراج - قضيته وأرضه.

طالما قلت: إن الفلسطينيين لو تقاعسوا عن قضيتهم لوجب على أبناء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها أن يهبّوا للدفاع عن أقصاهم.

هذا ما نطالب به - أيها الإخوة - المسلمين في كل مكان.

ويوم تنتفض هذه الأمة وتتحرك تستطيع أن تفعل الكثير، والله عز وجل ينصر عباده المؤمنين ولو كانوا قلة وأذلّة كما قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [آل عمران: 123]، **{ ... كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ}** [البقرة: 249].

ونحن للأسف كثرة، نحن ألف وثلاثمائة مليون من المسلمين، ولكنها كثرة كغثاء السيل، لولا أمثال هؤلاء الشباب الأبطال الصامدون الذين نحييهم من هنا ونقول لهم: سيروا على بركة الله، أمضوا في طريقكم، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم، عيشوا أعزّاء أو موتوا شهداء **{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ}** [التوبة: 52].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة:

إن على كل منا أن يساهم بما يستطيع في مساندة هذه الانتفاضة المباركة، على كل منا أن يعمل بكل ما يستيطع لهذه المساندة.

هناك جمعية الشيخ عيد بن محمد الخيرية قد بدأت حملة لجمع التبرعات لمساندة إخواننا في الأقصى، والجهاد بالمال مطلوب قبل الجهاد بالنفس: **{ ... وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ... }** [التوبة: 41]، فليبذل كل منا ما يستطيع، وليحث إخوانه على البذل في هذه الناحية.

وهناك وزارة الصحة قد فتحت بنك الدم للتبرع لمدة أسبوع من الساعة السابعة إلى الثانية عشرة مساء كل يوم، فعلى كل من يستطيع أن يتبرع بشيء من دمه أن يبذل شيئًا من هذا، هذا سيكون رصيدًا له عند الله عز وجل. ونطلب من وزارة الصحة أن تمد الأجل وربما لا تكفي هذه الأيام.

علينا أن نساهم بقدر ما نستطيع لنثبت:

1- أن هذه الأمة أمة واحدة كما أراد الله عز وجل، وليست أممًا كما أراد الاستعمار.

2- وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا.

3- وأن المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

4- وأنهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر.

سنقنت بعد القيام من الركعة الثانية قنوت النوازل، وندعوا على الظالمين، وندعوا للمجاهدين، وبعد صلاة الجمعة سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء، ثم نبقى دقائق نسمع فيها قصيدة للأخ الدكتور محمد قطبة، ونسمع كلمة من بعض الإخوة، ثم ننطلق في مسيرتنا إن شاء الله.

ونسأل الله عع أن يجعل ذلك خالصًا لوجهه، وأن يجعله من الجهاد في سبيله، لتحريك هذه القضية وتحريك هذه الأمة حتى تعمل ما تستطيع: **{وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ}** [التوبة: 105].

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

{ ... رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147]، اللهم آمين.

{ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

10- القدس قضيتنا جميعًا

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

الربط بين المسجدين في الإسراء:

لا زال الحديث موصولًا عن انتفاضة الأقصى المباركة. في هذه الأيام - بعد يوم أو يومين - يحتفل المسلمون كعادتهم بذكرى الإسراء والمعراج، ويذكرون قول الله تعالى: {**سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ...**} [الإسراء: 1].

لا يمكن أن يذكر الإنسان المسلم الإسراء والمعراج، وينسى أرض الإسراء والمعراج، وينسى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وينسى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وينسى ربط القرآن بين المسجدين العظيمين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ليس هذا الربط عبثًا، إنه ربط لحكمة إلهية، إنه يذكر المسلمين في كل مكان وفي كل زمان: ارتباط كل من المسجدين بالآخر، فمن فرّط في المسجد الأقصى أوشك أن يفرط في المسجد الحرام، فكلاهما مسجد معظم مقدس مبارك تُشد الرحال إليه.

إذا ذكرنا الإسراء والمعراج فلا بد أن نذكر المسجد الأقصى الذي أصبح أسيرًا في يد الصهاينة منذ ثلث قرن من الزمان، وأصبح مفروضًا على الأمة ... أمة الإسلام ... أمة القرآن ... الأمة التي تقرأ سورة الإسراء ... الأمة التي

تحتفل بذكرى الإسراء والمعراج - أصبح مفروضًا على هذه الأمة - أن تعمل متضامنة متكافلة متعاونة لتحرير المسجد الأقصى، وإعادة المسجد الأقصى إلى هذه الأمة.

هذا هو الواجب، وهذا ما تقوم به الانتفاضة الباسلة المؤمنة المباركة، التي أرتنا أن هذا الشعب - شعب فلسطين - شعب لا يموت، ولا يقبل أن يموت. شعب مستعد لأن يبذل النفس والنفيس، والغالي والرخيص، من أجل هذه المقدّسات.

ذوو العزائم الصادقة:

بالأمس استمعت إلى ما أذاعه تلفزيون «قطر» في لقاء مع جرحى الانتفاضة، وقد سعدت بزيارتهم منذ أيام في مستشفى «حمد». أذاع تلفزيون «قطر» في مساء الأمس لقاء مع هؤلاء الشباب ومع أهليهم: آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأجدادهم، وكان لقاء حافلًا، تبين أن هذا الشعب شعب مصابر مرابط مجاهد لا يفرط في حقه.

لعل الكثيرين منكم شاهدوا واستمعوا إلى ما جرى بالأمس من التلميذ الصغير «سليمان» هذا، ومن أبيه، ومن جده، ومن أمه، ومن جدته، لعلكم سمعتم من هؤلاء ما يشفي الصدور، وما يطمئن القلوب، من سليمان، ومن أخيه رائد، وأخته رائدة، وأمه وأبيه، ومن علاء، وأبي علاء، من هؤلاء الأبطال الذين قالوا: إننا مصممون بعد أن نُشفى - إن شاء الله - ونُعالج من جراحاتنا أن نعود للجهاد من جديد! لا يقولون: مرة ومرت، لا، يقولون: سنعود للجهاد أشد قوة وأصلب عودًا!

هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم، وهذا ما نرجو أن يفهمه المسلمون في كل مكان.

تجاوب الجماهير مع الانتفاضة:

الحمد لله، المسلمون في كل مكان عربًا وعجمًا تجاوبوا مع هذه الانتفاضة، عبّرت عن ذلك المسيرات الغاضبة في مشرقنا ومغربنا. في بلادنا العربية والإسلامية تجاوبت الجماهير التي قاومت السلطات ... السلطات التي تحسب الحساب وتقلّب الأمور وترعى السياسة وتحافظ على مصالحها وتراعي خاطر هذا وذاك، هؤلاء الساسة الذين يتفلسفون في تبرير هزائمهم النفسية ... في تبرير تراجعاتهم ... في تبرير مواقفهم المتخاذلة، هذه فلسفات مريضة ... عقيمة ... سقيمة ليس لها قيمة، وليس لها وزن، أمام هذا الاندفاع التلقائي من هذه الجماهير.

أنا أرى أن هذه الجماهير بفطريتها أصدق تعبيرًا وأعمق تفكيرًا، من هؤلاء الذين يتفلسفون، ويبررون هذا الانهزام النفسي بقيل وقال.

هذه الجماهير المسلمة في كل مكان قد لقّنتنا درسًا: أن هذه الأمة مستعدة أن تبذل لتحرير مقدساتها، عندما يُتاح لها الفرصة، وعندما يفتح لها الطريق. ولكن المشكل أن الطريق مسدود، وأن الأبواب مغلقة أمام المسلمين المتحرّقين إلى الجهاد في كل مكان.

حيثما ذهبت في أرض الله، حيثما ذهبت في أوطان الإسلام مشرقًا أو مغربًا، يسألني الشباب ... الشباب المسلم ... شباب الصحوة الإسلامية ... الشباب الذي يصوم الإثنين والخميس ... الشباب الذي يأخذ حظه من قيام

الليل ... الشباب الذي يقرأ القرآن والسيرة النبوية ... الشباب الذي يعرف سير أبطال الجهاد الفاتحين، هذا الشباب يسألني: كيف نؤدي واجبنا؟ وكيف نبرئ ذمتنا أمام الله والمسجد الأقصى أسير في أيدي اليهود؟ ماذا نفعل؟

هذا الشباب يتحرق للجهاد، لماذا لا تفتح له الأبواب؟ دول الطوق هل مهمتها حماية إسرائيل من هذا الشباب المتحرق للجهاد في سبيل الله؟ ماذا نقول؟

القدس قضية المسلمين الأولى:

إن قضية فلسطين - أيها الإخوة - قضية المسلمين الأولى، قضية أمة الإسلام ... أمة القرآن ... أمة محمد عليه الصلاة والسلام، ولا يجوز لهذه الأمة أن تضع هذه القضية دبر آذانها، أو تغفل عنها، أو تفكر في سواها، إنها قضيتهم الأولى.

إذا كان كل يهودي في العالم يعتبر إسرائيل وقيام إسرائيل وانتصار إسرائيل قضيته الأولى، ويبذل في ذلك ما يبذل، إذا كان هذا شأن اليهود في أنحاء العالم، فما بالنا نحن المسلمين؟

نحن نعرف أن اليهود أبخل الناس بمال، ومع هذا رأينا اليهود في عصرنا هذا يبذلون من أموالهم الملايين لنصرة إسرائيل. الملايين تبذل لنصرة هذا الكيان الصهيوني الغاصب المعتدي. أين المليونيرات والمليارديرات عندنا نحن العرب والمسلمين؟ أين ملايينهم وملاييرهم؟ لماذا لم تظهر؟ هناك رجال خيرون والحمد لله في كل مكان، ولكن ليس على مستوى اليهود في العالم، وهذا مما يؤسف له.

اليهود الذين وصفهم القرآن بأنهم أحرص الناس على حياة أي حياة، أصبحوا يبذلون من أنفسهم ومن دمائهم ويتحدّون أمة الإسلام هنا وهناك.

ما تملكه الأمة لمواجهة اليهود:

هذا يفرض على هذه الأمة أن تهب عن بكرة أبيها لتدافع عن دينها ... لتدافع عن مقدساتها لتدافع عن أرضها ... لتدافع عن حرماتها بكل ما تملكه، وهي تملك الكثير.

هذه الأمة تملك الكثير:

هذه الأمة تملك الكثرة العددية «مليار وثلث مليار» من البشر من أبناء الإسلام.

وهذه الأمة تملك القوة الاقتصادية، في أرضها الثروات المذخورة والمنشورة، الزراعية والصناعية والمعدنية ... إلخ.

وتملك هذه الأمة القوة الحضارية، فهي قد نشأت في منابت الحضارات، ومهابط الرسالات، في صرة العالم. الحضارات الكبرى نشأت في أرض الإسلام: الحضارة الفرعونية والحضارة الفينيقية والحضارة الآشورية والبابلية والهندية والفارسية، هذه الحضارات نشأت في أرض الإسلام.

هذه الأمة تملك القوة الروحية، لأنها تملك أعظم رسالة «رسالة الإسلام»، التي ختم الله بها الرسالات، وختم بها النبوات، وجعلها رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين.

هذه الأمة تملك الكثير من مقومات السيادة والريادة والقيادة والانتصار، لو وظفت ما تملكه من قُوى لو جُندت هذه القوى وأُحسن تجنيدها وتوظيفها.

هـذه الأمـة قـادرة علـى أن تفعـل الكثيـر، ولكـن المشـكلة هـي مشـكلة «القيادات».

قـديمًا قـال السـيد محـب الـدين الخطيـب رحمـه الله فـي مجلتـه «الفـتح»: «المسلمون إلـى خير ولكن الضـعف فـي قيـادتهم». الضـعف دائمًـا يـأتي مـن القيـادة، القيـادات ليسـت علـى مسـتوى الأمـة والجمـاهير، إنهـم يريـدون أن يحصـلوا علـى أي شـيء بـأي ثمـن، وطبيعـة هذه القضـايا أنهـا قضـايا طويلـة النفس، طويلة الأمد، لا تُحل بين عشية وضحاها.

هـذه القضــايا لا بــد أن يصــبر عليهــا أهلهــا، ويصــابروا، ويرابطــوا، ويجاهدوا، حتى يحصلوا على النصر.

هذه ليست أول مرة تحتل فيها فلسطين وسواحل الشام، قد احتلت من قبل:

احتلها «الفرنجة» الذين جاءوا من أوربا، الذين عرفوا باسم «الصليبيين»، كــان المســلمون يســمونهم: كفــار الفرنجــة، هــؤلاء الــذين جــاءوا بقضــهم وقضيضهم وثالوثهم وصليبهم، يزعمون أنهم يريدون إنقاذ قبر المسيح! ومـاذا أصاب قبر المسيح؟!

لقد عاش المسيحيون في ظل حضارة الإسلام ودولـة الإسـلام - كمـا عـاش اليهـود أنفسـهم - آمنـين علـى أنفسـهم ودمـائهم وأعراضـهم وأمـوالهم وأديـانهم ومعابدهم وبيعهم وكنائسهم، وكان المسلمون هم حراسها، لا يستطيع أحد أن يمسهم بسوء.

جـاء هـؤلاء فـي غفلـة مـن الزمن، فـي غفلـة مـن الأمـة وتتـابع مـن محنهـا. كانت الأمة أضعف مما هي عليـه الآن، وكـان هنـاك حكـام أضـعف مـن حكـام

اليوم، بل كان هناك من خان الأمة بصراحة وجلاء، وتحالف مع الصليبيين في جهرة وعلانية، ولكن هيأ الله رجالًا قاموا بواجبهم.

ابتدأت الحرب مع هذه الحملات التي بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري سنة (488) من الهجرة، بدأ هناك «أتابكة» الموصل و«أرافقة» ديار بكر، ثم بدأ عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين محمود الشهيد الذي قام بالجانب الأكبر في مقاومة الصليبيين، وفي إقامة حكم إسلامي راشد، تتبع سنن الخلفاء الراشدين، ويحي ما مات منها، قام بتجديد إسلامي أشبه بتجديد عمر بن عبد العزيز في عهد بني أميّة، ولكنّه لم يكن له كل ما كان لعمر بن عبد العزيز، كان يملك الموصل والجزيرة والشام ومصر واليمن، استطاع أن يقيم فيها عدل الإسلام، وأن يقيم فيها مدارس، وأن يقيم فيها رجالًا، وأن يديرها إدارة حسنة، وأن يهيئ الشعب.

هيأ الشعب للقيام بالجهاد، فلا بد من إصلاح الجبهة الداخلية، وكان هو المثل أمام شعبه وأمام المسلمين من حوله، كان بطلًا حقيقيًا.

تفقه في دين الله حتى إنه أخذ إجازة في الحديث، أصبح من حقه أن يروي الحديث لغيره، وكان قارئًا للقرآن، كان مصليًا يقوم بالليل في خلسة من الناس ويذهب بغلس إلى المسجد ليقوم الليل.

كان هذا هو الإنسان المسلم الذي نصره الله على الصليبيين في معارك كثيرة. ثم جاء تلميذه صلاح الدين الأيوبي الذي حرر على يديه القدس، وكانت معركة حطين، ثم جاء الظاهر بيبرس، وآل قلاوون، وأنهوا الوجود الصليبي من المنطقة.

ماذا نريد من قادتنا؟

ليت حكامنا وزعماءنا وقادتنا الذين سيجتمعون غدًا في صورة قمة عربية، ليتهم يقرأون التاريخ، ليتهم يلتمسون العبرة من التاريخ، ليتهم يعلمون أن التاريخ لا يسجل بمداد من نور إلا لمن وقف موقف البطولة وقال: لا، بملء فيه. لا يسجل التاريخ مواقف المنهزمين والمتراجعين، والذين يخافون من خيالهم، هؤلاء ليس لهم قيمة في التاريخ، وليس لهم مكان في التاريخ.

نريد من القمة التي تُعقد غدًا أن تقف موقفًا رجوليًا، وأن تتجاوب مع هذه الجماهير المؤمنة الغاضبة الصارخة في كل مكان من أرض العرب والإسلام.

نريدهم أن يتجاوبوا مع هذه الجماهير، ولا يتجاوبوا مع «شرم الشيخ» وقمة «شرم الشيخ» التي أريد منها أن تقطع الطريق على هذه القمة. يُراد من هؤلاء القادة والزعماء أن يكونوا مجرد «بصمجية» كما يقولون على قرارات شرم الشيخ، أن تكون مهمتهم المصادقة على هذه القرارات.

لا يليق ... لا يليق بقادة أمة تعدادها «ثلاثمائة مليون» من العرب ووراءهم أكثر من «ألف مليون» من المسلمين أن ينزلوا إلى هذا الحضيض.

نريد من هذه الأمة مُمثلة في قادتها - أن تقف موقف الرجولة والبطولة، الذي يليق بأمة كانت يومًا من الأيام قائدة ورائدة وسيدة في التاريخ، سادت العالم عشرة قرون.

نريد من هؤلاء القادة أن يقفوا موقفًا يعلنون فيه الوقف الفوري لكل مظاهر التطبيع مع الكيان الصهيوني، سواء كان تطبيعًا في الجانب

الاقتصادي أم السياسي أم الثقافي أم التجاري أم الدبلوماسي. لا يجوز أن يبقوا مع هؤلاء أي نوع من العلاقات، هؤلاء قوم لا عهد لهم ولا ذمة، وقد اتفقوا في «شرم الشيخ»، وانظروا الآن ماذا يفعلون مع أبناء فلسطين في الضفة الغربية وفي غزة، المروحيات والطائرات الحربية تعمل عملها، هؤلاء الله تعالى قال عنهم: **{إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ 55 ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ}** [الأنفال: 55، 56]، لا عهد لهم.

هؤلاء القساة الذين وصف الله قلوبهم بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، إنهم لا يتورعون عن قتل الأطفال، ويضربون في الأعين. قال لي وزير الصحة الفلسطيني الدكتور رياض الزعنون: إن عندنا عشرات مصابين في أعينهم، إنهم يريدون أن يجعلوا من هذا الشعب معوقًا وصاحب عاهات، يسلطون أعيرتهم على الأعين، وعندنا منهم هذا التلميذ «سليمان».

هؤلاء الذين لا يتورعون عن شيء، ذكر الأستاذ فهمي هويدي في مقالته يوم الثلاثاء الماضي: أن اثنين من جنودهم واجهوا رجلًا فلسطينيًا كان معه سكين عادية، فأخرج السكين وهددهما، فاستسلما وتركاه، ولم يكن يريد منهما شيئًا فتركهما ومشى، فلما ولى بعيدًا - حوالي عشرين مترًا - إذا بهما يطلقان عليه الرصاص ويريدانه قتيلًا.

انظر إلى هذه النذالة ... إلى هذا الجبن، جنديان مسلحان خافا وفزعا من سكينة ولم يرد الرجل أن يفعل بهما شيئًا، فقط أراد أن يهددهما حتى يتركاه، فلما تركهما هذا الرجل الشريف إذا بهما يقتلانه من الخلف، يطعنانه في ظهره، يضربانه برصاصهما الآثم الغدار.

هؤلاء هم القوم الجبناء، وللأسف ابتلينا بأن تكون معركتنا مع هؤلاء الجبناء والأنذال والغدارين والمعتدين، الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يرعون لإنسان عهدًا ولا حُرمة، يقتلون النساء، يقتلون الأطفال، يقتلون الشيوخ، يقتلون المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلًا.

معركتنا مع هؤلاء:

نريد من قادتنا أن يكونوا على مستوى الموقف، وأن يعلنوا أنهم مع الانتفاضة. إذا لم يستطيعوا أن يعلنوا الحرب وأن يجيشوا الجيوش - لأنه لا طاقة لهم بهذه الحرب - فعلى الأقل عليهم أن يشدوا أزر هذه المقاومة، وأن يساعدوها بالمال وبالسلاح، ولو بالسلاح التقليدي: المدافع الخفيفة والبنادق والمسدسات وبعض هذه الأشياء، علينا أن نساعدهم.

لا نقول أعلنوا الحرب وجيشوا الجيوش، وهناك أناس مقيدون بسلاسل معاهدات واتفاقات لا يريدون أن يخرقوها ولا يريدون أن ينقضوها، عليهم - على الأقل - أن يؤيدوا هذا الشعب الباسل المقاوم، الذي أثبت بطولته ولا زال يثبتها في كل يوم.

واجب المقاطعة للكيان الصهيوني:

عليهم أن يفعّلوا المقاطعة، أن يقاطعوا البضائع الصهيونية وكل من يتعامل مع الصهيونية. عليهم أن يعيدوا المقاطعة القديمة، فلم يكن هناك مبرر لإلغاء هذه المقاطعة.

نطالب دولة قطر:

نطالب كل من له علاقة بهذا الكيان الصهيوني أن يقطعها، وأول من

نطالبهم بذلك: دولة «قطر». نريد من دولة قطر ومن قيادة دولة قطر: أن تغلق هذا المكتب الحقير المنبوذ المبغوض من هذا الشعب ومن هذا المجتمع، المكتب التجاري لإسرائيل. نريد أن تغلق قطر العربية المسلمة: هذا المكتب الذي هو وكر للتجسس ووكر للفساد والإفساد.

لا يليق بدولة قطر التي وقفت وقفة رجولة مع هذه الانتفاضة، وجنّدت إعلامها، وجندت تلفزيونها، وجندت قناة الجزيرة، وجنّدت صحفها، وجندت جمعياتها الخيرية، لمساعدة هذا الشعب، لا يليق بهذه الدولة ولا بقيادة هذه الدولة أن يظل هذا المكتب الموبوء على أرضها. نطالب كل العرب بهذا.

لا يجوز أن ينحني الناس خائفين وجلين من هذا الكيان الصهيوني، وممن وراء الكيان الصهيوني ... من أمريكا. الناس ينظرون إلى أمريكا كأنها إله في هذا الكون، يعز من يشاء ويذل من يشاء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يُسأل عما يفعل. هكذا ينظر الناس إلى أمريكا.

نحن نقول: إن أمريكا ليست إلا بشرًا، أمريكا ليست هي القديرة على كل شيء. إن أمريكا جرّبت حظّها في أكثر من بلد وخرجت مهزومة منها، خرجت كسيرة الجناح. خرجت كسيرة الجناح من «فيتنام» التي ظلت فيها سنوات وأنفقت فيها المليارات ولم تحقق شيئًا. وخرجت كسيرة الجناح من «لبنان» حينما فقدت بعض رجالها وهي يعز عليها رجالها، تريد أن تدخل الحروب ولا تخسر أحدًا من أبنائها، فإذا خسرت بعض أبنائها أجفلت ووجلت وتخوفت. وخرجت كسيرة الجناح من «الصومال» حينما خسرت أيضًا بعض أفرادها.

أمريكا ليست هي الإله، إنما أمريكا بشر مثلنا، كل ما نريده أن نكون رجالًا، وأن نقدر على قول «لا» بملء أفواهنا، ونحن قادرون عليها إذا تخلينا عن هذه الهواجس، والوساوس، والمخاوف، التي تجعل الحبة قُبة والقط جملًا.

هذا ما نريده من قادتنا.

نريد من القادة أن يكونوا رجالًا، وأن يناصروا هذه الانتفاضة، وأن يُفعّلوا المقاطعة، وأن يقيسوا الناس والدول على قدر علاقتها بإسرائيل وعلى قدر علاقتها بهذه الانتفاضة وبأهل فلسطين.

ماذا نريد من الشعوب؟

ونريد من الشعوب موقفًا آخر:

نريد من الشعوب أن تظل على غضبتها، وأن تظل مستمرة في تأييدها لهذه الانتفاضة، بكل ما تملك من أنفس ومن أموال، وأن تحرص على وصول هذه الأموال لمن يستحقها.

نريد من الشعوب والجماهير أن تقاطع البضائع الإسرائيلية والأمريكية، وأن تستمر في ذلك وإني أشهد والحمد لله أن الشركات الأمريكية هنا في قطر بدأت تصرخ وتملأ الجرائد إعلانات في الصفحات الأولى والصفحات الأخيرة، لأن هذا الشعب بدأ يعي نفسه ويعرف واجبه، ويقاطع هذه المأكولات والمشروبات الأمريكية، وهذا يطمئننا.

وأريد أن يستمر الشعب وأن يتزايد هذا الوعي، ما قيمة أن تشرب زجاجة من البيبسي أو الكولا؟ ما قيمة أن تأكل من «ماكدونالز» أو من «البتزاهت»

ما قيمة هذا؟ لماذا لا نأكل من طعامنا الشرقي العربي الإسلامي الذي تعودناه؟ ما رأيت شعوبًا أصيلة تفعل كما نفعل نحن. ذهبت إلى اليابان وذهبت إلى بلاد أخرى ووجدت الناس يهتمون بأن يأكلوا أكلهم الموروث. ممكن في كل عدة أشهر يذهب ليأكل كذا، أو إذا جاءه ضيف. فلماذا هذا التهافت على هذه المأكولات والمشروبات والملبوسات التي هي دخيلة علينا وغريبة عنا؟

لا بد أن نقاطع، هذا نوع من الجهاد، كل إنسان عليه نوع من الجهاد، والمقاطعة سلاح من أسلحة الجهاد الفعالة، يعرف ذلك كل من له معرفة بعلم السياسة وعلم الحرب وعلم الاجتماع.

علينا أن نقاطع هذه المحلات. مركز «ماركسبنسر» هذا الذي يخصص أرباح يوم السبت في كل محلاته في العالم ليعطيها إلى الكيان الصهيوني، وهذا أمر معروف عند العالم كله، ومع هذا للأسف وجدنا في أبناء الخليج من يفتح لهذه المحلات مكانًا في بلادنا، وما كان أغنانا عن هذا.

أين الوعي؟

نريد من هذه الأمة وعيًا إدراكيًا سليمًا بحيث نعرف: من هو عدونا؟ ومن هو صديقنا؟ وماذا في إمكاننا أن نفعل؟ وماذا في قدرتنا أن نقيم؟

هذا ما يجب على هذه الأمة في هذا الوقت، حتى ينصر الله إخواننا، وينصر الله هذه الانتفاضة المباركة التي هي انتفاضتنا جميعًا.

أحب أن أقول - أيها الإخوة - : إن هذه القضية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، هم يقومون عن هذه الأمة بفرض، كلنا يجب أن ندافع عن الأقصى،

فإذا قام هؤلاء عنا فقد أدوا واجبًا أو بعض الواجب عن هذه الأمة.

إن إسرائيل ليست خطرًا على الفلسطينيين وحدهم، إنها خطر على العرب، وخطر على المسلمين، خطر عسكري، وخطر سياسي، وخطر اقتصادي، وخطر ثقافي، وخطر ديني، خطر من كل ناحية، فعلينا أن نقاوم هذا الخطر وهذا السرطان بكل ما نستطيع من قوة، وإذا نصرنا الله فسينصرنا الله {**إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ**} [آل عمران: 160].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

11- خمسون عامًا على ضياع فلسطين

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في هذه الأيام تستعد إسرائيل للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام دولتها «إسرائيل» على أرضنا الطيبة، أرض المقدسات والنبوات، أرض «فلسطين».

ونحن نحاول أن نتذكر آلام ضياع هذه الأرض، التي ضاعت على مرأى ومسمع منا، لعل الجيل الجديد من أبنائنا لم يشهد المأساة بعينيه كما شهدناها، نحن عشنا المأساة قبل أن تقع وبعد أن وقعت.

كنا نعجب من ضياع الأندلس وسقوط دولة الأندلس، على مرأى ومسمع من المسلمين، حتى رأينا أندلسًا أخرى تسقط من أيدينا، ونحن نرى ونسمع ولكنها في الحقيقة أخطر من الأندلس، وأهم من الأندلس.

كنا طلابًا صغارًا في المرحلة الابتدائية من الأزهر الشريف، وكنا مشغولين بقضية فلسطين. قضية المسجد الأقصى ... قضية أرض الإسراء والمعراج ... قضية القبلة الأولى، كنا مشغولين بهذه القضية. كنا في كل عام في الثاني من شهر نوفمبر نسير المظاهرات الطلابية، وننشد القصائد الحماسية، ونلقي الخطب النارية، ونهتف بالهتافات المدوّية: عاشت فلسطين عربية إسلامية!

كنا نعيش مع هذه القضية، خصوصًا في الثاني من نوفمبر الذي يمثل

ذكرى وعد «بلفور». و«بلفور» هذا هو وزير خارجية بريطانيا الذي وعد اليهود - بما قدّموا من خدمات لبريطانيا في الحرب العالمية الثانية - وعدهم بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. وعلّق من علّق على هذا الوعد: بأن من لا يملك وعد من لا يستحق!

كانوا يقولون ما قاله «هرتزل» من قديم: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض». ولم تكن فلسطين بلا شعب، بل كان فيها شعبها من قديم.

هم من قديم قالوا هذا، من عهد «هرتزل»، وأرسلوا اثنين من الحاخامات إلى فلسطين ليرياها رأي العين. وذهب أحد الحاخامات وكتب إليهم يقول حينما ذهب إلى فلسطين: إن العروس جميلة جدًا، وهي مستوفية لكل الشروط حقًا، ولكن المشكلة أنها متزوجة فعلًا وزوجها حيّ! أي إن فلسطين لها شعبها وسكّانها.

هذه هي المشكلة: أنهم أرادوا أن ينزعوا شعبًا من أرض ووطنه، وأن يحتلوا محلّه، ويحيوا مكانه. وبعبارة أخرى: أن يشاركوا الرجل في عروسه، بل أن يغتصبوها منه عنوة!

هذه كانت هي المشكلة.

الاستعمار هو الذي ساعد اليهود من أول الأمر، ومكّن لهم في الأرض، أمدّهم بكل ما يريدون.

حاول اليهود أن يخترقوا النّطاق الإسلامي، حاولوا أن يصلوا إلى السلطان العثماني ... إلى الخليفة الذي كان يجّسد القيادة الإسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية: السلطان عبد الحميد، أرادوا أن يصلوا إليه، وقد وصلوا

إليـه، وأرادوا أن يرشـوه - علـى طريقـة اليهـود - بمـا عنـدهم مـن أمـوال، وعرضـوا عليـه «عشـرين مليـون جنيـه ذهبـي»، بعضـها لجيبـه، وبعضـها لخزانـة الدولـة، تسدد بـه ديونهـا، وتقيم بـه مشروعاتها، ولكن الرجل رفض وأبى بشمم وعزة، أبى أن يتنازل عن شبر من أرض فلسطين.

وهذا مـا سجّله لـه «هرتـزل» في مذكّراتـه عن صـلابة هذا الرجل، الذي رفض أن يعطي شبرًا واحدًا من فلسطين بالملايين، ولا بملء الأرض ذهبًا.

ولكـنّ الـذي سـاعد اليهـود فـي إقامـة دولـتهم هـو: الاسـتعمار. خصوصًـا الاستعمار البريطاني، الذي انتصر على الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولـى، ودخـل القائـد البريطـاني «اللنبـي» القدس فـي سنة (1917م)، وقـال كلمتـه الشـهيرة: اليـوم انتهـت الحـروب الصـليبية! وقـال ذلـك نظيـره القائـد الفرنسي «جورو» حينمـا دخـل دمشـق وذهـب إلـى قبـر صـلاح الـدين الأيـوبي البطـل المسـلم الـذي حـرر الله علـى يديـه أرض فلسـطين مـن الفرنجـة «الصليبيين»، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين!

هكذا رأينا القادة العسكريين يصرحون بما لم يصرّح بـه القـادة السياسـيون. القائد الإنجليزي في القدس، والقائد الفرنسـي فـي دمشـق، كلاهمـا أعـرب عمّـا في نفسه بصراحة ووضوح: إنها الحرب الصليبية.

لقـد اتفقـت ا لصـليبية الغربيـة مـع الصـهيونية العالميـة، اتفقـا علينـا نحـن المسلمين، وكنا في غفلة، وكنا في وهن، وكنا في تمزق.

كـان اليهود قد جمّعوا أنفسـهم بعد تفرق، وخططوا لأنفسـهم بعد ارتجـال وفوضـى، وهيـأوا لأنفسـهم: مـاذا يريـدون؟ وكيـف يحققـون مـا يريـدون؟ هيـأوا

المال، وهيأوا الخطط، وهيأوا الأفكار، وهيأوا نفسية الشعب اليهودي نفسه، الذي كان يرفض الذهاب إلى فلسطين في أول الأمر. كانوا مستقرين في أوطانهم، اليهود - كما نعلم - معظمهم أغنياء في البلاد التي كانوا يعيشون فيها، فما كانوا يريدون أن يتركوا هذه البلاد.

في أول الأمر لم تكن فلسطين هي البلد الوحيد الذي عرض عليهم ليكون وطنًا لهم. بل عرض عليهم «هرتزل» نفسه ومن معه أوطانًا في إفريقيا: موزمبيق والكونغو وأوغندا، وعرضت عليهم: الأرجنتين، وعرضت عليهم قبرص، ولكن الناس لم يتحمسوا لهذه الأوطان.

ولذلك بدأت الفكرة: أن يدخلوا العنصر الديني ليلهبوا العواطف، ويجمّعوا الجماهير، فكان التركيز في النهاية على فلسطين، «أرض الميعاد» كما سموها، وتبنّى ذلك المؤتمر اليهودي الذي انعقد سنة (1905م)، أي بعد سنة واحدة من وفاة «هرتزل». جاء ذلك ونحن في غفلة عما يجري حولنا.

سئل أحد رؤساء وزراء مصر في سنة من السنوات عن قضية فلسطين، فقال لهم: وما شأني، أنا رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين!! كان يظن أن الخطر بعيد عنه، ما كان يعرف أنه في قلب الخطر.

كان الذي يدرك هذا الخطر بوضوح وجلاء وعمق: رجلًا شابًا في الثلاثين من عمره في ذلك الوقت، هو: حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، الذي كان يعيش في قضية فلسطين كما تعيش فيه، كانت من أول شواغله وأكبر همومه، باعتبارها أرضًا إسلامية لها خصوصيتها وقدسيتها عند المسلمين فالإسلام هو صاحب قضية فلسطين، قضية فلسطين لا يمكن

إلا أن تكون قضية إسلامية.

وأحب أن أشرح هذه القضية: ما معنى أن فلسطين قضية إسلامية؟

قال الشيخ أحمد ياسين بالأمس في محاضرته: إننا لا نحارب اليهود من أجل أنهم يهود. أي إننا لا نحاربهم من أجل عقيدتهم اليهودية. وهذا كلام سليم، يدل على فقه سليم، نحن نقول إن اليهود كفّار كما إن النصارى كفّار، لأنهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ولكنّا لا نحاربهم من أجل ذلك، فقد عاش اليهود بين ظهراني المسلمين قرونًا طويلة في أمان وضمان وسلام، وكان لهم نفوذهم لدى الخلفاء والوزراء والكبراء، بل منهم من صار وزيرًا، وكان لهم غناهم وثرواتهم، حتى إن كثيرًا من المسلمين كانوا يحسدونهم على ما هم فيه.

لم يكن الأمر إذًا بيننا وبين اليهود صراعًا من أجل العقيدة، فالإسلام أقرّهم على عقيدتهم، وعاشوا أهل ذمة بين المسلمين. وحينما طردهم العالم في أوربا وغيرها، لم يجدوا كهفًا يأوون إليه، لم يجدوا أرضًا يأمنون فيها، ويطمئنون على أنفسهم وأموالهم وحرماتهم إلا أرض الإسلام. إلا دار الإسلام، هي التي آوتهم من تشرد، وهي التي أمنّتهم من خوف، وهي التي وسعتهم وساعدتهم.

إذن ليس الأمر بيننا وبين اليهود حربًا عقدية من أجل العقيدة. بل المعركة بيننا وبينهم من أجل الأرض التي اغتصبوها عدوانا وظلمًا. قامت المعركة بيننا وبين اليهود حينما اغتصبوا أرضنا، وشرّدوا أهلنا، وسفكوا دماءنا، وانتهكوا حرماتنا، وأقاموا ما أقاموا من مجازر تشيب لهولها الولدان،

وتقشعر منها الأبدان إن من المتفق عليه: أن الحرب بيننا وبين الصهاينة هي من نوع جهاد الدفع لا جهاد الطلب. نحن إذن ندافع عن أنفسنا: عن أرضنا ومقدساتنا.

من أجل هذا قامت المعركة بيننا وبين اليهود.

هذه حقيقة يجب أن نعيها أيها الإخوة المسلمون، فبعض اليهود يشنّعون علينا كذبًا وزورًا: أن المسلمين متعصبون، وهم يحاربوننا من أجل ديننا، من أجل عقيدتنا، لا، والله، ما نحاربهم من أجل دينهم، ليبقوا على يهوديتهم، وليذهبوا إلى الجحيم! فحسابهم ليس إلينا، بل إلى الله **{ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}** [الشورى: 15].

لو سالمونا لسالمناهم ولكنهم عادونا فعاديناهم، وحاربونا فحاربناهم، دفاعًا عن أنفسنا الله تعالى يقول: **{لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ 8 إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ}** [الممتحنة: 8، 9] فهم الذين أخرجونا من ديارنا، وظاهروا على إخراجنا، وفعلوا بنا الأفاعيل، فلا يمكن أن نتولاهم، بل لا بد أن نقاومهم، ولا بد أن نحاربهم.

وهذه الحرب حرب مقدّسة، لأنها حرب للدفاع عن الأرض، والدفاع عن العرض، والدفاع عن المقدسات. والمفروض في المسلم أن يدافع عن أرضه ووطنه - أرض الإسلام - ويقاتل حتى الموت دفاعًا عنها، وإذا خر قتيلًا فهو شهيد في سبيل الله.

فكيف إذا كانت هذه الأرض أرض الإسراء والمعراج؟ كيف إذا كانت هذه الأرض أرض النبوات التي بارك الله فيها للعالمين، وقال عن إبراهيم: **{وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ}** [الأنبياء: 71]؟ كيف إذا كانت هي أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله بنص القرآن الكريم؟ إن المعركة تكون معركة إسلامية بكل جوانبها، إنها دفاع عن أرض الإسلام، ودفاع عن القدس، ودفاع عن المسجد الأقصى وهذا واجب كل مسلم: أن يدافع عن المسجد الأقصى كما يدافع عن المسجد الحرام.

ليس عبثًا أن الله ربط بينهما في قصة الإسراء، كان يمكن أن يعرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى وإلى السموات العلى من المسجد الحرام مباشرة، ولكن الله أراد أن يمرّ على المسجد الأقصى. المحطة القدسية هذه مقصودة ليربط الله بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه: **{سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلًا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ...}** [الإسراء: 1]. والله تعالى لم يصف المسجد الحرام إلا بهذه الكلمة: المسجد الحرام، ولكنه زاد فوصف المسجد الأقصى بهذا الوصف: «الذين باركنا حوله» ليربط قلوب الأمة بهذا المسجد، الله يعلم ماذا سيجري لهذا المسجد فوصفه بهذا الوصف.

ربط الله بين المسجدين حتى تستقر قدسيتهما في وجدان كل مسلم، وفي أعماق كل مؤمن، فمن فرّط في المسجد الأقصى أوشك أن يفرط في المسجد الحرام وفي الكعبة «البيت الحرام».

المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة إسلامية. إذا كانت إسرائيل تجمّع الناس من أطراف الأرض باسم العقيدة اليهودية ... بأحلام التوراة والتلمود، فنحن نجمع الناس باسم القرآن. إذا حاربونا باسم اليهودية حاربناهم باسم

الإسلام، إذا حاربونا ورفعوا التوراة رفعنا القرآن الكريم، إذا قالوا: التلمود، قلنا: البخاري ومسلم. إذا قالوا: نعظّم السبت، قلنا: نعظّم الجمعة، إذا قالوا: الهيكل، قلنا المسجد الأقصى. إذا قالوا: موسى، قلنا: نحن مع موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم.

نحن الأقوى، لا يفلّ الحديد إلا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينية بهذا المعنى، معركة إسلامية وسنستمر فيها.

لم نحارب اليهود لأنهم يهود ذوو عقيدة يهودية، ولم نحارب اليهود لأنهم ساميون، كما يقولون عنا: أعداء السامية. وكيف نعادي السامية ونحن ساميون، على أن اليهود لم يعودوا ساميين في أغلبهم، اليهودية ديانة دخلت فيها أجناس شتى، هناك في اليهود: الأوربي والمشرقي والمغربي واليمني والأثيوبي والبولندي والخزري، وقد كتب أحد الغربيين رسالة يقول فيها: «إن يهود اليوم ليسوا يهودًا»! يقصد: ليسوا ساميين، لم يعودوا ساميين.

نحن العرب: ساميون؛ لأننا أبناء إسماعيل، وأبناء العروبة، والعروبة سامية.

فهؤلاء يدّعوا أننا نحاربهم من أجل هذا. نحن لا نحاربهم لا لأنهم ساميون، ولا لأنهم يهود، نحن نحارب اليهود لأنهم غاصبون، غاصبون لأرضنا، معتدون علينا، ليس لهم أي حق في هذه الأرض، لا حق ديني كما يزعمون، ولا حق تاريخي.

ناقشنا في مقام آخر ما يزعمون أنه حق ديني لهم، وليس لهم أي حق،

يقولون: إن الله أعطى هذه الأرض لإبراهيم ولنسله. لنفترض هذا صحيحًا وصدّقناكم، ألسنا من نسل إبراهيم؟ ألسنا نحن العرب من نسل إبراهيم لأننا أبناء إسماعيل؟ يقولون: لا، إسماعيل ابن الجارية، وابن الجارية لا يُحسب في أبناء إبراهيم!! كذبتم والله، فإن إسرائيل نفسه الذي تنتسبون إليه - وهو يعقوب عليه السلام - تزوج أربعًا. اثنتين من الحرائر واثنتين من الإماء، تزوج ابنتي خالته - أو خاله - وأنجب منهما ستة من أبناء إسرائيل، وتزوج جاريتيهما أيضًا وأنجب منهما ستة آخرين، فنصف بني إسرائيل من هاتين الجاريتين، فهل تنكرين أن أبناء هاتين الجاريتين من بني إسرائيل؟ لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك.

ونزيد على ذلك نقول: إنكم تقولون في أسفاركم: إن داود عليه السلام الذي تباهون به وتفخرون بمملكته، كان له مائة زوجة ومائتا جارية يتسرى بهن. وأن ابنه سليمان عليه السلام كان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة أمة - ولا شك أنهما أنجبا من هؤلاء وهؤلاء، والجميع يدخلون في بني إسرائيل.

فلماذا تخرجون إسماعيل وحده لأنه ابن الجارية؟! وإذا كان ابن الجارية أليس هو ابن إبراهيم؟! لتكن أمّه ما تكون، فإنما هو ابن إبراهيم عليه السلام. هؤلاء لا يستندون إلى منطق، إنهم لا يعتمدون على حجة، أو سلطان مبين، إلا سلطان القوة وحدها.

تكلم السيف فاسكت أيها القلم! هذا هو منطقهم.

ليس لهم أي منطق ديني، ولا منطق تاريخي. وهل هذا الوعد الذي وعدهم الله، وعد مطلق أو وعد مشروط؟ إذا تمسّكوا بعهد الله، وساروا على منهج

الله، أما إذا انحرفوا فلا بد أن يؤدبهم القدر، كما قال تعالى في سورة الإسراء: **{عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}** [الإسراء: 8] إذا عدتم إلى الإفساد عُدنا عليكم بالعقوبة، كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عُدنا لها بالنّعل والنّعلُ لها حاضرة

وكما قال الله عز وجل: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ 167 وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا}** [الأعراف: 167، 168] قطعهم الله في الأرض أممًا.

ولهذا يسلّط الله عليهم ما بين حين وآخر من يسومهم سوء العذاب، وآخر من فعل بهم ذلك هو «هتلر» الذي أراد أن يصفيهم تصفية جسدية، صحيح أنه لم يفعل كما يدّعي اليهود أنه أحرق ستة ملايين فيما يسمونه «الهولوكست»! هذا كذب، وقد أثبتت دراسات علمية موضوعية أكاديمية كذب هذه الأرقام، وكتب ذلك المفكّر المعروف «روجيه جارودي» في كتابه «الأساطير المؤسسة للصهيونية».

ولكن إسرائيل بما لها من سلطان على الإعلام وعلى السياسة تستطيع أن تقلب الحقائق، أن تجعل الكذب صدقًا والصدق كذبًا، وهذا على كل حال لا يهمنا، الذي يهمنا هو: أنفسنا. نحن والله نملك الكثير ولكنا لا نستخدمه! هذه الأمة تملك من مقومات القوة ما لا يملك غيرها.

نحن نظن أن اليهود يملكون كل شيء، لا والله، ليس اليهود بالقوة التي نتخيلها. عندهم مائتا قنبلة نووية، ليكن. عندهم ترسانة أسلحة لا توجد عند العرب مجتمعين، عندهم مساندة أمريكا، عندهم تأييد من يؤيدهم من

الغربيين. ولكن نحن معنا الحق، نحن أصحاب الحق، نحن معنا تأييد الله عز وجل، نحن أمة كبرى: مليار وثلث مليار من البشر، كلها تتعلق قلوبها بالقدس وبفلسطين، نحن معنا هذا الرصيد الهائل، نستطيع أن نقاوم.

ونحن نستطيع أن نقف أمام إسرائيل بصدورنا، والله نستطيع أن نزحف إلى الأقصى، وليقتلوا من يقتلون منا، سيقتلون ألفًا. عشرة آلاف ... مائة ألف. مليونًا، ليُقتل مليون من المسلمين، ولكن لا بد أن يفتح الطريق أمام المسلمين كانوا يقولون: إسرائيل هي القوة التي لا تقهر! وقد رأيناها قهرت، قُهرت في حرب العاشر من رمضان 1393هـ السادس من أكتوبر 1973م، إسرائيل يمكن التغلب عليها وقد انتصر عليها كذلك حزب الله في جنوب لبنان.

إسرائيل مجموعة من المتناقضات، اليهود أنفسهم منقسمون: هناك اليهود الأوربيون، واليهود الشرقيون - السفاردين والإشكانزم - وهؤلاء يتعالون على هؤلاء. اليهود الشرقيون هم سبعون في المائة (70%)، ومع هذا ليس لهم في الجامعات إلا حوالي سبعة في المائة (7%) فقط!! أما يهود «الفلاشا» الذين جاءوا من الحبشة فهؤلاء لا يُعتبرون، يؤخذ منهم التبرع بالدم في زجاجات ثم تُرمى؛ لأن دماءهم لا تصلح!!

هذا هو المجتمع الإسرائيلي، وكما قال الله تعالى: **{تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ}** [الحشر: 14].

هناك متناقضات في داخل إسرائيل.

كل ما نحتاج إليه: إرادة قوية تحاول أن تجمع هذه الأمة، التي فُرقت وشُتعالى، شتتها الأيديولوجيات المختلفة، وشتتها الولاءات المتباينة، وشتتها

الأهواء والمصالح والأنانيات، وشتتها حمق الحمقى.

تشتعالى هذه الأمة ويجب أن تتحد، إن لم يتحد المسلمون فليتحد العرب، إن لم يتحد العرب فليتحد الفلسطينيون قبل كل شيء، لا يجوز أن يتصارع الفلسطينيون بعضهم مع بعض.

أسفنا والله أشد الأسف، لهذه التهم التي كيلت جزافًا للمجاهدين في سبيل الله، الذين باعوا أرواحهم ونذروا حياتهم لنصرة هذه القضية، لا يبتغون إلا الله والجنة. هؤلاء الذين قالوا: إما أن نعيش أعزّاء أو نموت شهداء، تُكتال إليهم التهم!

ما كنا نود أن تصبح السلطة في جانب والشارع الفلسطيني في جانب، نحن نريد أن يتحد هذا الشعب سلطة وشارعًا وفصائل مقاومة، ليقفوا أمام العدو الذي تبين أنه لا يعطيهم إلا الأوهام، إلا سرابًا **{بِقِيعَةٍ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا}** [النور: 39].

يجب أن نوحد الكلمة ما استطعنا.

وشكر الله للإخوة في «حماس»، الذين يمدّون أيديهم لإخوانهم مهما أوذوا، ويقولون: لا نرضى أبدًا أن ينقسم الفلسطينيون، وأن يتصارع الفلسطينيون. ولا نريد أن نكون سببًا في ذلك، وإن أوذينا، وإن لفّق علينا ما لفّق، وإن قيل فينا ما قيل. وهذا هو الموقف الحق ... الموقف الصادق.

نحن نستطيع أن نفعل الكثير إذا وجّهنا وجوهنا إلى الله تعالى، والله إننا نقدر أن نفعل الكثير. ليست هذه أول مرة تضيع فيها فلسطين، ضاعت من قبل، وهيأ الله رجالًا حرروها. ونحن - إن شاء الله - عندنا الرجال، عندنا

الأبطال، عندنا الشباب الذين نذروا حياتهم لله تعالى، وهذا أهم ما نحتاج إليه.

نريد المتجردين الذين جردوا نياتهم وبواعثهم من كل عرض دنيوي، وجعلوها لله **{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ 162 لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ}** [الأنعام: 162، 163].

يا أيها الإخوة ... يا أيها الشباب:

لقد عشنا في زمن رأينا فيه فلسطين تسقط أمامنا مدينة مدينة، في سنة (1948م) ونحن نترقّب الإذاعات يقولون: سقطت «حيفا»، يا الله، وداعًا يا «حيفا»، وداعًا يا «يافا»، وداعًا يا «عكا»، في كل مدة تسقط مدينة من مدائن فلسطين أمام أعيننا، ونودعها بالدموع والأحزان.

أين الأمة؟ أين أمة العرب والإسلام؟ كانت الأمة مغيبة في ذلك الوقت، حتى إن الجيوش العربية التي دخلت فلسطين - بعد الخامس عشر من مايو حينما أعلنت دولة إسرائيل - كان المفروض أن تدخل هذه الجيوش لإقامة دولة فلسطين حسب قرار التقسيم، قرار التقسيم جعل دولة لليهود ودولة للعرب، الطبيعي أن تدخل الجيوش العربية لتساعد في إقامة دولة العرب؛ دولة الفلسطينيين، وكان هناك حكومة منفى موجودة بالفعل يرأسها «أحمد حلمي باشا» اسمها «حكومة عموم فلسطين» كما كنا نقرأ في ذلك الوقت.

ولكن للأسف لم تدخل الجيوش العربية لإقامة دولة فلسطين مقابل دولة إسرائيل، وإنما دخلت لتأديب العصابات الصهيونية! واحتلت الأردن القدس والضفة الغربية، واحتلت مصر غزة، وطبعًا بعد ذلك لا يسمح بإقامة دولة داخل الدولة، وهكذا.

وبعد مدة - بعد أن قام الفلسطينيون وانضم إليهم المتطوعون من مصر وسوريا من الإخوان المسلمين، ومن بعض ضباط الجيش المصري الذين أخذوا إجازات من عملهم الرسمي، وتطوعوا في هذا العمل الجهادي - قام الفلسطينيون بمقاومة باسلة. برغم قلة إمكانياتهم - فإن الانتداب البريطاني كان يحرم عليهم حمل السلام أي سلاح، من يملك رصاصة فإنه يعاقب بخمسة عشر عامًا في السجن - ومع هذا استطاعوا أن يحققوا نصرًا وإنجازًا في مواقع شتى.

ولكن جاءت الهدنة التي وافقت عليها الحكومات العربية، وكانت هذه الهدنة هي بمثابة حُقنة مقوية، أو مخرجة من الموت إلى الحياة لإسرائيل، في شهر واحد تدفقت الأسلحة من كل مكان على إسرائيل.

هذا للأسف ما حدث.

المتطوعون قاموا بما قاموا من أعمال في سبيل الله لا زال التاريخ يذكرها، لا يتسع المقام لأحدثكم عن بعض هذه النماذج من المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله. لعلنا في خطبة أخرى - إن شاء الله - نتحدث عن نماذج المؤمنين من المجاهدين الذين تطوعوا لله عز وجل.

أنا أقاوم إذن أنا موجود:

يا أيها الإخوة:

إن قضية فلسطين قضية حية، لا يمكن أن تموت أبدًا، إذا سلّم فيها بعض الناس فلن نسلّم فيها. لا يمكن أن نسلّم بضياع جزء من فلسطين، وكما قلت أمس: إذا كان «مناحم بيجن» قال: أنا أحارب إذًا أنا موجود، فإن الشيخ أحمد

ياسين قال: أنا أقاوم إذًا أنا موجود.

لا بد أن تستمر المقاومة، والمقاومة بالحق ستنتصر على المحاربة بالباطل. سينتصر أحمد ياسين - إن شاء الله - على مناحم بيجن، **{وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [التوبة: 23]، **{وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا}** [الإسراء: 81].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

زيارة الشيخ أحمد ياسين للدوحة:

أيها الإخوة: يسعدنا في هذا اليوم أن يُصلي معنا الأخ المجاهد الصابر المحتسب المرابط - الذي نذر نفسه لله ... للإسلام ... ولفلسطين ... ولمقاومة العدو الباغي الآثم ... مقاومة الصهيونية الظالمة ... مقاومة هذا الاستعمار الإرهابي أكبر إرهابي في العالم - الأخ «أحمد ياسين» الذي أوذي في سبيل الله ما أوذي، على ما به من تعب جسمي وعلى ما به مما ترون، ولكن هذا الجسم المريض وراءه روح قوية لا تستسلم ولا تخنع ولا تنحني أبدًا.

حاول اليهود أن يُغروه فلم يُغر، حاولوا أن يثنوه فلم ينثن، حاولوا أن يتقدم إليهم بطلب فلم يقبل، حاولوا أن يوقع على بيان فرفض.

إنه يعيش لقضية، ويعيش لرسالة.

وهكذا نحتاج نحن إلى هذا النوع من الرجال **{مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا**

عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا} [الأحزاب: 23]. هذا الرجل من هؤلاء الرجال، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله تعالى.

نسأل الله عز وجل أن يثبته وإخوانه على الحق، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يتم عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينته، وينشر عليهم فضله ورحمته.

اللهم أيد بروح من عندك إخوتنا في فلسطين وفي لبنان. اللهم أيد إخوتنا في «حماس» وفي «الجهاد»، اللهم أيد المجاهدين في سبيلك، اللهم أمدهم برح من عندك، واحرسهم بملأ من جندك، واحفظهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم أيد إخوتنا في كشمير وفي الفلبين وفي السودان، وفي سائر بلاد الإسلام.

اللهم اجمع كلمة إخواننا في أفغانستان وفي الصومال وفي سائر أرض الإسلام.

اللهم اجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والنيات على الجهاد في سبيلك، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

عباد الله، يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحب أن أُنبه الإخوة أن الأخ المجاهد الشيخ «أحمد ياسين» ستكون له كلمة بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله. أرجو من الإخوة أن يبقوا في مجالسهم بعد الصلاة لنستمع إليه، زاده الله توفيقًا وثبته وسدد خطاه.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

* * *

12- فلسطين عبر التاريخ

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في مثل هذا اليوم من خمسين عامًا - في الخامس عشر من شهر مايو سنة 1948م - وقع حدث الأحداث في تاريخ المسلمين، ومأساة المآسي.

في مثل هذا اليوم من خمسين سنة اغتصبت الدرة اليتيمة في تاجنا، اقتطعت فلذة من كبدنا، اقتطعت أرض هي بمنزلة سواد العين وسويداء القلب من أمتنا، اقتطعت فلسطين ليقوم عليها كيان غاصب دخيل سموه «دولة إسرائيل».

في مثل هذا اليوم من خمسين عامًا حدثت هذه المأساة، ولم تكن مفاجئة، كان هذا ثمرة عمل مخطط مدروس، كان هذا نتيجة جهد دائم معروف وملموس، قام به الصهاينة قبل خمسين عامًا أو تزيد، منذ بدأت الصهيونية السياسية المنظمة الذي أشرف على إنشائها «هرتزل»، وهو الذي انعقد برئاسته مؤتمر «بازل» سنة 1897م في سويسرا، وأعلن هناك: إن دولة اليهود ستقوم بعد خمسين عامًا.

وقد حدث هذا وقامت الدولة.

قام قرار التقسيم بعد خمسين عامًا، وأنشأت الدولة بعد إحدى وخمسين سنة ... أعلن قيام دولة إسرائيل رسميًا.

وفور قيامها وبعد دقائق اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية، وكان

على رأسها «ترومن» الذي كان متحيزًا مائة في المائة (100%) لليهود الصهاينة، ولما نصحه بعض مشاوريه وخلصائه أن يعمل حساب العرب والمسلمين، قال: وماذا عند العرب؟ كم لهم من الأصوات في الانتخاب؟ هل معهم شيء غير حزمة من الوثائق القانونية؟!

هكذا كان موقف أمريكا.

وبعدها بساعات اعترف الاتحاد السوفيتي، واعترفت أقطار أوربا واحدًا بعد الآخر. وعملت أمريكا عملها لتغري البلدان الصغيرة بالاعتراف بإسرائيل، وأعلن الجميع أن إسرائيل خلقت لتبقى!

كان بداية ذلك - أيها الإخوة - مؤتمر «بازل» الذي تجسدت فيه المنظمة الصهيونية السياسية الجديدة التي أصبحت بديلًا عن الصهيونية الروحية الدينية القديمة. حاول «هرتزل» في أول الأمر أن يختار بلدًا غير فلسطين. لم تكن فلسطين هي المرشحة الأولى في أول الأمر، رُشّحت بلدان عدة في إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، رُشحت «موزمبيق» و«الكونغو» و«أوغندا»، ورُشحت «قبرص» في بعض الأحيان، ورُشحت «الأرجنتين»، رُشحت بلاد شتى.

ولكن اليهود في العالم لم يتجاوبوا مع ذلك، كانوا مربوطين بالأوطان التي يعيشون فيها. وكانوا يعيشون فيها في أغلب الأحيان أغنياء موسرين، كما رأيناهم في مصر وفي غيرها يملكون المتاجر الكبرى ويسيطرون على الثروة وعلى الأسواق وعلى البنوك.

فلم يتجاوب اليهود مع تلك الأقطار.

وهنا رأى «هرتزل» أن يغير الموقف، وأن يبدل الوطن المنشود، ورأى أن يلهب العواطف الدينية، فكانت قضية «فلسطين»، وكانت فكرة «أرض الميعاد».

وهنا استغل «هرتزل» وجماعته الحنين عند اليهود إلى فلسطين والذكريات التاريخية القديمة لهذه الأرض. وفعلًا تبنى المؤتمر اليهودي في سنة 1905م فكرة «أرض الميعاد» ... أرض «فلسطين»، وكان ذلك بعد موت «هرتزل» بسنة.

وظلوا يعملون على ذلك، وتجاوب اليهود في أنحاء العالم مع هذه الفكرة.

واخترع المخترعون لهم أمرين ليشدوا اليهود لهذه الأرض:

1 - دعوى أن لهم حقًا تاريخيًا في فلسطين.

2 - ودعوى أخرى أن لهم حقًا دينيًا في هذه الأرض.

دعوى اليهود بالحق التاريخي:

قالوا: إنا نحن أصحاب هذه الأرض من الناحية التاريخية، وكذبوا هذه الأرض كانت للعرب قبلهم، وأصبحت للعرب بعدهم. لم يدخلها اليهود وهي فاغرة، بل دخلوها وفيها أهلها. ولم يتركوها وهي خالية، بل تركوها وفيها أهلها، وأهلها هم أهل فلسطين.

مر اليهود مرورًا عابرًا على هذه الأرض، نحو أربعمائة سنة أو نحو ذلك. وكان العرب «اليبوسيون» والعرب «الكنعانيون» هم الذين عاشوا في هذه الأرض آلاف السنين قبل أن يدخلها إبراهيم عليه السلام وأولاده. ودخلها

إبراهيم ضيفًا غريبًا على هذه الأرض، حتى إنه حينما ماتت زوجته سارة لم يجد لها قبرًا يدفنها فيه، فتبرع له أحد أبناء فلسطين بقطعة من الأرض، فأبى إلا أن يشتريها منه.

معناها: أن الأرض ليست ملكه حتى اشتراها.

هكذا كان الأمر قديمًا، فحينما دخل اليهود هذه الأرض كان فيها أهلها، وحينما أخرجوا تركوا فيها أهلها أيضًا، فأين الحق التاريخي لهؤلاء؟

بقوا فيها مئات السنين فقط مفسدين في الأرض، حتى سلّط الله عليهم من الأعداء من عاقبهم وأدبهم.

سلّط عليهم البابليين - بختنصر - فجاسوا خلال الديار، دخلوا ديارهم، وتّبروا ودمروا وخربوا، خربوا الهيكل، وأحقوا التوراة، وقتلوا من قتلوا، وهدموا ما هدموا، وأخذوا بقية الإسرائيليين أُسارى منفيين إلى أرض بابل «سبعين سنة» في الأسر البابلي - أو النفي البابلي - الذي تعرفه أدبيات اليهود.

ثمّ سلط عليهم بعد ذلك حينما أفسدوا في الأرض مرة أخرى - حينما صلح أمرهم بعض الشيء، عادت لهم الكرة على أعدائهم فأفسدوا مرة أخرى فسلط الله عليهم - الرومان فضربوهم الضربة القاصمة، وشتتوهم في أنحاء الأرض، وحق عليهم ما قاله الله تعالى: **{وَقَطَّعۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُمَمٗا}** [الأعراف: 168].

البابليون أزالوا دولة اليهود من فلسطين، والرومان أزالوا الوجود اليهودي من فلسطين، لم يعد لهم وجود في فلسطين، حتى إن عمر بن الخطاب رضي

الله عنه حينما دخل القدس فاتحًا واشترط بطريق القدس «صفرونيوس» أن لا يسلم مفاتيح المدينة إلا الخليفة المسلمين وأمير المؤمنين بنفسه، وجاء عمر بن الخطاب في رحلة تاريخية مثيرة وتسلم المفاتيح من هذا البطريق وعقد معه عقدًا أو عهدًا يسمونه «العهد العمري» أو «العهدة العمرية»: أن يؤمن النصارى الذين يسكنون القدس - أو إيلياء كما كانت تسمى في ذلك الوقت - على دمائهم وأموالهم ومعابدهم وشعائرهم وصلبانهم، وأن لا يمسوا بسوء وكان من بنود هذه الاتفاقية: أن لا يساكنهم فيها يهود.

هم الذين اشترطوا ذلك، أرادوا أن لا يساكنهم اليهود في هذه المدينة.

اليهود تركوا القدس وتركوا فلسطين من عهد الرومان، وانتشروا في الأرض، فُرقوا فيها شذر مذر، قطعوا في الأرض أممًا كالذين قال فيهم: **{فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ}** [سبأ: 19] وتسلم المسلمون القدس، وأقاموا فيها حضارتهم: حضارة العلم والإيمان، ودولتهم: دولة العدل والإحسان. لم يظلموا أحدًا، ولم يكونوا كالفاتحين من الأمم الأخرى الذين إذا دخلوا بلدة أذلوا أهلها، أذلوا العباد وأفسدوا البلاد، كما قال الله في شأنهم من قديم على لسان بلقيس: **{إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ}** [النمل: 34]، هذا شأن الاستعمار والفتح الاستعماري. ولكن فتح المسلمين لم يكن فتحًا استعماريًا، كان فتحًا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي كلمة الحق والعدل والخير والإحسان، فهكذا كان المسلمون.

دعوى الحق الديني ووعد الله لليهود:

وعاش اليهود تلك الآلاف من السنين، وفجأة تذكروا أن هناك وعدًا من الله

لهم بأرض الميعاد! أين هذا الوعد منذ دالت دولتكم على أيدي البابليون؟! وأين هذا الوعد منذ زال وجودكم من أرض فلسطين على أيدي الرومان؟! أين كان هذا الوعد؟ لماذا لم ينجز الله وعده لكم؟

إن الله وعدكم أن تدخلوا الأرض وقد دخلتموها، ولكن لم يعدكم بالبقاء فيها أبد الدهر.

قالوا: إن الله وعد إبراهيم أنه سيعطي له ولنسله هذه الأرض.

صدقنا. فمن هم نسل إبراهيم؟

إن إبراهيم كان له ولدان:

ولده البكر والأول: إسماعيل.

وولده الثاني: إسحاق.

لماذا جعلتم نسل إبراهيم منحصرًا في أولاد إسحاق، ولم تدخلوا معهم أبناء إسماعيل؟! هل يكيل الله بكيلين؟ لماذا يحرم الله أولاد إسماعيل وما جنوا ذنبًا؟!

قالوا: إن إسماعيل ابن الجارية، وإسحاق ابن الحرّة! هذا ابن هاجر المصرية الأمة وهذا ابن سارة الحرة.

قلنا: ولكن كلاهما من أولاد إبراهيم عليه السلام. لا يضر الأولاد أن يكونوا من أمهات مختلفة ما داموا منسوبين إلى أبيهم، فلا بد أن يرثوا أباهم.

ونقول لهم: إن إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - كانت له زوجتان - ابنتا خاله - أنجب منهما ستًا من أبنائه «أسباط إسرائيل»، وكان له جاريتان

أنجب من الجاريتين ستة أولاد، أي أن نصف بني إسرائيل أولاد جواري! فهل تنكروا نسب هؤلاء في بني إسرائيل؟!

لا يستطيعون أن ينكروا ذلك.

ليس للإسرائيليين حق تاريخي، ولا حق ديني في فلسطين.

أولى الناس بميراث هذه البلاد هم: المسلمون. الله تعالى يقول: **{وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ}** [الأنبياء: 105].

إن الله لا يعامل الناس بالعروق والأجناس، الله تعالى قال لإبراهيم كما ذكر القرآن: **{وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ** [هذه الإمامة تستمر في ذريتي؟] **قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ}** [البقرة: 124] الظالمون لا ينالون عهد الله ولا يستحقون هذا الميراث الشريف. وقد قال الله تعالى في إبراهيم وإسحاق: **{وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ}** [الصافات: 113].

إن إسرائيل حاولت أن تكسب الأوربيين بهذه الدعاوي الباطلة، وهي دعاوي لا أساس لها. وللأسف صدقها كثير من الأوربيين المسيحيين، وخصوصًا «البروتستانت» منهم، الذين يؤمنون بأن من حق إسرائيل أن تكون لها دولة، وهكذا رأينا رؤساء أميركا منذ عهد «ترومن» ومن بعده، وخصوصًا «كارتر» و«ريجان» و«بوش» و«كلينتون»، كل هؤلاء يؤمنون بهذا الحق الذي يزعمونه لليهود في التوراة وفي الكتاب المقدس.

يا أيها الإخوة: هذا ما يزعمه اليهود، ونحن نقول: إن الأرض أرضنا ... إن الأرض أرضنا، وليس لهؤلاء حق إلا أن يعيشوا أهل ذمة بيننا، وقد

كانوا.

هؤلاء اليهود عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين يعتبرهم المسلمون في ذمتهم وحمايتهم. طردهم العالم في أنحاء الأرض، لفظهم كما تُلفظ النواة، وجاءوا إلى بلاد المسلمين، لم يجدوا كهفًا يؤويهم، لم يجدوا صدرًا يتسع لهم، إلا ديار الإسلام.

فلما تمكنوا يومًا قلبوا لهذه الديار ظهر المجن، وبدأوا يعملون لإقامة دولتهم في قلب ديارنا - في أرض النبوات ... أرض المقدسات ... الأرض التي بارك الله فيها للعالمين ... في أرض الإسراء والمعراج ... في القبلة الأولى للمسلمين - وأقاموها بالفعل، أقاموها في غفلة من العرب والمسلمين، لم يدركوا ما يُبيت لهم.

محاولات فاشلة مع السلطان عبد الحميد:

كان هؤلاء يعملون ليل نهار على كل مستوى: المستوى السياسي، والمستوى الاقتصادي، والمستوى الديني، والمستوى الفكري، والمستوى العسكري، ويتصلون بالأمم، وحاولوا أن يرشوا خليفة المسلمين «السلطان عبد الحميد» الرجل الذي رفض بإباء وشمم ملايين اليهود الذهبية التي أغروه بها، بعضها لخزانة الدولة، وبعضها لخزانته الخاصة، فأبى أن يسلم شبرًا واحدًا من أرض فلسطين ما دام حيًا.

وعد بلفور:

حاولوا هذا، وحاولوا شراء الدول الكبرى، واستطاعوا أن يؤثروا على بريطانيا، خصوصًا بعد أن قامت الحرب العالمية الأولى سنة (1914م)،

واستطاع بعض اليهود أن يقدم لهم خدمات، منهم «حايم وايزمان» العالم الكيميائي الشهير الذي اخترع مادة متفجرة أخبر بها البريطانيين، وأراد أن يقدمها هدية لهم في مقابل وعد منهم بإقامة وطن لليهود.

وصدر هذا الوعد المشؤوم المعروف بوعد «بلفور» - وبلفور هو وزير خارجية إنجلترا - في الثاني من نوفمبر سنة (1917م).

ودخلت جيوش الحلفاء إلى القدس سنة (1917م)، وأعلن القائد الانجليزي كلمته الشهيرة حين قال: اليوم انتهت الحروب الصليبية. أي حققنا ما فشلت وأخفقت فيه الحروب الصليبية القديمة، ودخلنا القدس واحتللنا فلسطين، ما عجز عنه القدماء حققناه اليوم.

هكذا قال القائد الانجليزي الذي دخل القدس.

وقال القائد الفرنسي الذي دخل دمشق عبارة مماثلة، حينما وقف على قبل البطل الإسلامي محرر القدس ومحرر فلسطين وصاحب معركة حطين وقال بشماتة: ها قد عدنا يا صلاح الدين.

وقررت عصبة الأمم بعد ذلك أن تكون بريطانيا منتدبة في فلسطين، أصبح لها حق الانتداب على فلسطين لمدة ثلاثين عامًا.

استعلاء اليهود للانتداب البريطاني في فلسطين:

وفي هذه الأعوام الثلاثين غُرس للصهيونية غراسها، وبُذرت لها بذورها، وسوعدت على أن تقيم منشآتها ومستعمراتها اليهودية - كانوا يسمونها قديمًا المستعمرات ثم غيروها بعد ذلك باسم المستوطنات، هي مستعمرات لأنها منشآت استعمارية في أرض غير أرضهم - وجمع اليهود الملايين ليشتروا

الأرض من الفلسطينيين بأثمان باظهة، ومغرية، وفوق المعتاد، وبأضعاف الأضعاف.

ورفض الفلسطينيون الفقراء والضعفاء، وباع بعض الكبراء والأغنياء للأسف، ولا سيما من غير المسلمين وأخذت أراض من الدولة أو غير ذلك، واستطاع اليهود أن يثبتوا أقدامهم بصورة ما.

أقام اليهود منظماتهم الإرهابية الثلاثة المعروفة، وكانوا في غاية التنظيم والتنسيق والقوة. على حين كان العرب مبعثرين، كل قرية تدافع عن نفسها بأفراد منها، ليس بينهم رابطة تربطهم، لم يكونوا يملكون من السلاح إلا القليل والضئيل والعتيق، بل كان السلاح ممنوعًا عليهم، من يملك رصاصة يعاقب بالسجن خمسة عشر عامًا! بينما اليهود يهيأ لهم كل شيء.

وقد هيئ لهم قبل ذلك حين كان لهم فيلق صغير في الجيش البريطاني، وكان في هذا الفيلق «موسى ديان» «وأبا إبان» وغيرهما من الذين قادوا بعد ذلك الحملات العسكرية في أرض فلسطين ضد أهلها العرب الفلسطينيين.

الفلسطينيون يقاومون:

مرت الأيام، ولم يستسلم الفلسطينيون، قاوموا بما يملكون، وكانت لهم بطولات وبطولات، رغم ضعف العُدة وضعف الآلة. كانت ثورة عز الدين القسام، وكانت ثورة سنة 1936م بقيادة الحاج أمين الحسيني، وكان إضراب عام استمر ستة أشهر ودوخ بريطانيا المنتدبة على فلسطين.

أتعرفون من الذي فك هذا الحصار وفك هذا الإضراب؟ الدول العربية! حكام الدول العربية في ذلك الوقت هم الذين ناشدوا أهل فلسطين أن يفكوا هذا

الإضراب من أجل خاطر عيون الصديقة بريطانيا! هكذا فعل هؤلاء.

قاوم الفلسطينيون مقاومات شتى على قدر ما لديهم.

وكان العرب عامة في عمى عما يجري، حتى قيل لأحد رؤساء وزراء مصر في ذلك الأوان عن قضية فلسطين وما يجري فيها فقال لهم هذه العبارة المخجلة: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين!!

حسن البنا وقضية فلسطين:

كان رجال الإسلام وحدهم هم الذين يدركون عمق المأساة، وعمق المصيبة. كان «حسن البنا» رحمه الله هو الذي يجوب الآفاق هنا وهناك، يحرك الناس من أجل قضية فلسطين، وكان يعدّ أبناءه للجهاد في فلسطين، حتى جاء الأوان في سنة (1948م) حينما أعلنت دولة إسرائيل.

وذهب المتطوعون - قبلها كانت ميادين التدريب في كل مدينة في مصر، وكنت أحد هؤلاء الشباب الذين دُربوا في هذه الميادين، ولكن إمامنا الشيخ البنا رفض أن يذهب طلاب الثانوية إلى الجهاد، لم يستثن إلا أحد إخواننا حدثتكم عنه في خطبة ماضية: الأخ الصديق الحبيب الشهيد عبد الوهاب البتانوني الذي أخذنا له استثناء من الإمام البنا، فقد كان يحلم بالذهاب إلى فلسطين، كانت فلسطين حلمه في ليله وفكره في نهاره - وكانت هناك بطولات بارعة ينبغي أن تُروى للأجيال، وأن يسجلها التاريخ، وأن نحفّظها لأولادنا.

كم هناك من شباب كانوا يتهافتون على الموت في سبيل الله، يتسابقون على الشهادة. كتب الأستاذ كامل الشريف في كتابه «الإخوان وحرب

فلسطين» عن الشباب الذين كانوا معه إذا أراد منهم ثلاثة أو أربعة ليذهبوا في دورية معينة أو في مهمة معينة: يأتيه العشرات وكلهم يريد الفوز بالاختيار، فلا يملك إلا أن يجري بينهم القرعة! ليس هناك حل إلا هذا. فإذا أصيب أحدهم في سبيل الله ابتسم وقال: وعجلت إليك ربي لترضى.

أحدهم أصيب بدانة مدفع قطعت ساقه، فنظر إلى هذه الساق المقطوعة وهو يبتسم رضا وفرحًا، وهو ينشد قول ذلك الصحابي القديم:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا   على أي جنب كان في الله
وذلك في ذات الإله وإن يشأ   يبارك على أوصال شلو ممزع

كان لهؤلاء المتطوعين بطولات ومواقف، حتى قال أحد القادة الانجليز عقب معركة من المعارك قال في إعجاب: لو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين!

إنهم الذين باعوا أرواحهم لله، ووضعوا رؤوسهم على أكفهم، لا يبالون أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم. إن الله اشترى منهم وهم قد باعوا، اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، أرادوا الصفقة فسلموا الثمن.

أذكر في إحدى القرى التي كنت أطوف بها لنجمع التبرعات لفلسطين ونجمع الأسلحة الخفيفة لفلسطين، أذكر ذلك الأخ الذي جاء إلى رئيس الإخوان في «بسيون» وقال له: إني أريد أن أذهب إلى فلسطين، وسأبيع جاموستي وأسلح نفسي. فقال له: يا أخ حسن، خلّ جاموستك لأولادك وتعال أنت، أنت ليس عندك مال، هناك أناس أصحاب أموال يجهزونك و«**من جهز**

غازيًا في سبيل الله فقد غزا ... »[49]، فقال له: يا حاج أحمد، ألم تتلُ علينا قول الله تعالى: {**إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ...**} [التوبة: 111]؟ هل اشترى الأنفس وحدها، أم اشترى الأنفس والأموال؟

قال له: اشترى الأنفس والأموال، قال: فأنا أريد الجنة، فأريد أن أبذل نفسي ومالي لله.

هذه هي الروح التي كانت سائدة في الأمة[50].

دخول الجيوش السبعة فلسطين:

وليت الجيوش السبعة لم تدخل فلسطين، ليتها تركت هؤلاء المتطوعين وأمدتهم بالقليل من السلاح والقليل من العتاد، والله لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير مع اليهود وأن يدوخوهم، وقد حدث بالفعل.

كان المفروض حينما دخلت الجيوش العربية فلسطين، أن تعلن قيام دولة فلسطين حسب التقسيم الذي أُعلن قبل ذلك بسنة (سنة 1947م). حسب قرار الأمم المتحدة أن هناك دولة للفلسطينيين ودولة للإسرائيليين، وقد أعلنت دولة إسرائيل فلا بد أن تعلن دولة فلسطين، وكان على الجيوش التي دخلت أن تفعل ذلك، ولكنها للأسف لم تفعل - مع أنه كان هناك حكومة للفلسطينيين تسمى: «حكومة عموم فلسطين» برئاسة أحمد حلمي باشا، وكان هذا معروفًا

---

(49) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه. وتتمته: «**ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا**». «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (373/1) برقم (666).

(50) راجع ما كتبه الشيخ القرضاوي تحت عنوان «الجانب الجهادي» في كتابه «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا» ط. مكتبة وهبة بالقاهرة.

في ذلك الوقت - كل جيش دخل استولى على منطقة وأصبح يحكمها بنفسه، وطبعًا لا يسمح للفلسطينيين أن يقيموا دولة داخل الدولة، وهذه أول غلطة أو أول جريمة.

قيام الكيان الصهيوني:

حدث ما حدث أيها الإخوة، واستطاعت إسرائيل بالمجازر البشرية ... بالهول ... بالإرهاب ... بالرعب الذي بثته في القلوب ... حينما قتلت الأطفال والنساء والشيوخ بلا هوادة ولا رحمة، في «دير ياسين» وغير دير ياسين، حينما كانوا يتنافسون ويتضاحكون ويمسكون بالمرأة الحامل ويقولون: ما رأيكم فيما في بطنها؟ أهو ذكر أم أنثى؟ ويتراهنون على هذا، ثم يشقون بطنها ويخرجون الجنين منها، فإذا هو ذكر نجح هذا وكسب الرهان، أو أنثى ... وهكذا، ثم يقتلون الأم وجنينها معها. بهذه المجازر التي يقول فيها «بيجن»: لولا انتصار دير ياسين ما قامت إسرائيل. اعتبر هذه المجزرة وقتل البرآء والآمنين والنساء والأطفال انتصارًا.

دولة عنصرية:

لكن، هذه هي صهيون، وهذه هي إسرائيل، وهذه طبيعتها.

لقد ابتلينا بقوم لا خلاق لهم، ابتلينا بشر أنواع الاستعمار، كما قال من قال: «الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار» تجسدت في هذا الاستعمار الآفات الخلقية والنفسية للنفس اليهودية والصهيونية.

أولى هذه الآفات: العنصرية. فهؤلاء يؤمنون أنهم الشعب المختار، وأن الله لهم وحدهم!

نحن نقول: الله رب العالمين، وهم يقولون: الله رب إسرائيل! أحتى «الله» عنصري عند هؤلاء؟!

شعب عنصري.

يقولون: لليهودي لا تقرض بربا، ولغيره تقرض بالربا! فالحلال يختلف والحرام يختلف باختلاف الناس. ونحن عندنا الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع. أما هؤلاء فيقولون: {لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّنَ سَبِيلٌ} [آل عمران: 75]، يستبيحون دماء الأمم وأموالها وحرماتها.

دولة تقوم على العنف والإرهاب:

العنصرية هي آفة هؤلاء الأولى.

ثم: القسوة والعنف، كما وصفهم الله تعالى في كتابه: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً}. ويقول: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً} [المائدة: 13].

التوراة نفسها تصفهم بذلك، وتسميهم: الشعب الصُلب الرقبة.

هؤلاء ظهرت قسوتهم وظهر عنفهم فيما رأينا من مجازر قبل قيام إسرائيل، وبعد قيام إسرائيل: صبرا وشاتيلا وبحر البقر ... إلخ هذه الأشياء التي سمعنا بها ولا نزال نسمع.

هؤلاء هم الذين ذبحوا من ذبحوا في الخليل، ذبحوا المصلين الراكعين الساجدين الصائمين في شهر رمضان وفي صلاة الفجر.

هم الذين قتلوا من قتلوا في نفق القدس.

هم الذين قتلوا من قتلوا في «قانا» في لبنان.

هؤلاء يتميزون بالقسوة والعنف إن كانت هذه ميزة. هؤلاء أيضًا من آفاتهم: اللا أخلاقية، لا يعترفون بقيمة الأخلاق، ولا بإلزامية الأخلاق، لا يعترفون إلا بالمنفعة، والمنفعة لهم خاصة. فلا قيمة خلقية ثابتة لديهم، الغاية عندهم تبرر الوسيلة، كل الوسائل عندهم مشروعة، حتى إباحة الأعراض وإباحة النساء وإباحة كل شيء، لا يتورعون عن شيء في سبيل غايتهم، وهذا ما قاله لهم تلمودهم.

نحن عندنا كل شيء لا بد أن تحكمه الأخلاق والقيم، في السلم والحرب، في السياسة والاقتصاد، في كل مجال من مجالات الحياة: لا يجوز للمسلم أن يتعدى حدوده، ومع الناس جميعًا: «**أدّ الأمانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك**» ومن الوصايا المفهومة في الحرب: «لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا «أي بجثث الأعداء» ولا تقتلوا امرأة ولا وليدًا».

أما هؤلاء فلا أخلاق لهم ولا خلاق لهم.

من آفات الطبيعة اليهودية: الإرهاب، وهو من ثمرة هذه الأشياء، هم أكبر الإرهابيين في العالم.

هم يقولون عن حركة «حماس» وحركة «الجهاد» إنهم الإرهابيون! ويريدون من السلطة الفلسطينية أن تقضي على الإرهابيين، أي تقضي على حركة حماس وحركة الجهاد.

وحماس - وكذلك الجهاد - ليست إرهابية، حماس تدافع عن وطنها، تدافع عن أرضها، تدافع عن أهلها، تدافع عن عرضها، تدافع الغاصبين الظلمة

الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، ولا يرعون لأحد عهدًا ولا حرمة. حماس تقاتل بشرف.

هذا إن سموه إرهابًا، فهو الإرهاب المشروع **{تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ}** [الأنفال: 60] أما إرهاب اليهود الذين أقاموا على أساسه دولتهم فهو إرهاب غير مشروع، إرهاب ظالم، إرهاب باغ مستكبر في الأرض.

شر استعمار في الأرض:

إننا أصبنا بشر استعمار، لأنه استعمار استيطاني إحلالي. كان هناك استعمار مشابه في الجزائر من فرنسا، ولكن الفرنسيين لهم وطن يعودون إليه. ثم هم أرادوا أن يشاركوا الجزائريين في وطنهم، دون أن يخرجوهم منه. وهؤلاء ليس لهم وطن، جاءوا شُذاذًا في الآفاق من بلاد شتى وهم يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطنهم، وأن يحلوا محل أهلها بعد طردهم منه. فهذا شر أنواع الاستعمار.

وهو استعمار ظالم باغ في الأرض بغير الحق، متكبر جبار.

هذا هو الاستعمار الصهيوني الإسرائيلي الذي ابتليت به أمتنا، فهل نستسلم لهذا الاستعمار؟

لقد قاومنا وقاومنا، ثم رأينا فئة منا سئمت طول الطريق، سئمت طريق الجهاد والكفاح، وسعوا وراء السلام، وهو سلام هزيل ... سلام أعرج ... سلام لا يعيد الحق إلى أهله ... سلام علقت فيه القضايا المهمة: قضية القدس، وقضية اللاجئين المشردين، وقضية المستوطنات والمستوطنين، وقضية الحدود. هذه القضايا المهمة كلها عُلقت، فما الذي حُل من القضايا؟!

رضينا بالظلم والظلم لم يرض!

هذا السلام - الذي قبله من قبله - أصبحت إسرائيل تركله بقدميها، ولا تبالي به، ومع هذا نحن نجري وراءها ونركض، نقول: سنصبر على إسرائيل، سنصبر ونصبر! أي صبر هذا؟! إنه ليس الصبر المحمود الذي أمر به الله ورسوله، بل هو الصبر المذموم، إنه ليس صبر الأحرار بل هو صبر الحمير. صبر الحمير الذي عبر عنه الشاعر قديمًا حينما قال:

أقول كما يقول حمار سوء ... وقد ساموه حملًا لا يطيق
سأصبر والأمور لها اتساع ... كما أن الأمور لها مضيق
فإما أن أموت أو المكاري ... وإما ينتهي هذا الطريق!

هذا هو صبر الحمار، وليس هو صبر الأحرار.

في حلقة في قناة فضائية منذ ليال، سمعت أحد ضيوفها يقول: إن الحروب لا تحل مشكلة، لا يحمل المشاكل إلا الحوار، مهما طال، ولو امتد سنين، ولو حصلنا على واحد في المائة أو أقل!!

يا عجبًا، أي حوار هذا؟! كيف يتحاور الحمل والذئب؟! كيف يتحاور القلم والسيف؟! كيف يتحاور اللحم والسكين؟! كيف تتحاور العذراء ومغتصبها؟! كيف يتحاور صاحب الدار واللص المؤجج بالسلاح؟! أي حوار هذا؟!

إن الحوار هنا لا يجدي فتيلًا، ولا يغني شيئًا، لأنه حوار بين الحق والقوة ... الحق الأعزل والقوة المسلحة.

طريق الجهاد والمقاومة:

ليس هناك إلا طريق واحد: هو «الجهاد» ... هو «المقاومة»، ما استطعنا

إلى ذلك سبيلًا.

هذا هو منطق الدين، ومنطق الفطرة، ومنطق التاريخ، ومنطق الواقع: أن الإنسان لا يسلم في أرضه ولا عرضه ولا حرماته وإن أصابه ما أصابه، ويقاوم ما استطاع المقاومة.

الشاعر العربي قديمًا قال:

وكنتُ إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم؟
متى تحمل القلب الذكي وصارمًا وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم

هذا ما يقوله منطق الشاعر قديمًا.

وأما الشاعر حديثًا فقال:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعًا وإن تلقه بالشر ينحسم
والناس إذا ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ولهذا قال من قال: إن الشر بالشر يُحسم، والبادئ أظلم.

والله تعالى يقول: **{كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ}** [البقرة: 216].

ويقول سبحانه: **{فَلَا تَهِنُواْ** [أي لا تضعفوا] **وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ}** [محمد: 35].

وفي آية أخرى يقول: **{وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}** [النساء:

.[104

لم يكلفنا الله تعالى أن يكون عندنا من السلاح ما عند أعدائنا، لا نملك ما تملك إسرائيل من الترسانة النووية، ولكنا نملك إرادتنا، نملك أيدينا، نملك الأسلحة الخفيفة، نملك هذه الأشياء وهي قوة في أيدينا. إن الله تعالى يقول: **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ}** [الأنفال: 60]. لم يقل: «أعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم» قد لا نستطيع ذلك، إنما المهم أن نبذل ما في استطاعتنا.

ونحن نستطيع الكثير لو أننا وحدنا صفوفنا. إن الذي جعل إسرائيل تتجبر علينا، وتعبث بنا، وتتحكم فينا، وتريد تركيعنا، وأن نحني لها رؤوسنا، وأن نقبل أقدامها، وأن نلعق أحذيتها ـ وكأن بعض الناس لا يجدون في ذلك غضاضة، يريدون أن يلعقوا أقدام إسرائيل! ما هذا يا قوم؟ أين العزة العربية الإسلامية؟ والله تعالى يقول: **{وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ}** [المنافقون: 8]. نحن نملك أنفسنا، نملك أن نقول: لا، بملء أفواهنا، نملك أن نصرخ: نريد فلسطين ... لن نسلم فلسطين، لن نسلم القدس أبدًا ... سنموت دونها، ليمت مائة ألف ... مليون ... مليونان من العرب والمسلمين، لن يضر ذلك المسلمين شيئًا ـ إنه اليأس الفلسطيني(51)، والعجز العربي، والوهن الإسلامي، والتفرد الأمريكي، والغياب العالمي، كل هذه العوامل جرأت إسرائيل.

ولكن نقول: إننا معنا الحق، نحن أصحاب الحق، والحق منصور في

---

(51) المقصود: يأس السلطة والقيادة، وليس يأس الشعب، فالشعب الباسل لم يستسلم أبدًا.

النهاية، معنا الله وملائكته وصالح المؤمنين، ومعنا الأرض والسماء، كل شيء سيكون في صفنا، كما أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المعركة الفاصلة الآتية لا ريب فيها في يوم من الأيام - وهذه بشرى ينبغي أن نحفظها ونعيها ونؤمن بها - أننا سنقاتل اليهود وتقاتلنا اليهود، وكان المسلمون في الأزمنة الماضية يعجبون كيف يقاتلنا اليهود وهم في ذمتنا وحمايتنا، ما عرفوا أن الزمن سيتغير وأن الدنيا ستتطور: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله ...** »[52].

معنى هذا: أن كل شيء سيكون في نصرة المسلمين، حتى الأحجار والأشجار تتكلم. هل تتكلم بلسان المقال أو تتكلم بلسان الحال؟ ليس بعزيز على قدرة الله أن ينطق الحجر والشجر.

كل شيء سيكون معنا، لأننا أصحاب الحق، والدنيا دول، والدهر قُلّب، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، إذا كان اليوم اليهود أقوياء ومعهم أمريكا، فإن دوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: **{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140].

لا بد من المقاومة، ليس هناك من سبيل إلا المقاومة، وإن طالت، وإن كانت ثمرتها الآن قليلة. الصبر هنا هو المطلوب، نصبر ونصابر ونرابط كما

---

(52) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. ذكره في «صحيح الجامع الصغير» (7427). وتتمته: «**إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**» وقد رواه البخاري أيضًا. وكذلك رواه الشيخان عن ابن عمر ...

قال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ} [آل عمران: 200].

وليست المعركة معركة عسكرية فقط، إنها معركة عسكرية، ومعركة اقتصادية، ومعركة سياسية، ومعركة ثقافية، ومعركة اجتماعية، ومعركة دينية. لا بد أن ندخل المعركة في كل ميادينها وبكل أبعادها، لا بد أن نقاطع إسرائيل ومن وراء إسرائيل، لا بد أن نرفض التطبيع أيًّا كانت صورته وكان شكله.

لا تطبيع مع العدو:

لا تطبيع مع هذا الغاصب المعتدي.

كيف تكون علاقتنا طبيعية مع الذين يهتكون عرضنا، ويغتصبون أرضنا، ويلوثون حرماتنا؟ كيف تكون علاقتنا طبيعية مع هؤلاء الذين فعلوا بنا الأفاعيل؟ هذا عجب من العجب.

يجب أن نرفض التطبيع الاقتصادي، والتطبيع السياسي، والتطبيع الثقافي، والتطبيع الاجتماعي، ونرفض كل ما يجئ من إسرائيل، هذا هو واجبنا.

والمعركة مستمرة أيها الإخوة، لن نلقي السلاح، سنظل نجاهد، وسنظل نقاطع، وسنظل نقاوم، ونؤيد إخوتنا المقاومين الأبطال الذين لم يستسلموا ولم يرضوا يومًا أن يبيعوا أرضهم ووطنهم تحت أسماء لا معنى لها ولا مضمون لها.

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة الإسلامية، انتفاضة أشبال الحجارة أقوى مما كانت، وأن تنضم فيها السلطة الفلسطينية إلى الشعب الفلسطيني. لا يجوز أن

ينقسم الفلسطينيون إلى سلطة وشعب، وماذا كسبت السلطة؟ لقد تنازلت وتنازلت ولكن إسرائيل تركب رأسها، ولكن إسرائيل تتيه كبرًا وفخرًا، ولا تريد أن تعطي شيئًا، حتى الفُتات لا تجود به، وصدق الله العظيم إذ وصفهم بقوله: **{أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا}** [النساء: 53].

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة، وأن تعود فلسطين يدًا واحدة، وشعبًا واحدًا، يقاوم ما استطاع إلى المقاومة، ولن يسلم في شبر من أرضه، وإنا لهذا اليوم لمنتظرون **{وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ 4 بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ 5 وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ}** [الروم: 4 - 6].

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين. اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى. اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين.

* * *

13- رسالة إلى المؤتمر الإسلامي التاسع(53)

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

ينعقد في «الدوحة» بعد غد مؤتمر القمة الإسلامية التاسعة. هذا المؤتمر الذي يمثل مليارًا وثلث المليار من المسلمين، يمثل ألفًا وثلاثمائة مليون في العالم ممن يشهد: «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

مؤتمر يمثل هذه الأمة الكبرى لا بد أن تكون له أهميته، وبخاصة أنه ينعقد في جو يتطلب من هذه القمة أن تتخذ مواقف حاسمة ... مواقف تاريخية، تثبت للأمة وجودها، وتثبت ذاتيتها، ويتجاوب فيها القادة مع الشعوب والجماهير، فلا تعيش الجماهير في واد وقادتهم وحكامهم في واد آخر.

الأمة الإسلامية حقيقة ولا وهم:

هذه القمة تمثل أمة الإسلام، وبعض الناس يحاول أن يشكك في وجود هذه الأمة، قال لي بعضهم: أين هذه الأمة؟ إنها وهم وليست حقيقة! قلت له: لا، هذه الأمة حقيقة وليست وهما، هي حقيقة بمنطق الدين، وهي حقيقة بمنطق التاريخ، وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة بمنطق العصر الذي نعيش فيه، وهي حقيقة بمنطق أعدائنا أنفسهم.

---

(53) ألقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في 13شعبان1421هـ الموافق 10نوفمبر 2000م.

أمة بمنطق الدين:

هي حقيقة بمنطق «الدين»، فإن الله سمى المسلمين «أمة» وقال: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ...}** [البقرة: 143]، **{كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ...}** [آل عمران: 110]، **{إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ}** [الأنبياء: 92]، **{وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ}** [المؤمنون: 52]، كأنما يشير إلى أنه لا تتم العبادة ولا تكتمل التقوى إلا بوحدة الأمة.

أمة بمنطق الدين، أمة ربها واحد، ورسولها واحد، وكتابها واحد، وعقيدتها واحدة، وشريعتها واحدة، وقبلتها واحدة، فكيف لا تكون أمة؟

أمة بمنطق الدين، لأن الدين يفرض عليها أن تكون أمة متماسكة **{وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ}** [آل عمران: 103].

منطق الدين يقول: إن الأمة الإسلامية حقيقة.

بمنطق التاريخ:

وهي كذلك حقيقة بمنطق «التاريخ»، فقد عاش المسلمون أمة واحدة طوال ثلاثة عشر قرنًا، تجمعهم - بعد وحدة القبلة ووحدة العقيدة - وحدة الدار ... دار الإسلام، الفقهاء يسمون أوطان المسلمين، دار الإسلام، هي دار وليس ديار الإسلام، دار واحدة تجمع المسلم مع المسلم حيثما كان، مهما تفرقت به الأوطان أو الألسنة أو الألوان.

وحدتهم دار الإسلام، ووحدتهم مرجعية الشريعة التي لم يعرفوا مرجعًا غيرها يحتكمون إليه، ويقضى به قضاتهم، ويفتي به مفتوهم، طوال ثلاثة عشر قرنًا، أي قبل أن يدخل الاستعمار بلاد المسلمين، ويلغي الشريعة

الإسلامية، ويحل محلها القوانين الوضعية.

التاريخ يقول: إن هذه الأمة كانت أمة واحدة وحدتها العقيدة والشريعة والقبلة ووحدتها دار الإسلام، ووحدتها قيادة واحدة، فقد كان هناك «خليفة» يحكم الأمة منذ الخلفاء الراشدين فالأمويين فالعباسيين فالعثمانيين إلى أن ألغيت الخلافة وهدمت هذه القلعة التاريخية ... هذه المظلة التي كانت تظل الأمة الإسلامية حتى ألغيت سنة (1924م) حينما قامت الدولة العلمانية الأتاتوركية الحديثة.

منطق التاريخ يقول: هذه الأمة حقيقة.

بمنطق الجغرافيا:

وهي حقيقة كذلك بمنطق «الجغرافيا»، فهي أمة تعيش على رقعة من الأرض متصلة بعضها ببعض، لأن الإسلام كان ينتشر انتشارًا طبيعيًا، ينتقل من منطقة إلى منطقة مجاورة، وهكذا حتى أصبح هذا العالم الإسلامي الذي نراه، هذه الكتلة الخضراء على خريطة العالم.

منطق العصر:

هي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة كذلك بمنطق «العصر» الذي نعيش فيه.

العصر الذي نعيش فيه يقول: إنه لا مكان للكيانات الصغيرة، لا بد أن تتجمع الكيانات الصغيرة لتكون شيئًا كبيرًا.

هذا ما رأيناه في العالم من حولنا، فهم يريدون للعالم كله أن يتكتل بعضه مع بعض، وأن يتمزق المسلمون وحدهم، لا تجمعهم غاية، ولا توحدهم

جبهة.

رأينا العالم يتقارب، وأقرب مثل لذلك: هذا التقارب الأوربي الذي أصبح يكُون كيانًا ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا واحدًا هو «الاتحاد الأوربي»، على رغم ما كان بين الأوربيين بعضهم وبعض من حروب سُفكت فيها الدماء، وأُزهقت فيها الأرواح بالآلاف والملايين، آخر هذه الحروب: الحربان العالميتان الأولى والثانية، وكم حصدت فيهما من عشرات الملايين بأيدي الأوربيين بعضهم مع بعض.

هؤلاء نسوا هذه الحروب، ورأوا أن المصلحة تقتضي أن يتقاربوا ولا يتباعدوا، وأن يتحدوا ولا يختلفوا، وأن يجتمعوا ولا يتفرقوا. هذا هو منطق العصر، منطق التكتل، نرى بعض الدول: «دولتان» أو «ثلاث» تشترك في صنع طيارة متطورة!

ذلك لأن هذا العالم لا يستطيع الكيان الصغير أن يعيش فيه، فلماذا يراد بنا نحن المسلمين وحدنا أن نظل كيانات هزيلة؟! بعض الدول لا تكاد تراها على خريطة العالم إلا بمجهر!

أهذا هو الذي يراد لهذه الأمة ا لتي اعتبر دينها توحيد الكلمة بجوار كلمة التوحيد؟! قام هذا الدين على وحدة المعبود ووحدة العابدين.

منطق العصر يقول: إن هذه الأمة هي حقيقة.

بمنطق أعداء الأمة:

منطق «أعداء الأمة» أنفسهم يقول: إن الأمة الإسلامية حقيقة وليست وهمًا. هم لا ينظرون إلينا عربًا وعجمًا، لا ينظرون إلينا تقدميين ورجعيين

أو يمينيين ويساريين، ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم «أمة».

لقد رأينا إسرائيل تقلق وتنزعج، ويصيبها الفزع والرعب، حينما ملكت باكستان «القنبلة النووية»، أفزعها أن تملك دولة إسلامية قنبلة! وحينما ملكت إيران الصاروخ «الشهاب الثاني» أفزعها ذلك.

يفزعها أن تقوى أمة إسلامية، وهي تحاول أن تصيد في الماء العكر، وأن تمزق الروابط بين المسلمين بعضهم وبعض.

هم ينظرون إلى المسلمين ككتلة واحدة ... كأمة واحدة هكذا ينظر الصهاينة، وهكذا ينظر الأمريكان، وهكذا ينظر الآخرون.

ولذلك أنا أقول - أيها الإخوة - : المسلمون أمة، هذه هي حقيقة وليست وهمًا[54].

ماذا تملك الأمة من أسباب القوة؟

امتلاك الأمة مقومات السيادة:

وهي أمة تملك من مقومات السيادة والريادة ما يجعلها في الطليعة وليس في الذيل، لو أحسنت الاستفادة مما آتاها الله من قدرات.

القوة البشرية:

هذه الأمة تملك القوة العددية «مليارًا وثلثًا». والقوة العددية نعمة أيضًا، الله

---

(54) للشيخ القرضاوي رسالة في غاية الأهمية حول حقيقة وجود الأمة، وأنها حقيقة لا وهم، بعنوان: «الأمة الإسلامية ... حقيقة لا وهم» طبع مكتبة وهبة بالقاهرة، وهي في الأصل نقاش دار بين الشيخ القرضاوي والكاتب المعروف السيد يس، على صفحات جريدة «الأهرام»، المصرية.

تعالى يقول: { ... وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ ... } [الأعراف: 86] امتن بالكثرة.

الشاعر العربي يقول:

.... وإنما العـزة للكـاثر

ويقول الآخر:

ملأنا البر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملأه سفينا

نحن أمة كبيرة في العدد.

للأسف بعضنا يعتبر العدد كأنه نقمة، أو كأنه كارثة. لا، لو انتفعنا بهذه الأعداد وأحسنا توظيفها، كما يفعل الصينيون، لأصبح لنا شأن.

القوة الاقتصادية:

نملك القوة البشرية العددية، ونملك القوة المادية والاقتصادية، فنحن عندنا من الثروات المذخورة في باطن الأرض، والثروات المنشورة على ظاهر الأرض، عندنا من الثروات المعدنية والزراعية والمائية، ما لا تملكه أمة أخرى، لو تكامل بعضنا مع بعض.

للأسف منذ سنوات قرأت أن نسبة التبادل التجاري بين المسلمين بعضهم وبعض لم تبلغ ثمانية في المائة (8 %)! أهذا معقول؟! لماذا لا نقوي هذه الروابط الاقتصادية والتجارية بين أبناء الأمة المسلمة؟

الأمة تملك ثروات هائلة، وتملك موقعًا في العالم، في سرة العالم.

وتملك من البحار والبحيرات والأنهار والمضايق ما لا يملكه غيرها: مضيق عدن، ومضيق البوسفور، ومضيق الدردنيل، ومضيق جبل طارق،

ومضيق باب المندب.

نملك أشياء كثيرة كلها مصدر من مصادر القوة.

القوة الروحية:

ونملك فوق ذلك: القوة الروحية. نملك أعظم رسالة في العالم «رسالة الإسلام». نحن وحدنا الذين عندنا الوثيقة السماوية الإلهية التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، والتي تتضمن كلمات الله الخيرة للبشرية في الرسالة الخاتمة «رسالة محمد صلى الله عليه وسلم»، عندنا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. عندنا رسالة التوازن والتكامل التي تصل الأرض بالسماء، وتصل الدنيا بالآخرة، وتصل الخلق بالخالق، وتجمع بين الروح والمادة، وتمزج بين العقل والقلب.

رسالة التوازن هذه تعطيك الإيمان ولا تسلبك العلم، وتعطيك الروح ولا تأخذ منك المادة، وتعطيك الآخرة ولا تنزعك من الدنيا.

هذه هي رسالتنا التي نقدمها إلى العالم طوق نجاة وسفينة إنقاذ.

نحن وحدنا الذين نملك هذه القوة الروحية، وهذه الرسالة الربانية العالمية.

القوة الحضارية:

نحن نملك القوة الحضارية، نحن أمة عميقة الجذور ضاربة في أغوار التاريخ، ليس عمرنا مائة سنة أو مائتي سنة كبعض الدول الكبرى، نحن عمرنا طويل.

الإسلام صار له أربعة عشر قرنًا، ولكن الإسلام ضم أممًا عريقة ذات

حضارات ضاربة في التاريخ من قديم: الحضارة الفرعونية ... الحضارة الفينيقية ... الحضارة الآشورية والبابلية والكلدانية ... الحضارة الفارسية ... الحضارة الهندية، هذه الحضارات في أرضنا.

في أرض الإسلام نبتت الحضرات، ونبتت الرسالات السماوية كلها: اليهودية والنصرانية والإسلام، كلها نبعت من هذه الأرض.

نحن أمة ذات حضارة، ذات عمق حضاري، ذات عمق تاريخي، لسنا أمة على الهامش، ولا أمة قريبة القاع أو قريبة الجذور.

هذه كلها من مصادر القوة، فلا بد لهذه الأمة أن يكون لها مكان تحت الشمس، وهذا ما نطالب به قادة هذه الأمة: أن يعوا دور هذه الأمة، أن يتحرروا من الخوف، ويتحرروا من الخنوع، ويتحرروا من الشعور بالدونية أمام الحضارة الغربية.

لا والله لسنا أذيالًا وقد خلقنا الله رؤوسًا، لسنا عبيدًا وقد ولدتنا أمهاتنا أحرارًا.

نحن كنا الأمة الأولى والعالم الأول طوال عشرة قرون، كانت حضارتنا هي الحضارة السائدة في العالم، كنا معلمي الدنيا، في جامعاتنا جاء التلاميذ من أنحاء العالم، وكان علماؤنا هم أساتذة البشر، أشهر أسماء العلماء طوال تلك العصور كانت أسماء علمائنا. أشهر المراجع العلمية في العالم كانت كتب علمائنا. تلك العصور التي كانت تعتبر في أوربا عصور الظلام هي عصور النور عندنا.

نحن صنعنا الحضارة، وأخذنا من اليونان وأخذنا من الفرس وأحذنا من

الهنود وأخذنا من غيرهم، ولكنا أضفنا وهذبنا ونقحنا، وأنشأنا علومًا ـ ابتكرنا علومًا ـ مثل علم الجبر، ولم نشعر أبدًا أن هذه الحضارة كانت مضادة للدين أو العلم مناقض للإيمان، بل سار العلم والإيمان جنبًا إلى جنب، حتى إن كثيرًا من علماء الدين كانوا علماء في الكونيات والطبيعيات، مثل «ابن رشد» الذي كان قاضيًا وكان فقيهًا مجتهدًا، وهو صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» في الفقه المقارن، وهو الفيلسوف الكبير شارح أرسطو، وهو كذلك صاحب كتاب «الكليات» في الطب ومن أشهر أطباء العالم، وكان كتابه مرجعًا لأوربا لعدة قرون وترجم إلى اللاتينية. وكذلك «الفخر الرازي» المفسر والأصولي والمتكلم والفقيه، هذا الرجل قالوا: كانت شهرته في الطب لا تقل عن شهرته في علوم الدين! و«ابن النفيس» الذي ترجم له «السبكي» في «طبقات الشافعية» كأحد فقهاء الشافعية، هو الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى.

كنا نحن الأمة الأولى والعالم الأول، الآن نحن «العالم الثالث»! واعتقد أن فينا دولًا لو كان هناك عالم رابع لنسبت إليه؛ لما تعاني من تخلف وما تعاني من جهل وفقر ومرض!

الأمية لا زالت منتشرة في بلادنا، وهي لطخة سوداء في جبين أمة أول آية نزلت على رسولها تقول: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: 1]. لا بد أن نمحو الأمية من هذه الأمة، لا بد أن يتضامن أبناء هذه الأمة لمحو هذا العار.

نحن إذن نملك مقومات القوة، فلماذا نرضى لأنفسنا الدون، ونقنع بالعيش الهون؟

إننا نطالب القمة الإسلامية التاسعة المنعقدة في هذا البلد الكريم أن تكون على مستوى الأحداث، وأن تكون على مستوى الأمة التي يمثلون شعوبها، وأن تكون على مستوى الطموحات والآمال المعلقة عليها.

مطالبنا من القمة الإسلامية:

أول ما يطلب من هذه القمة: هو قضية القضايا، قضية المسلمين الأولى، قضية أولى القبلتين وثالث المسجدين المعظمين، قضية القدس الشريف، قضية الأقصى، قضية الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، قضية فلسطين.

لا بد لهذه القمة أن تكون على مستوى ما يطلب منها أبناء هذه الأمة.

ليس من المعقول أن تظل إسرائيل تصول وتجول، وتعربد، وتسفك الدماء، وتزهق الأرواح، وتدمر المشنآت، وتحرق المزارع، وتقتل النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين، ولا تجد من يؤدبها ويعاقبها، أو يقول لها: قفي عند حدك.

لقد وقف أبناء فلسطين وقفة الرجال، وقفة الأبطال، صغارهم وكبارهم، رجالهم ونساؤهم، فعلى أمتنا أن تؤيد هؤلاء، وألا تضيع دماءهم هدرًا.

على أمتنا أن تشعر بأن عليها واجبًا نحو فلسطين، كما يشعر كل يهودي في العالم بأن عليه واجبًا نحو إسرائيل. اليهود أحرص الناس على حياة، وأبخل الناس بدرهم ودينار، جادوا بأنفسهم، وجادوا بأموالهم، من أجل إقامة إسرائيل. فهل يتباطأ المسلمون؟ هل تتباطأ أمة القرآن وأمة محمد عليه الصلاة والسلام على النهوض بواجبها نحو إخوانهم في الأقصى وفي القدس الشريف؟! لا والله.

إن الأمة الإسلامية في كل مكان مستعدة أن تبذل الروح وتبذل الدم، وتضع الرؤوس على الأكف، في سبيل هذه القضية المقدسة. ولكن الطريق مسدود، والأبواب مغلقة.

طالما ناديت من فوق هذا المنبر: افتحوا الحدود، افتحوا الأبواب لطلاب الشهادة، ولكن الاعتبارات السياسية التي تحكم القادة والزعماء، والمخاوف التي تمتلئ بها قلوبهم من الغرب وبعبع الغرب، ومن أمريكا وحلفاء أمريكا، هي التي تملي عليهم هذه المواقف.

ولكن الإنسان الحر لا بد أن ينتفض يومًا ما، كما انتفض إخوتنا وأبناؤنا في الأقصى. لا بد لهذه القمة أن ترعى هذه الانتفاضة، وأن تؤيدها بكل ما تستطيع، أن تؤيد المقاومة وأن تشد أزر المقاومة، ولا داعي لهذه الكلمة التي أوقفتنا موقف الخنوع أمام إسرائيل: أن السلام خيار استراتيجي! يعني ليس لنا حل غير هذا. هذا هو مبدأ الضعف، والله السلام إن كان هناك طريق إلى السلام، فإذا لم يكن سلام عادل وآمن وشامل ويعطي كل ذي حق حقه فما معنى السلام؟! هذا هو السلام الذي نهى الله عنه حينما قال: **{فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ}** [محمد 35].

لا بد أن تستمر المقاومة، وإذا لم يكن القادة والزعماء على قدرة على فن الحرب واستبعدوا الحرب، فعلى الأقل افتحوا الطريق للمقاومة الإسلامية.

الأمة الإسلامية تتجاوب مع هذه الانتفاضة، الأمة الإسلامية تجمعها دائمًا المآسي التي تنزل بالمسلمين، رأينا هذا في قضية أفغانستان فقد تجاوب المسلمون في أنحاء العالم مع الجهاد الأفغاني، رأينا ذلك في قضية البوسنة

والهرسك، ورأيناه في قضية كوسفو، ورأيناه في قضية الشيشان.

الجماهير المسلمة في المشرق والمغرب، في الشمال والجنوب، هذه الجماهير كلها تتجاوب مع المآسي الإسلامية وتحس بها وتعيشها.

هذا ما ينبغي أن يعيه قادتنا.

طالما قلت: لو أن الفلسطينيين فرطوا في أرضهم وفي مقدساتهم وتقاعسوا عن القيام بواجبهم، لوجب علينا نحن المسلمين أن نقاومهم ونحاربهم، لأن القدس والأقصى ليس ملك الفلسطينيين وحدهم، ولا ملك العرب وحدهم، بل هو ملك المسلمين جميعًا. وليس ملك هذا الجيل وحده، لو فرض أن الجيل تقاعس وتقاعد وتخاذل، فلا ينبغي أن يفرض تقاعسه وتخاذله على أجيال الأمة القادمة، من حق هذه الأجيال أن يكون لها صوت وأن يكون لها موقف.

إننا نطالب القمة الإسلامية التاسعة بأن يكون دورها حاسمًا، وموقفها واضحًا، من هذه القضية المقدسة العظيمة، قضية المسلمين الأولى، القضية المحورية، القضية المركزية التي طال عليها الأمد ولم تحل.

ولا يمكن أن تحل إلا بالجهاد، هذا ما علمناه التاريخ، وما علمناه الواقع.

والجهاد ألوان وأنواع، منها الجهاد بالمقاطعة، مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية وكل من يؤيد إسرائيل. يجب أن يشعر هؤلاء أن الأمة الإسلامية تعرف من يعاديها ومن يصادقها، من هو لها ومن هو عليها. لا ينبغي أن أربح الذين يقتلون إخواننا وأخواتنا وأبناءنا وبناتنا في فلسطين وأشتري منهم السلعة، ثمن هذه السلعة قد يتحول إلى رصاصة تقتل إخواننا وأخواتنا هناك.

لا بد للقمة الإسلامية أن ترعى هذا.

ولا بد للقمة الإسلامية أن تعالج القضايا المعلقة، أن يكون لها رأيها واضحًا. لا يجوز أن ظل هذا النزاع المسلح بين أبناء أفغانستان، رفاق الجهاد قديمًا ورفقاء السلاح أصبح يقاتل بعضهم بعضا بعد أن كانوا جبهة واحدة يقاتلون السوفييت الذين كانوا يضربونهم من فوق ومن تحت بالطائرات والدبابات، ونصرهم الله عليهم، ولكنهم انتصروا على السوفييت ولكن لم ينتصروا على أنفسهم! وهذه مشكلتنا: أننا كثيرًا ما نتقن فن الموت في سبيل الله ولا نتقن فن الحياة في سبيل الله.

أمتنا مطلوب منها في صورة قادتها وزعمائها أن تفرض حلًا لهذا الإشكال الدموي، كل أفغاني يقتل وكل مبنى يدمر وكل منشأة تخرب بأيدي الأفغانيين بعضهم وبعض، هذه كبيرة من الكبائر، وهذه كارثة من الكوارث، ينبغي للأمة أن تجد لها حلًا.

لماذا لا تكون هناك محكمة عدل إسلامية تعرض عليها القضايا الإسلامية المختلف فيها ... قضايا الحدود وقضايا النزاعات؟ لماذا لا يكون للأمة الإسلامية سوق إسلامية مشتركة تحقق التكامل ولو مرحليًا مرحلة فمرحلة بين أبناء الإسلام؟

إن القضايا المعلقة لا بد للأمة أن تقف فيها وتقول فيها رأيها.

قضية كشمير التي طال عليها الزمن، وهي قضية عادلة كل العدل. لو أن ما اتبع في التقسيم طبق على كشمير، لكانت كشمير مع باكستان، فقد كان قرار التقسيم يقول: البلاد التي فيها أغلبية هندوسية تكون تبع الهند، والبلاد التي فيها أغلبية مسلمة تكون تبع باكستان. وكانت كشمير ذات أغلبية كبيرة

وواضحة من المسلمين، ولكنهم للأسف لم يطبقوا هذا. وظل هذا النزاع قائمًا حتى اليوم، ولا بد لنا أن يكون لنا حل، لا معنى لمجاملة الهند على حساب باكستان كما يفعل كثيرون، الحق أحق أن يتبع. لا بد أن نقول كلمة الحق، ونصدع بكلمة العدل، ونكون مع إخواننا الذين ظلموا ظلمًا بينًا، والذين قتل منهم من قتل وشرد منهم من شرد وسجن منهم من سجن وعذب منهم من عذب.

هناك قضايا عديدة من قضايا الأمة الإسلامية، لا بد لنا - أيها الإخوة - أن ننتظر من قادة الأمة ومن زعمائها وحكامها أن ينظروا إلى هذه القضايا نظرة واقعية ونظرة فيها الشجاعة وفيها الأمل.

النظرة التشاؤمية لحال الأمة:

بعض الناس ينظرون إلى الأمور نظرة تشاؤمية، ويقولون: نحن الآن في دور الهزيمة وفي دور التراجع! لا والله، بل نحن في دور الصحوة ... في دور الانتفاضة ... في دور القوة. لماذا ننظر إلى أنفسنا هذه النظرة المتشائمة التي ترى العالم كله ظلامًا، ولا ترى بعد الليل فجرًا، ولا مع العسر يسرا؟

نحن نقول: إن عندنا من المبشرات الكثير والكثير. عندنا مبشرات من القرآن الكريم، وعندنا مبشرات من السنة النبوية، وعندنا مبشرات من تاريخنا الحافل، وعندنا مبشرات من واقعنا الماثل، وعندنا مبشرات من سنن الله عز وجل. ومن هذه السنن: أن الأيام دول، وأن الدهر قلب، وأن دوام الحال من المحال. قانون التداول قانون أقره القرآن حينما قال تعالى: { **... وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ...** } [آل عمران: 140]. فإذا كانت المدة الماضية

كانت الدولة فيها للغرب أو كانت الدولة فيها للصهيونية، فالدور لنا في المرحلة القادمة حسب دوران الأيام، حسب سنة التداول، الدور لنا وليس الدور علينا.

وكم رأينا من قوى ضعف، وكم رأينا من دول انهارت، كما رأينا الاتحاد السوفيتي على ما كان يملك من ترسانات نووية ومن قوة عسكرية هائلة. سقط هذا العملاق وخر صريعًا، وما كان الناس ينتظرون له أن يسقط بهذه السرعة.

نحن إذن ننظر إلى المستقبل بعين الأمل، ونعتقد أننا نملك إن شاء الله من المقومات ما يجعلنا أمة المستقبل لو وظفنا ما عندنا، لو جندنا القوى المذخورة في أمتنا: قوى الإيمان ... قوى الروحانية ... قوى الأخلاق، هذه القوى المعنوية هي التي تصنع التاريخ، وهي التي تشير إلى ملامح المستقبل، «إذا غيرنا ما بأنفسنا غير الله ما بنا» هذه هي القاعدة الاجتماعية التي قررها القرآن. الماركسيون يقولون: غير الاقتصاد أو غير علاقات الإنتاج يتغير التاريخ، ولكن القرآن يقول: غير ما بنفسك يتغير التاريخ، وصدق الله العظيم إذ يقول: { **... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ...** } [الرعد: 11].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

وجوب الوحدة الإسلامية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كم أتمنى أن يحضر جميع قادة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها هذا المؤتمر الإسلامي، وأن يتصارح بعضهم مع بعض، وأن يتصالح بعضهم مع بعض.

لا معنى لن يخاصم بعضهم بعضا، لا معنى لأن تظل هناك أشياء متراكمة في النفوس لا نستطيع أن نطفئ جمرتها.

لا بد لهذه الأمة أن تقف وقفة واحدة، في المعركة لا يجوز أن يختلف الناس، الله تعالى يقول: {**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ**} [الصف: 4]. عند القتال ... عند المعركة يجب أن يلتحم الصف، وأن يكون الكتف بجوار الكتف، وأن يكون الجميع كالبنيان يشد بعضه بعضا.

نحن في معركة كبيرة يجب أن نرص فيها الصفوف رصًا، وأن نجند فيها القوى تجنيدًا، وألا نسمح لأحد بأن يخالف الصف. النبي عليه الصلاة والسلام علمنا في صلاة الجماعة، أن نقف صفًا واحدًا فإن الله لا ينظر إلى الصف الأعوج، كصفوف الملائكة مستقيمة متراصة، وهذا رمز لحياتنا الإسلامية، نتعلم من الصلاة كيف ننظم حياتنا.

يجب أن تتراص الأمة في هذا الوقت، وأن تحاول بإخلاص وبجدية أن تحل المشاكل المعلقة. إلى متى تظل المشاكل معلقة بين العراق والكويت، أو بين الفلسطينيين وبعض الناس، أو بين هذه الدولة وتلك من أجل الحدود؟ إلى متى نتقاتل ونتخاصم من أجل الحدود ونحن أمة واحدة؟

لا بد للزعماء - وأتمنى أن يحضروا جميعًا - أن يحاولوا الخروج من هذه المآزق. وأتمنى لو أن هذا المؤتمر عقد في كل عام مرة وليس في كل ثلاث

سنوات، فالأمور التي تحتاج إلى التشاور والتلاقي كثيرة، ولقاء المؤمنين بعضهم مع بعض لا ... إلا خيرًا، كما قال سيدنا سلمان: مثل الأخوين المؤمنين كمثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا.

نسأل الله تعالى أن يسدد خطا القائمين على هذا المؤتمر، وأن ينير لهم الطريق، وأن يهديهم سواء السبيل.

اللهم افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزا، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، اللهم انصر إخوتنا في فلسطين، وفي لبنان، وفي كشمير، وفي الفلبين، وفي كل أرض من أراضي الإسلام. اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلأهم في كنفك الذي لا يضام، اللهم أيدهم بروح من لدنك.

اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداءنا أعداء الإسلام، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهم اخذل اليهود الغاصبين المعتدين، اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم.

اللهم احبط مكرهم، وادرأ عن الأمة شرهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم يا من أهلكت ثمود بالطاغية، وأهلكت عادًا بريح صرصر عاتية، أهلك هؤلاء الظلمة المعتدين الباغين. اللهم خذهم ومن ناصرهم أو وادهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

{ ... رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

عباد الله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

{ ... وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت: 45].

سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله.

* * *

14- مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

مد وجزر في تاريخ الإسلام:

يتعرض الإسلام في عصرنا لهجمات وغزوات، وتنزل به محن لم يعرف مثلها من قبل، محن من نوع جديد، ولون جديد.

لقد امتحن الإسلام منذ فجره بمحن شتى منذ عهد تكوينه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. امتحن الإسلام في العهد المكي بما أصاب المسلمين من بلاد وفتن، نزل فيها مثل قوله تعالى: {**الٓمٓ 1 أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ 2 وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ**} [العنكبوت: 1 - 3]. امتحن الإسلام في العهد المكي بالإيذاء والعذاب يصب على المسلمين، حتى إن منهم من مات تحت نير العذاب، مر النبي صلى الله عليه وسلم على آل ياسر وهم يعذبون فلم يملك إلا أن يقول لهم: «**صبرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة**»(55).

وامتحن الإسلام في العهد المدني، امتحن بغزوات المشركين، حتى أرادوا يومًا أن يتسأصلوا شأفة المسلمين ويقتلعوهم من جذورهم، حينما جاءتهم

---

(55) رواه ابن إسحاق في «السيرة»، والطبراني في «الأوسط»، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد، وأبو نعيم في «الحلية»، وقال الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث «فقه السيرة» لمحمد الغزالي: حديث حسن صحيح (ص 103).

الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم، وغدر اليهود في داخل المدينة وحولها، وظهر النفاق من المنافقين. وهكذا بلغت القلوب الحناجر، وزاغت الأبصار وظن الناس بالله الظنون، وزلزل المؤمنون زلزالًا شديدًا. ولكن الله رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال، وأرسل ريحًا وجنودًا لم يرها الناس، وكان الله قويًا عزيزًا.

وامتحن الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. بردة المرتدين، وامتناع المانعين للزكاة. تألبت القبائل وغلبتها العصبية على الحق، اتبعوا متنبئيهم - من تنبأوا بالكذب وزعموا أنهم رسل لله يوحى إليهم، اتبعهم قبائلهم وأقوامهم - وهم يعلمون أنهم كاذبون، وقالوا فيما قالوا: كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر!

ارتدت قبائل العرب إلا القليل منهم، وقال من قال لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

ولكن أبا بكر - كما ذكرت لكم في خطبة سابقة(56) - هذا الرجل البكاء الخاشع الذي تنهمر دموعه من خشية الله، كان كالجبل الأشم، لم يقبل أن يهادن أو يداهن أو يستسلم في دين الله، وجيش الجيوش، وأبى إلا أن يقاتل كل من ارتد عن الإسلام أو منع حقًا من حقوق الله، وقال قولته التاريخية: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله قاتلتهم عليه.

وانتصر الإسلام على المتنبئين وعلى المرتدين، ورمى بهؤلاء في وجه

---

(56) انظر: الجزء الثالث من هذه الخطب (ص 14).

الأكاسرة والقياصرة، فكان المرتدون يكفرون عما مضى من سيائتهم بالحماس والبذل لله ولرسوله، وتقدم الصفوف في سبيل الله في حرب الأكاسرة والقياصرة والمتجبرين في الأرض.

الحروب الصليبية:

وكانت بعد ذلك حروب وحروب.

كانت الحروب الصليبية، تسع حملات صليبية، قادها القساوسة وقادها الطامعون من أوربا. جاؤوا بقضهم وقضيضهم، وثالوثهم وصليبهم، يحملون الصليب شعارًا، بدعوى إنقاذ قبر المسيح والاستيلاء على أرض الصليب! انتهزوا غفلة المسلمين وتفرقهم وجاؤوا في هذه الحملات المتوالية، واستطاعوا في وقت من الأوقات - في غفلة من أصل الزمن، وتتابع من المحن - أن يقيموا ممالك لهم في أرض الإسلام. في أرض الشام، ممالك استقرت وأصبح لها ملوكها وأمراؤها، وأصبح من أمراء المسلمين للأسف - ممن ينتسبون إلى الإسلام - من يخطب ودّها، ويهادنها، ويتحالف معها ضد إخوانه الآخرين من المسلمين.

ودخلوا بيت المقدس وقتلوا عشرات الآلاف في ضحوة واحدة، حتى غاص الناس في الدم إلى الركب، وكان ما كان وبقى المسجد الأقصى وبقيت القدس الشريفة في أيدي هؤلاء تسعين عامًا، حتى حررها القائد المسلم البطل «صلاح الدين الأيوبي».

وحدث بعد ذلك شيء آخر، حدثت الحروب التترية: حروب المغول الذين جاؤوا من شرق آسيا كالريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته

كالرميم، لا يكاد يقف شيء أمامهم، كل من حاربهم انهزم أمامهم، فاستولوا على البلاد، وقهروا العباد، ودانت لهم المدن، حتى كان المثل السائر: إذا قيل لك أن التتر قد انهزموا فلا تصدق! نفس أسطورة «القوة التي لا تقهر» التي نسمعها في عصرنا اليوم.

ثم ذهب بهم الطمع إلى أن أرادوا أن يدخلوا عاصمة الإسلام ... عاصمة الحضارة الإسلامية، والخلافة الإسلامية «بغداد». ودخلوها بمعونة الخائنين والعملاء والكائدين، الذين باعوا دينهم بدنياهم، أو بدنيا غيرهم.

ودخل التتر إلى بغداد سنة (656) من الهجرة، فقتلوا وذبحوا حتى سالت الدماء أنهارًا في الشوارع، وحتى كانت الميازيب التي تنزل مياه المطر من فوق السطوح لا تنزل مياه المطر، وإنما تنزل دماء المسلمين تصب صبًا. هكذا، قتل مئات الآلاف من المسلمين في أيام معدودات، ولم يجدوا من يقاوم، انتهت المقاومة في أيام وبقى الناس لا يجدون من يرد عنهم، أو يصد هؤلاء المغيرين، الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وألقوا بالكتب الإسلامية في نهر دجلة حتى أسود ماء النهر من كثرة المداد الذي سال! هكذا حدث.

وظن الناس أن بساط الإسلام قد طوى، وأن علم الإسلام قد نكس إلى الأبد، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة بعد اليوم. ولكن جرب الناس أن هذا الدين أصلب ما يكون عودًا، وأشد ما يكون قوة، وأصفى ما يكون جوهرًا، حينما يتعرض للزلازل والمحن، هنالك تبرز القوة الكامنة فيه، ويبرز المؤمنون المختفون، وتجتمع القوى، وسرعان ما ظهر ذلك.

سرعان ما ظهرت قوة هذا الدين، فما مضت سنتان حتى قامت معركة

جديدة ... معركة حاسمة، جاءت من هناك ... من الشمال ... من مصر، قادها المظفر قطز سنة (658) للهجرة، حينما بعث ملك التتار يهدد قطز ويطلب إليه التسليم، ويرغي ويزيد، ويتهدد ويوعد. ولكن قطز لم يلق بالًا إلى هذا الوعيد وإلى ذاك التهديد، فمزق كتابه، وضرب عنق الرسولين اللذين بعثهما على غير سنة الإسلام في حماية الرسل. إنما أراد أن يُرى الناس أنه لا يمكن أن يسلم ولا أن يستسلم ولا بد من الحرب، وأن هذا أمر لا رجعة فيه. فكان قتل الأسيرين إيذانًا بأن المعركة قادمة.

وجمع الناس ونفخ فيهم من روح الدين، وجمع العلماء فحمسوا الناس وأوقدوا جذوة الإيمان في الصدور، وخرجوا في شعبان لملاقاة التتار في فلسطين.

وجاء رمضان، وفي يوم الخامس والعشرين من رمضان - وكان يوم جمعة - كان اللقاء بين جيش الإسلام وجيش الكفر. وقف قطز يتضرع إلى الله ويدعو، ويقول للمسلمين: لا تبدأوا الآن، انتظروا حتى تنزل الشمس، وتفئ الظلال، ويصلي المسلمون الجمعة في كل مكان فيدعو لنا خطاؤهم بالنصر ويقول المسلمون في كل مكان: آمين آمين.

وما أن جاء وقت صلاة الجمعة، حتى بدأ الجنود يهاجمون التتار، ولكن الرعب الذي كان في القلوب من قديم جعل كثيرًا من المسلمين يولون الأدبار. فما أن رأى ذلك قطز حتى رمى بخوذته التي يلبسها على رأسه على الأرض وصاح صيحته التاريخية الشهيرة: وا إسلاماه ... وا إسلاماه ... وا إسلاماه. وما إن سمع جنوده هذه الصيحة حتى أقبل المدبر، وحتى تشجع الجبان، وحتى عاد المتردد، وهجموا كأنهم الليوث على أعدائهم، فما هي إلا جولة أو

جولتان حتى كانت الدائرة على الكافرين، وكانت العاقبة للمسلمين، ونصر الله قطز ومن معه على التتار.

ثم انتصر المسلمون انتصارًا آخر، فإذا بهؤلاء التتار الذين جاؤوا يريدون أن يدمروا الإسلام وأهله: ينظرون في هذا الدين الجديد، وإذا بهؤلاء الغالبين يدخلون دين المغلوبين. فانتصر الإسلام مرة أخرى بدخول التتار أنفسهم في الإسلام.

محن أصابت المسلمين في كل مكان.

محنة أخرى أصابت المسلمين في الأندلس بعد أن ظلوا هناك ثمانية قرون، رفعوا فيها لواء الله، وأعلوا كلمة الله، وأقاموا حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، كان الناس في أوروبا يأتون إلى جامعاتها ليتعلموا منها، كان تلاميذ أوروبا يتعلمون في جامعات الأندلس الإسلامية. كان أشراف أوروبا في ذلك الوقت لا يعرفون أن يوقعوا، كان يبصمون، وما كانوا يستطيعون القراءة والكتابة، وكان أطفال المسلمين يذهبون إلى المعاهد والمدارس والجوامع في كل مكان. لم تكن أوروبا تعرف الاستحمام ولا الاغتسل! وكان في قرطبة وحدها ستمائة حمام. كانت الحضارة الإسلامية هي السائدة.

ولكن العصبية الصليبية تألبت على هؤلاء في غفلة وتفرق من المسلمين أيضًا، واستطاعت أن تقتلع الإسلام من هذه الأرض، وفرضت عليهم: إما أن يتنصروا وإما أن يخرجوا من هذه البلاد. ومن خرج فقلما يسلم في طريقه، إما يصاب بالقتل أو الوباء أو الموت.

وهكذا لم يعد في تلك الأرض مسلم إلى اليوم. ومن يزور إسبانيا يرى القصور والمساجد وآثار المسلمين إلى اليوم.

أصيب المسلمون بمحن شتى.

تجمع الجبهات المعادية على المسلمين:

ولكن شر ما أصيب به المسلمون: ما يصاب به الإسلام اليوم، من جبهات معادية، تختلف فيما بينها، وتتفق علينا نحن المسلمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: {**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ**} [الأنفال: 73] أي إلا يوال بعضكم بعضًا، ويساند بعضكم بعضًا {**تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ**}. إذا كان هؤلاء يتساندون على باطلهم، فأولى أن تتوالوا وتتساندوا على حقكم.

يتعرض الإسلام اليوم للقوى المعادية في الشرق والغرب: الشيوعية لم تكتف بأن تغزونا من الداخل عن طريق أحزابها وعملائها، فهي تغزونا من الخارج عن طريق الجيوش والسلاح، تستعمل منه ما حرمته القوانين الدولية من النابالم والأسلحة الجرثومية والأسلحة الكيماوية وغير ذلك، رأينا ذلك في أفغانستان.

والجبهة الغربية بقواها المختلفة:

الجبهة اليهودية:

اليهودية العالمية لم تجد أرضًا لها تتخذ منها دولة إلا أرضنا، كأن أرضنا ليس لها شعب حتى تستقبل شعبًا ليس له أرض! وأقام هؤلاء دويلتهم التي كنا نقول عنها «المزعومة» في فلسطين ... في قلب بلاد العروبة والإسلام.

ولم يعودوا يكتفون بهذه الدولة وبهذه الأرض، فهم يناوشون الجبهات من كل جانب، وهم يخططون لتحطيم المنطقة وتمزيقها كلها، كما قرأنا ذلك عن خطتهم في الثمانينات والتسعينات. وآخر ما قرآناه ما كتبه المفكر المسلم الفرنسي الذي هداه الله إلى الإسلام «رجاء جارودي»، الذي كتب يقول: إن هؤلاء يفكرون في تمزيق سوريا إلى عدة دويلات، وتمزيق لبنان إلى عدة دويلات، وتمزيق بلاد الخليج وبلاد الجزيرة العربية إلى دويلات كذلك، وتمزيق مصر إلى دولة للأقباط في الصعيد ودولة للمسلمين في الوجه البحري.

هكذا كتب رجاء جاروي من واقع الوثائق التي درسها واطلع عليها، وهكذا نشرت بعض الصحف في البلاد العربية - مثل جريدة الدستور - من واقع ما كتبته أيضًا صحف إسرائيلية وما كتبته الوثائق ونقلت عنها مجلات عالمية.

نحن أصبحنا نهبًا لكل طامع، وغرضًا لكل طاعن، وأصبحنا أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام. هكذا تفعل اليهودية.

إنهم يفكرون الآن في هدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان عليه. ولا تستبعدوا شيئًا، فقد كنا من قبل نستبعد أن تقوم لهؤلاء دولة، كنا نستبعد أن يفعلوا ما فعلوا اليوم. والذي استبعده الناس من قبل واستبعده الجيل السابق، رآه الجيل اللاحق حقيقة واقعة. وأصبحت السياسة العربية اليوم ليست إزالة إسرائيل واقتلاعها من الوجود، بل إزالة آثار عدوان سنة (1967م)، أما إسرائيل نفسها فقد أصبحت كيانًا مشروعًا! نتعرض اليوم لهذا من الجبهة اليهودية.

الجبهة النصرانية:

نتعرض من الجبهة النصرانية أيضًا لفتن ومؤامرات، سواء كانت جبهة كاثوليكية أم بروتستنتية أم أرثوذكسية. كل هؤلاء على اختلاف مذاهبهم التي تكاد تحسب أديانًا فيما بينها، اتفقوا على حرب المسلمين.

رصد المبشرون الأمريكان وحدهم «ألف مليون دولار» لتنصير المسلمين في العالم، لإخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النصرانية. مائة وخمسون مبشرًا من عتاة المبشرين البروتستانت من الأمريكان اجتمعوا في ولاية «كلورادوا» سنة (1978م) ودرسوا أحوال المسلمين، ولماذا لا يدخلون في النصرانية؟ وما العقبات وما سبيل التغلب عليها؟! وقدم في هذا المؤتمر أربعون بحثًا، ثم قرروا العمل على تنصير المسلمين ... على إدخالهم في النصرانية، ورصدوا هذا المبلغ: ألف مليون دولار، ونشر ذلك في كتاب يقرأ ويتلى في العالم، وهذا أمر أصبح معروفًا. أما القرارات السرية فلم تنشر.

هذا ما رصده الأمريكان وحدهم، بخلاف ما رصده مجلس الكنائس العالمي، وبخلاف ما رصده الفاتيكان والبابوية التي لها جنود منتشرون في كل مكان، وخاصة في بلاد العالم الإسلامي. في إندونيسيا وجدت هناك للإرساليات التبشيرية أكثر من خمسين مطارًا تملكها هذه الإرساليات! لأن إندونسيا جزر، فهي تستعمل الطائرات للانتقال بين الجزر بعضها وبعض.

الملايين تبذل لنشر الديانة المسيحية ونشرها بين المسلمين! لو نشروها بين الوثنيين أو الملاحدة الذين ينتشرون في أوربا لكان ذلك مقبولًا، أما أن

ينشروها في أمة التوحيد ... في أمة القرآن ... في أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فهذا ما لا يقبل.

ولكن ما دمنا لا راعي لنا، ما دمنا لا قيادة لنا، فماذا نفعل؟ الكاثوليك لهم بابا، لهم قيادة تقول فتسمع، وتأمر فتطاع. البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمي، الأرثوذكس لهم بابا في مصر، ولهم رؤساءهم في روسيا واليونان. اليهود لهم مجلس الصهيونية العالمية، الشيوعية لها الكرملين، وبعد الكرملين: الصين. كل مذهب في الدنيا وكل دين له قيادته إلا المسلمين، فقد فقدوا القيادة، من بعد ما فقدوا الخلافة لم يعد لهم خليفة، ولم يعد لهم قيادة سياسية ولا دينية ولا فكرية فأصبحوا ضائعين.

هكذا أصبحنا أيها الإخوة المسلمون، هكذا أصبحنا اليوم نتعرض لهذه المحن، ونتعرض لهذه الفتن في كل مكان.

الغزو الفكري والغزو التبشيري والغزو الشيوعي، يعمل عمله في بلاد الإسلام، فأين الألف مليون مسلم؟ ماذا قدموا؟ كنا نقول - حينما استقبلنا هذا القرن الجديد ... القرن الخامس عشر الهجري - : نرجو أن يكون هذا القرن قرن المسلمين. كان القرن الثالث عشر قرن ظهور الرأسمالية وسيادتها، وفي القرن الرابع عشر ظهرت الشيوعية، القرن الخامس عشر كنا نريد ونأمل نرجو أن يكون قرن ظهور الإسلام وانتصار الإسلام، ولكن الجبهة الإسلامية لا تزال مفككة.

الجبهة النصرانية تعمل، والجبهة اليهودية تعمل، والجبهة الشيوعية تعمل، والجبهة العلمانية تعمل، حتى الجبهة الوثنية التي تعبد البقر والتي تعبد الصنم

تعمل من أجل دينها وتذبح المسلمين. فماذا فعلت الجبهة الإسلامية؟ أين جبهة الإسلام؟ أين أمة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؟ أين أمة القبلة؟ أين أمة القرآن أين هي؟

إني انظر عن يميني وعن شمالي، فأرى أعدادًا غفيرة، ولكن لا تجد من يقودها ومن ينظمها، إما أناسًا هم في نومهم غارقون، وفي غفلتهم سادرون، وإما أناسًا مشغولين بالتوافه ... بالجزئيات عن القضايا الكبرى، إنهم بتوافه الأمور مشغولون، وبحرب بعضهم بعضًا منهمكون. وإما أرى آخرين يائسين، يقولون: لا أمل في اليوم، ولا رجاء في الغد. ناسين أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ولا يقنط من رحمة ربه إلا الضالون.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، ادعوا ربكم يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

وجوب التحرك للعمل الخيري:

منذ أسبوعين كنت في جدة بالمملكة العربية السعودية، وكنت ألقي محاضرة هناك، وبعد المحاضرة سئلت أسئلة تناولت أوضاع المسلمين وأحوالهم في العالم، وما يتعرضون له من مكايد ومؤامرات، ومنها هذا الأمر الذي قصصت عليكم قصته - ما رصده الأمريكان من أموال لتنصير المسلمين - وقلت لهم: إن المسلمين ليسوا عاجزين عن مقاومة هذا الأمر. وإذا كان الأمريكان قد رصدوا ألف مليون دولار، فنحن المسلمين قادرون على أن نرصد مثلها وأكثر منها. إن عدد المسلمين في العالم «ألف مليون»،

فلو دفع كل مسلم دولارًا واحدًا، لجمعنا الألف مليون في يوم واحد.

نحن لا نريد بهذا أن نعتدي على أحد، نحن لا نقول كما كان يقول اليهود - حينما أرادوا إقامة إسرائيل ونادوا يهود العالم - : ادفع دولارًا تقتل عربيًا، بل نقول: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا. نحن ليس همنا القتل، وإنما همنا الإنقاذ.

المسلمون في العالم يتعرضون للتنصير ... لهذا التضليل، وأقول لكم بصراحة: استطاع هؤلاء المضللون أن يكسبوا، وأن ينصروا مسلمين. كنت في رحلة إلى إندونسيا وركبت الطائرة الإندونيسية، فسألت المضيفة: هل أنت مسلمة؟ قالت: لا، أنا مسيحية، ولكني من أسرة مسلمة! أي أنها نُصرت. وسألت المضيف: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكن زوجتي مسلمة! وهذه مصيبة أخرى. في نيجيريا وفي البلاد الأخرى وجدنا أثر التبشير هناك، التبشير يعمل وينصر أناسًا بالفعل، المبشرون يستغلون الفقر والجهل والمرض والتخلف والعرى. هناك أناس لا يجدون ثوبًا يلبسونه فيموتون من شدة البرد أو شدة الحر، هناك من لا يجد اللقمة يضعها في جوفه، هناك ملايين تموت من الجوع، هناك مدارس إسلامية لا تجد كراسة للتلميذ - كما حدثني إخوة هنا جاؤوا من أوغندا - ولا قلم رصاص، ولا محاية، لا تجد هذه الأدوات البدائية البسيطة، على حين تتدفق أطنان الكتب والكراريس والقرطاسية، والأدوات على مدارس التبشير بجوارهم، وهم يقولون لهم: ما لكم تعيشون في هذا الضنك؟ هاتوا أبناءكم إلى مدارسنا، ولكنهم يرفضون.

المسلمون يعانون هذا كله، على حين توجد أموال كثيرة في بلاد إسلامية يلعب أهلها بالملايين لعبًا.

قلت في الأسبوع الماضي في مثل هذا الوقت من خطبة الجمعة - التي أذيعت من إذاعة الكويت - : لو أن الأغنياء في الكويت أخرجوا زكاتهم لجمعنا الألف مليون دولار. أليس في الكويت وحدها من رؤوس الأموال التي في الداخل أو في الخارج أربعون ألف مليون دولار؟ الأربعون ألف مليون فيها ربع العشر: ألف مليون. فكيف لو جمعت زكاة الكويت وقطر والإمارات والسعودية وهذه البلاد؟

إننا أغنياء، إننا قادرون، فلماذا نقف عاجزين؟

قلت للإخوة في جدة هذا الكلام، فقالوا لي: ولماذا تسكت؟ لماذا لا تدعو المسلمين إلى أن يجمعوا ألف مليون دولار لمقاومة التنصير والشيوعية والتضليل؟ قلت: وبماذا أدعوا وما سلطتي وما صفتي؟ قالوا: بصفتك من علماء المسلمين ودعاتهم.

حملوني المسؤولية، وألزموني أمام الله أن أدعو إلى هذه الدعوة، ووعدتهم بذلك.

حيث وجدت تجمعًا إسلاميًا دعوت لهذه الفكرة، فلما كنت في مؤتمر المصارف الإسلامية بالكويت وفي الجلسة الختامية للمؤتمر دعوت إلى هذه الفكرة ... إلى أن يقف المسلمون وقفة إيجابية بدل تشاكي الهموم التي تعودنا كلما جلس بعضنا إلى بعض أن نشكو همومنا ونتحدث عن مآسينا، ولا نتقدم خطوة إلى الأمام، ولا نفعل شيئًا إيجابيًا. دعوتهم إلى هذا واستجاب الناس وقالوا لي: انتظر حتى تخطب الجمعة هنا، وتذكر ذلك في الجمعة وتذاع في الإذاعة والتلفزيون، وقد كان.

ووجد هذا الأمر تجاوبًا كبيرًا، تبين أن الخير في هذه الأمة قائم، وأن الخيرين كثيرون، وأن عشرات ومئات الهواتف بدأت تسأل: أين هذا الأمر؟ وأين ندفع؟ وأين نبذل؟

نحن الآن في سبيل التهيئة، ولكننا نخطط وننظم لهذا الأمر، وسيكون إن شاء الله، ستقوم هيئة عالمية من مندوبين من المسلمين في كل مكان، سيكون هناك مجلس تأسيس لهذه الهيئة.

سننظم هذا الأمر، ولن نقف مكتوفين أبدًا أمام القوى الكافرة التي تريد اقتلاع الإسلام من أساسه، ومهاجمته في عقر داره. لا نريد العدوان على أحد، ولكننا نريد الدفاع عن أنفسنا والحفاظ على ذاتنا ووجودنا.

إن هذا الدين أمانة في أعناقنا، لم يصل إلينا هينًا لينًا، إنما بذلت فيه دماء، وأزهقت أرواح، وحدث ما حدث على طول التاريخ. لا يجوز لنا أن نضيع جهود المجتهدين، ولا جهاد المجاهدين من أمتنا طوال أربعة عشر قرنًا.

إننا قادرن على أن نفعل الكثير إذا وضع بعضنا يده في يد أخيه، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بأمته.

فيا أمة الإسلام، يا ألف مليون مسلم في أنحاء الأرض: هبوا لنصرة دينكم وإنقاذ إخوانكم والدفاع عن شخصيتكم حتى لا تمحى من الوجود.

يا أيها المسلمون عامة، وأيها الأغنياء والقادرون خاصة، من رجال ونساء، من كبار وصغار، من عرب وعجم: أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم، أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم ... إلى أن تدافعوا عن وجودكم، ولا بد أن يأتي اليوم الذي ترتفع فيه راية الله **{وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ 4 بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ**

مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ 5 وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [الروم: 4 - 6].

إننا نقيم هذا الصندوق إن شاء الله، وستعلمون عنه وكيف يفتح؟ وأين يكون؟ ولكن هذه دعوة أولية للتنبيه والإيقاظ(57)، وإن مع اليوم غدًا وإن غدًا لناظره قريب.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147]، اللهم آمين.

وصل اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم، فصلوا عليه وسلموا تسليما، وأقم الصلاة.

* * *

(57) تبلور ذلك في مشروع «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» التي أسست في الكويت.

15- التنصير في منطقة الخليج

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

غزو في عقر دارنا:

شكا إلي كثير من الأخوة والأخوات النشاط التبشيري الملحوظ في الآونة الأخيرة في منطقة الخليج، وأرسلوا إلي صورًا من الرسائل التي تأتيهم عبر البريد، تطلب إليهم أن يبحثوا عن خلاصهم ونجاتهم في الإيمان بالرب «يسوع»، الذي يغفر لهم كل خطاياهم بمجرد أن يؤمنوا به، وأن في الكتب المقدس شفاء لكل داء، وحلًا لكل مشكلة

وهذا عجيب حقًا: أن يمارس هؤلاء نشاطهم علانية وجهرة في بلاد إسلامية عريقة، هي مهد الإسلام وهي دار الإسلام!

كنا نود من هؤلاء أن يذهبوا بنشاطهم إلى بلاد الوثنية في آسيا وإفريقيا، هناك وثنيات كبرى، فيها آلاف الملايين من الناس. وهناك بلاد عاشت في إطار الإلحاد سنينًا عددًا ... عقودًا من السنين.

كنا نريد من هؤلاء المبشرين والمنصّرين: أن يذهبوا إلى تلك الديار ليهدوهم إلى نصرانيتهم، أما أن يذهبوا إلى بلاد المسلمين فهذا هو العجب حقًا!

وهذا ليس بجديد، الحملة التبشيرية بدأت مع الاستعمار. منذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين وبلاد غيرهم في آسيا وإفريقيا، كان يجاور

الاستعمار جنبًا إلى جنب التبشير!

فأوروبا تخلصت من الدين في ديارها، كان الدين - دينها دين الكنيسة ورجال الكنيسة - كان عقبة في سبيل النهوض. كان الدين ضد الفكر، وضد العلم وضد الاختراع, وضد التحرر. كان مع الملوك ضد الشعوب، وكان مع الاقطاعيين ضد الفلاحين، وكان مع الظلم ضد العدل، وكان مع الظلام ضد النور، وكان مع الجمود ضد التحرر. ولذلك ثار الناس على الدين هناك، وقالوا كلمتهم الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس!

تحرروا من دينهم ... دين الكنيسة ... الدين الذي وقف ضد هذه المعالم الهادية والمعاني الطيبة. وقفوا ضد هذا الدين وثاروا عليه.

ومع هذا صحبوا الدين في رحلاتهم الاستعمارية! الدين الذي حاربوه في الداخل اصطحبوه معهم إلى الخارج! اصطحبوا معهم المبشرين والأناجيل، كما قال أحد الأفارقة: جاء الأوروبيون فأخذوا أرضنا وثروتنا وأعطونا بدلها الإنجيل!

كان التبشير في خدمة الاستعمار، منذ بدأ الاستعمار والتبشير يسير في ركابه، ويقدم له الخدمات. هذا ما لاحظناه من قديم.

ومنذ بداية هذا القرن[58] ذهب إلى مصر حملات هائلة للتبشير، حاولوا أن يغروا مصر بلد الأزهر وبلد العلماء، ولكنهم لم يجدوا أذنًا صاغية، لم يجدوا من يستجيب لهم. حتى القرى التي تشكوا من سوء الحال ومن ضيق العيش، كان الرجل يذهب إليهم ليحكي عن عجائب المسيح ومعجزات

(58) أي: العشرين الميلادي.

المسيح ومعجزات العذراء، والناس يسمعون، وفي النهاية يقول أحد الحاضرين: وحدوه - فيقول الناس: لا إله إلا الله - صلوا على النبي، فيقولون: اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد فيذهب المبشر ويقول: لم نستفد شيئًا.

لم يجدوا من يستجيب لهم، وكتب كبيرهم في ذلك تقريرًا مطولًا قال في نهايته: «سيظل الإسلام صخرة عاتية في مصر، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين». ما دام القرآن يحفظ ويقرأ ويتلى ويسمع، فهو يوقظ ويحرك. وما دام هناك الأزهر يخرج علماء يعلمون الناس ويعظونهم ويذكرونهم، فسيظل الناس مشدودين إلى الدين. وما دام اجتماع الجمعة الأسبوعي يربط الناس بالمسجد ويربط الناس بالدين وبالعلم وبالموعظة وبذكر الله، فأيضًا سيظل الناس على صله بالدين. وهذا مؤتمر الحج السنوي يذهب الإنسان عاصيًا ويعود تائبًا، يذهب بعيدًا عن الله ويعود قريبًا من الله، هذه الدعائم الأربع.

وهذه الدعائم موجودة في كل بلد، ليس المقصود بالأزهر هو البناء، المقصود بالأزهر: العلماء ... المؤسسة التي تخرج علماء الدين ودعاته. كل بلد فيها القرآن، وفيها العلماء وفيها اجتماع الجمعة، وفيها الحج.

ولذلك لم يستطع التبشير أن ينجح، وصدر في ذلك كتاب مشهور اسمه: «الغارة على العالم الإسلامي»، وقال القائل في ذلك الكتاب: أنه ما دام هناك القرآن وما دامت هناك الكعبة فلن نستطيع أن نغزو المسلمين.

وستظل الكعبة، وسيظل المصحف ويظل القرآن إن شاء الله.

ولكنهم غيّروا طريقتهم، استطاعوا أن يطّوروا أنفسهم، وكتب منهم من كتب: إنه ليس من الضروري أن نحول المسلم إلى نصراني - ليس من الضروري أن يتحول محمد وأحمد وعبد الرحمن وعلي إلى جورج ومتىّ وبولس - لكن المهم أن نزعزع ثقة المسلم بإسلامه ... أن نشككه في الإسلام ... أن ندخل عليه مفاهيم جديدة تخالف مفاهيم الإسلام، وقيمًا جديدة تخالف قيم الإسلام! وهكذا صنعوا، وخصوصًا في المنطقة العربية. المنطقة العربية يصعب فيها أن ينتقل إنسان من مسلم إلى مسيحي، ولكن هذا حدث في غير المنطقة العربية.

خارج العالم العربي وجدنا أناسًا ينتقلون من الإسلام إلى النصرانية، خصوصًا الأطفال الذين يأخذونهم منذ نعومة أظفارهم ليعلموهم في مدارسهم، ويلقنونهم عقائدهم ومبادئهم، فينشأوا على ما علمهم معلموهم. وجدنا هذا في آسيا وفي إفريقيا.

منذ عقود من السنين حكم نيجيريا حاكم مسيحي، هذا الحاكم المسيحي من قبيلة مسلمة! كيف صار هذا؟ إنه ارتد بواسطة التعليم في المدارس.

وكثيرًا ما تجد على لافتات المحلات هناك اسمًا مسيحيًا وجده اسم مسلم، أو قبيلته إسلامية.

وهكذا كان في إندونيسيا. أذكر منذ نحو ربع قرن حينما ذهبت إلى إندونيسيا وفي الطائرة سألت المضيّفة: هل أنت مسلمة؟ فقالت: لا, لست مسلمة، أنا مسيحية، ولكن أسرتي مسلمة! معناها أنها ارتدت والعياذ بالله بوساطة التنظير. وسألت المضيف: هل أنت مسلم؟ فقال: لا، ولكن زوجتي

مسلمة! وهذه مصيبة أخرى. كيف تتزوج المسلمة غير مسلم؟! وكيف يحدث هذا في بلد إسلامي؟!

استطاع هؤلاء المنصّرون أن يكسبوا بعض المسلمين بوسائل شتى، وإغراءات مختلفة، إغراءات للبلاد الفقيرة والقرى النائية، وهناك الأميون الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه.

ومع هذا، مع أنهم كسبوا ما كسبوا، ترى المبشرين ينشرون أنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا في المسلمين، ولم يستطيعوا أن يكسبوا المسلمين. وهذا لعله مقصود منه أن يشعروا المسيحيين الأغنياء أنهم في حاجة إلى مزيد من الأموال، لتتدفق عليهم المليارات. فكلما شعروا أن الأمر فيه عقبات ومعوقات ويحتاج إلى جهود أكبر وإلى أموال أكثر، جاءت لهم هذه المعونات بالمليارات.

ومن ناحية أخرى لعلهم يريدون أن ينومونا ويخدرونا، حتى نقول: الإسلام بخير، ونسكت على ما يجري من حولنا ولا نقاوم. هذا هدف أيضًا.

ومن ناحية ثالثة، فهذا لعله دون ما كانوا يتمنون. إنهم كانوا يتمنون أن يغزوا العالم الإسلامي ويحولوه إلى النصرانية، هذه كانت أمنيتهم ولكنهم لم يحققوها، ولم يقتربوا منها!

منذ نحو ثلاثين سنة وضعوا خطة لتنصير إندونيسيا - أكبر بلد إسلامي في العالم - في خمسين عامًا. وذهب بعض الأخوة إلى إندونيسيا، وعرض عليهم الأخوة هناك الخطط التي وضعها المنصّرون، وهي خطط جهنمية ورائها إمكانات هائلة. المسلمون في إندونيسيا ينتقلون بين الجزر -

وإندونيسيا آلاف الجزر - بالقوارب، وهؤلاء ينتقلون بطائرات الهليوكوبتر، هناك حوالي ستين مطارًا تملكها الإرساليات التنصيرية في إندونيسيا. لهم مدارس، ولهم مستشفيات، ولهم أندية، ولهم ... ولهم ... وعاد الأخوة من هناك يقولون: يا مسلمون، أنقذوا إندونيسيا ...

وحينما زرت إندونيسيا منذ ربع قرن رأيت ذلك، وعرض علي الأخوة هذا الأمر وقالوا: ادع المسلمين في أنحاء العالم أن يقفوا معنا.

ووقف الدكتور محمد ناصر وإخوانه هناك في المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية يقاومون بإمكاناتهم، القليلة. ولم يستطع التنصير أن يحقق أمنيته. بالعكس، جاءت صحوة إسلامية جديدة في إندونيسيا لم تخطر لهم على بال، وإذا بالشباب الإندونيسي يتحول الكثير منهم إلى الإسلام، ويقف مع الإسلام، ويدعوا إلى الإسلام.

ولذلك حينما يقول المنصّرون: نحن قد أخفقنا وفشلنا مع المسلمين، لأنهم لم يحققوا كل أمانيهم.

في سنة (1978م) انعقد مؤتمر للمنصرين البروتستانت في ولاية «كلورادو» في أمريكا، حضره مائة وخمسون من عتاة المبشرين وقدموا أربعين دراسة عن علاقة الإسلام بالمسيحية، وكان الهدف المعلن لهذا المؤتمر هو: تنصير المسلمين في العالم!

ليسوا الوثنيين ولا الملاحدة! هذا هو العجب. المسلمون يجب أن ينصروا، ورصدوا لذلك: ألف مليون دولار! جمعوها من المليارديرات الكبار في الحال. وأنشأوا لذلك معهدًا سموه: معهد زويمر. وزويمر هذا أحد المنصرين

العتاولة، كان مقره في البحرين في أوائل هذا القرن، ورأس مؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة سنة (1906م)، أرادوا أن يحيوا ذكراه وأن ينشئوا معهدًا متخصصًا في تنصير المسلمين ... معهدًا يخرج متخصصين في تنصير المسلمين، هؤلاء متخصصون في جنوب إفريقيا وهؤلاء في شرق إفريقيا ... في غرب إفريقيا ... في وسط إفريقيا ... في شمال إفريقيا. وكل جماعة يعرفون المنطقة التي يبشرون فيها، يعرفون لغتها، يعرفون لهجاتها، يعرفون قبائلها، يعرفون شيوخ القبائل، يعرفون المذهب الفقهي السائد، يعرفون الطريقة الصوفية السائدة: نقشبندية أو تيجانية أو قادرية أو كذا، يعرفون المذهب العقيدي: هل هم أشاعرة؟ هل هم سلفيون؟ هل هم كذا؟ يعرفون كل شيء عن المنطقة، ويدخلونها ويحاولون أن يغزوها من الداخل وأن يفرقوا بين أبنائها وأن يفعلوا وأن يفعلوا. هذا هو المعهد الذي أنشأوه.

وهذا هو الذي دفعني في تلك الأيام أن أنادي المسلمين في بلاد شتى: يا مسلمون، قفوا ضد هذا الغزو الجديد. إذا كان هؤلاء قد رصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم، فلنرصد ألف مليون دولار لحماية الوجود الإسلامي في العالم. لا لأسلمة العالم، مع أن ديننا دين عامي، ونحن مأمورون أن نبلغه إلى العالمين، لأنه رحمة الله للعالمين: **{لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان: 1] **{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}** [الأعراف: 158]، إذا لم نفعل ذلك فعلى الأقل نحمي المسلمين ... المسلمين الذين يستغلون فقرهم وجوعهم، ويستغلون بطالتهم وأميتهم، ويستغلون أمراضهم وأوجاعهم، ويستغلون تيتمهم وتشردهم، يستغلون هذه الأشياء لنيشئوا منشآتهم، وهذه المنشآت باسم المسيح والمسيحية، وهكذا.

لم نستطع نحن المسلمين أن نجمع الألف مليون دولار، بل لم نجمع إلى الآن أربعين مليون دولار! وإن كنا أقمنا نشاطًا كبيرًا، ولكن الهدف أن نجمع ألف مليون دولار لنوظفها ونستثمرها وننفق من عائدها.

وإذا كان هؤلاء رصدوا ألف مليون دولار، فهم يجمعون سنويًا عشرات آلاف الملايين!

في حلقة من حلقات برنامج «الشريعة والحياة» كنت أتحدث عن جهود هؤلاء المنصرين، وكنت أنا أظن أن لهم حوالي ربع مليون مبشر في أنحاء العالم، فرد على أحد الإخوة المعنيين بهذا الأمر «رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت» الشيخ عبد الله المطوع ﻇﻈﻆ، وبعث إلى إحصائيات هم كتبوها أنفسهم وقال: إن هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف (4750000) مبشر ومبشرة يتبعون الكنيسة في أنحاء العالم، ويأخذون أجورهم من الكنيسة.

(4750000) مبشر ومبشرة يعملون للكنيسة! أنفق عليهم سنة (1996م): مائة وثلاثًا وتسعين مليار دولار! وفي سنة (1997م) قرروا الزيادة إلى: المائتي مليار!

انظروا أيها المسلمون: القوم يعملون. لا بد أن نعترف بهذا. هم يعملون فماذا نعمل نحن؟ إننا لا نعمل على مستوى الإسلام الذي نؤمن به ونمثله، ولا على مستوى العصر الذي نعيش فيه، ولا على مستوى ما يعمل هؤلاء لدينهم الذي نعتقده نحن دينًا باطلًا.

نحن نؤمن بالمسيح عليه السلام، ونؤمن بموسى، ونؤمن بأصل اليهودية

وبأصل النصرانية، ولكن نعتقد أن هذه الديانات حُرفت وبدلت، لأنها كانت ديانات موقوتة لزمن معين، ولذلك لم يتكفل الله بحفظ كتبها، إنما استحفظها أهلها - {بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [المائدة: 44] - فلم يحفظوها، ونسوا حظًا مما ذكروا، وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا هذا من عند الله {لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79].

القرآن جعل لأهل الكتاب منزلة خاصة، وأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، وأن نقول: {ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ} [العنكبوت: 46]. بل أجاز لنا عند الحاجة أن نتزوج من نسائهم وأن نأكل من ذبائحهم {وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ} [المائدة: 5].

ولكنهم للأسف لم يعاملونا بمثل ما نعاملهم به، إنهم يضمرون الكيد لنا دائمًا، من قديم ومن حديث.

من قديم كانت الحروب الصليبية، والصليبية ليست نزعة دينية، إنها نزعة استعمارية، كلها أحقاد وأطماع، وكراهية وبغضاء «والبغضاء هي الحالقة لا تحلق الشعر بل تحلق الدين». إنهم يعاملونا بهذه الروح الصليبية ولا يعاملوننا أننا أهل كتاب.

هؤلاء هم الذين يحاولون اليوم أن يغزونا في عقر دارنا، وأن ينصرونا، وهيهات هيهات. صحيح أن عندهم رجالًا ونساء نذروا أنفسهم لهذا الأمر، وهذا يجب أن نعترف به. هناك من نذروا أنفسهم لنشر الديانة المسيحية على ما بها.

وقد حكى لنا - في أحد مؤتمرات منظمة الدعوة الإسلامية في إفريقيا - لواء متقاعد في الجيش السوداني وعضو مجلس أمناء المنظمة معنا، حكى لنا قصة فيها عظة وعبرة، قال: حينما استقل السودان ذهبنا إلى قرية من قرى الجنوب، فدخلنا بسيارة «جيب»، وحينما رأى الناس السيارة هربوا إلى بيوتهم، لأنهم لم يروا سيارة في حياتهم، ما هذا الشيء الذي يتحرك ويمشي وليس هو بقرة ولا جاموسة ولا بغلًا ولا حمارًا، فأي شيء هذا؟ خاف الناس وهربوا إلى منازلهم استعدناهم وكلمناهم وقلنا لهم: نحن سودانيون مثلكم وجئنا إلى مصلحتكم. ثم يقول: وبينما نحن نكلمهم سمعنا جرسًا يدق، فقلنا لهم: ما هذا الجرس؟ أهنا مدرسة؟ قالوا: لا، لا يوجد هنا مدرسة ولا يوجد أحد يعرف القراءة والكتابة. قلنا فما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا.

قلنا: ومن أبوكم؟ قالوا: هذا الرجل يأتينا كل أسبوع مرتين. ذهبوا إلى هذا الرجل فوجدوه يركب دراجة، سألوه: من أنت؟ قال: أنا فلان الفلاني. من أي بلد؟ قال: أن من «بروكسل» - من بلجيكا - قالوا: ماذا تفعل؟ قال: أنا جئت هنا لأنشر هداية المسيح. قالوا: كم لك هنا؟ قال: لي ثلاثون سنة! قالوا: كم مرة زرت فيها بلدك؟ قال: ولا مرة! قالوا: ومتى تنوي العودة إلى وطنك؟ قال: ما هذه الأسئلة؟ أنا وطني هنا، وحياتي هنا، ورسالتي هنا، وقبري هنا!

الرجل جاء متفرغًا لهذه الدعوة، ترك الأزرار الكهربائية والأتوماتيكية، وجاء إلى هذه الغابات وإلى هذه الأدغال، وإلى هذه القرى التي ليس فيها ماء، ولا كهرباء، ولا مدرسة، ولا شيء، القرى التي لم تر في حياتها سيارة قط ويذهب بدراجته إلى نحو ثلاثين قرية، يزور الواحدة منها مرتين في الأسبوع، ومعه حقيبتان: حقيبة فيها حلوى للأطفال، وحقيبة فيها أدوية خفيفة

- قطرة ... مرهم ... اسبرين - يوزع على الأطفال الحلوى، ويوزع على الناس هذه الأدوية، ويحكي لهم بعض قصص المسيح والعذراء ... إلخ.

هذا ما يفعله القوم.

نحن إذن مطالبون أن نعمل لديننا. لماذا لا يجند للإسلام دعاة من أبنائه، وعندنا نحن المسلمين عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الشباب الذين يستطيعون أن يذهبوا إلى آسيا وإلى إفريقيا وإلى غيرها في الإجازات الصيفية؟

وقد فعل ذلك بعض الإخوة - لجنة مسلمي إفريقيا في الكويت - واستطاعوا أن يعيدوا الكثيرين من المسلمين إلى الإسلام ويصححوا إسلامهم، ويدخلوا الكثيرين من الوثنيين في الإسلام. الإسلام دين الفطرة، الإسلام هو الدين الذي يخاطب الفطرة الإنسانية، ويخاطب العقل الإنساني، لم يأت بشيء يستحيل على العقل تصوره.

أما المسيحيون فإنهم يأتون بما لا يعقل، يقولون: اعتقد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثم اتبعني! نحن نقول هذا، نحن عندنا: **{قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}** [البقرة: 111] الدين عندنا غريزة فطرية وضرورة عقلية. هذا هو الإسلام.

أيها الإخوة: نحن مطالبون بأن نعمل لديننا، إذا كان الآخرون يعملون لدينهم، ونحن نعتقده باطلًا، حتى قال ابن حزم: لم يوجد مقولة في الدنيا أشد فسادًا وبطلانًا من مقولة النصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة «الأب والابن والروح القدس، هم ثلاثة ولكنهم واحد، الواحد هو ثلاثة»! يقول ابن حزم:

ولو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بآذننا، ما صدقنا أن في الوجود من يقول هذا.

هؤلاء مع هذا ينشرون هذه الديانة، وينفقون عليها عشرات المليارات، ويبعثون من أجلها ملايين المبشرين والمبشرات، ونحن أولى بأن نعمل لديننا.

وديننا هو سفينة الإنقاذ للبشرية، هو حبل النجاة للإنسانية، إنه الدين الذي يعطي الإنسان الآخرة ولا يحرمه من الدنيا، يعطيه الإيمان ولا يسلبه العلم، يصله بالسماء ولا ينتزعه من الأرض، يعطيه الروحانية ولا يحرمه من المادية، لأنه دين التوازن، دنيا وآخرة: **{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ}** [البقرة: 201].

اللهم فقهنا في ديننا، وعلنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا **{سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ}** [البقرة: 32].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أغرب ما قرأته في الأسبوع الماضي تصريح الإدارة الأمريكية الذي تقول فيه: إن السودان يشكل خطرًا وتهديدًا لأمن الولايات المتحدة!!

وعجبت من هذا الكلام. السودان الذي يحارب من جيرانه بتحريض من أمريكا أيضًا، ويغزى من هنا وهناك، السودان المحاصر، السودان الذي كلما

حاول أن يحل مشاكله صنعت له مشاكل جديدة. هذا السودان يهدد أقوى دولة في العالم القطب الأوحد الدولة الكبرى التي تتحكم في مصير العالم ولم يعد لها منافس ولا شريك؟!

هذا عجب من العجب.

كيف يهدد السودان أمن الولايات المتحدة؟!

لا أدري ماذا بين الولايات المتحدة وبين السودان؟ ماذا بينها وبين أهل الإسلام بصفة عامة؟ حتى الشيخ أحمد ياسين، هذا الرجل القعيد المجاهد الذي لا يفعل شيئًا غير أن يتكلم ويقول كلمة الحق، وكلماته هادئة وهادية، ويقول: لن نمد أيدينا بسوء إلى أحد، لو قاتلونا لن نقاتلهم، سنكون كخير ابني آدم قال: **{لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ}** [المائدة: 28]. ما الذي أزعج الإدارة الأمريكية من زيارة الشيخ أحمد ياسين لقطر والكويت والإمارات؟ الرجل يقول كلمته، ويعرض وجهة نظره.

أيريد هؤلاء أن نركع وأن نلعق الأحذية من أجل السلام المزعوم؟ وماذا نفعل أكثر مما فعلنا؟ ذهب من ذهب، وانحنى من انحنى، وتراجع من تراجع، وتنازل من تنازل، ومع هذا «نتنياهو» يرفض ذلك كله، ويركل السلام بقدميه!

ماذا بين أمريكا وبين المسلمين؟ أمريكا دائمًا في الخط المعادي.

السودان كل ما يفعله أنه يحاول أن يحل مشكلاته، وكلما حاول أن يحلها اختلقوا هذه التصريحات. من قريب حينما أيضًا حاول أن يحل مشكلته مع الجنوبيين، ظهرت تصريحات أمريكية تقول كذا وكذا.

السودان يحاول أن يقيم مؤسساته الدستورية، وأن يضع دستورًا جديدًا ويستفتي عليه، وهو دستور يحاول أن يخرج البلد من الثورية إلى الاستقرار والعادية. هذا شيء نحي السودانيين عليه، ونبارك لهم هذا الأمر، ونسأل الله أن يرزقهم المزيد من الاستقرار والسكينة والأمن، حتى يحققوا العدل، ويحققوا الأمن، ويحققوا الرفاهية لشعبهم، في ظل الإسلام، وتحت راية القرآن.

ماذا يريد هؤلاء من السودان؟ إنني أعجب والله.

إننا يجب أن نقف مع السودان، ولا يجوز أن نقف مع أعداء السودان.

إني أحيي الخطوة البناءة الإيجابية التي تقوم بها المملكة العربية السعودية لمحاولة التقريب بين مصر والسودان.

نحن - العرب والمسلمين - أحوج ما نكون إلى لم الشمل، وجمع الشتيت. لا يمكن أن نحل مشكلاتنا الكبرى، لا يمكن أن نحقق نصرًا أو نحقق استقرارًا أو نحقق إزدهارًا، ونحن متفرقون. نحن في عصر التكتلات الكبرى والكيانات الكبرى. العالم يتكتل ويتلاحم ويتضامن، ونحن نزداد تفرقًا وتمزقًا.

لهذا نرحب بكل خطوة تقرب بين العرب والمسلمين بعضهم وبعض، وخصوصًا بين مصر والسودان.

مصر والسودان بلد واحد، وشعب واحد، ودين واحد، ومصير واحد، لا يجوز أبدًا أن ينفصل بعضهما عن بعض. يجب أن يتقاربا، وأن يتغلبا على أي مشكلة تصادفهما.

هذا هو الواجب على هذه الأمة، فهي أمة واحدة، ولا يجوز لها أن تتفرق

أبدًا، فتفرقها لمصلحة أعدائها وليس لمصلحة نفسها أبدًا.

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيله، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل. اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

{رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

عباد الله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ} [العنكبوت:45].

* * *

16- وامعتصماه

مأساة البوسنة والهرسك

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

كوارث متعددة على المسلمين:

تكاثرت المحن والكوارث علينا نحن المسلمين، لا نخرج من محنة إلا وقعنا في محنة، ولا نكاد نستفيق من كارثة إلا داهمتنا كارثة أشد منها، حتى ليحتار من يريد أن يتحدث عن كوارث المسلمين ومآسيهم في أيها يتحدث، وأيها يترك.

الكوارث شتى، والمصائب تتوالى، بحيث يرقق بعضها بعضا، وينسي بعضها بعضا، كما قال أبو الطيب:

رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

مآسينا كثيرة، ومصائبنا شتى.

أنتحدث عن المسلمين حول المسجد الأقصى ... المسلمين في أرض النبوات ... في الأرض المقدسة في فلسطين، حيث المذابح مستمرة، وحيث أطفال الحجارة، وأشبالهم وشبابهم يعملون ما يستطيعون؟

أنتحدث عن المسلمين في لبنان وما يجري عليهم، والغارات الإسرائيلية

المستمرة؟

أنتحدث عن وحشية اليهود الذين يتحدون العالم ويقيمون المستوطنات، ويصرون على موقفهم، ويتحدون العالم كله بغطرسة وكبرياء، ولا يبالون بأوربا ولا بأمريكا ولا بعرب ولا بمسلمين، والمسلمون والعرب يلهثون وراءهم يستجدون السلام؟!

أنتحدث عن المسلمين في كشمير وما يحدث لهم من مذابح تقشعر منها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان؟ أنتحدث عن ثلاثمائة ألف أسرة مشردة، لا تجد المأوى، ولا تجد ما يسد الرمق؟ أنتحدث عن المشردين المهاجرين من بورما، الذين طاردتهم الدولة الدكتاتورية الطاغية، ولم يجدوا صدرًا حنونًا ولا كهفًا يأوون إليه؟

أنتحدث عن إخواننا الذين يلاقون الأمرّين في الهند، والذين يذبحون من أجل أنهم يريدون إقامة مسجد لهم؟

أنتحدث عن إخواننا الذين يذوقون الصاب والعلقم في بلاد العالم كله، من اليهودية حينًا، ومن الشيوعية حينًا، ومن الصليبية حينًا، ومن الوثنية حينًا، ومن كل ذي دين وذي نحلة، ومن لا دين له ولا نحلة؟

هكذا، أصبحنا نحن المسلمين نهبًا لكل من يريد، أصبحنا هدفًا لكل رامٍ ولكل ضارب، ولكل حابل ونابل، هكذا صرنا نحن المسلمين.

مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك:

فيم نتحدث؟

لنتحدث في المصائب الجديدة التي تحل بنا ما بين حين وحين. وأحدث هذه المصائب وأحدث هذه الكوارث: كارثة إخواننا في البوسنة والهرسك، وما حولها من المناطق الإسلامية، التي دخلها الإسلام في تلك الديار في أوربا الشرقية، وأصبحت كيانات إسلامية متميزة، لها ثقافتها، لها تراثها، لها رجالها، لها مشيختها، لها مساجدها، لها مكتباتها، لها متاحفها، لها دورها، لها معاهدها.

هذه الكيانات الإسلامية التي ضُمت فيما ضُم إلى البلاد الشيوعية من قديم، ضم منها من ضم إلى الاتحاد السوفيتي، وضم منها ما ضم إلى الاتحاد اليوغسلافي. فلما انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وانهارت في أوربا الشرقية، تفككت هذه الكيانات التي كان يضمها القهر وحده، وأصبحت كل جماعة تبحث عن استقلالها وعن سيادتها وعن شخصيتها التاريخية. وطالب الكثيرون بالاستقلال وأعطوه، وطالب إخوتنا في البوسنة والهرسك بالاستقلال - كما طالب الكروات وغيرهم - واعترف المجتمع الدولي لهم بحق ألا، اعترفت أوربا، واعترفت أمريكا، واعترف الكثيرون من العرب والمسلمين لهم.

مجازر وحشية:

وقد حضر إلى هنا رئيس المشيخة الإسلامية في العام الماضي، وتكلم أمامكم هنا في هذا المسجد، وذكر أنهم يقفون أمام الصراع الدائر لا يتدخلون فيه بين العرقيات المختلفة، ولكنه قال: حينما تهدد حقوقنا وتنتهك حرماتنا، ونتعرض للظلم، فإننا لا بد مدافعون عن أنفسنا، ولن نسكت على الذل، ولن نرضى بالضيم، ولكننا سنقاتل دفاعًا عن أنفسنا، وبكل طاقاتنا وإمكاناتنا،

وهذا ما فعلوه.

هذا ما فعلوه الآن حين تعرضوا لهذه الوحشية الصربية الصليبية التي تريد أن تقتلع الإسلام من جذوره في تلك الديار. إنها صليبية وحشية، إي وربي إنها لصليبية، ليست مجرد حروب عرقية كما يسمونها، لا، إنها حرب على المسلمين والمسلمين بالذات.

إن المسلمين هناك يقتلون على بطاقات الهوية الشخصية، من عرف أنه مسلم فإنه يذبح بالسكاكين، ويمثل بجثته بعد موته، ويرسم على جثته الصليب الأرثوذكسي لمجرد أنه مسلم. يقتل الرجال، تغتصب النساء، تنتهك أعراض الفتيات. هل سمعتم بمثل هذا في التاريخ في العصر الحديث ... عصر حقوق الإنسان؟

أسمعتم بالطفل يقتل أمام أمه وأبيه؟ أسمعتم بالأب يقتل أمام أبنائه؟ أسمعتم بالزوجة تغتصب أمام زوجها؟ أسمعتم بالأسرة تُباد عن آخرها فردًا فردًا ولا يبقى منها أحد؟

يحدث هذا على مرأى من العالم ومسمع، يالله! رخصت دماؤنا نحن المسلمين. أي يهودي تشوكه شوكة تقوم له الدنيا ولا تقعد، أي إنسان في بلاد واق الواق إذا أصابه شيء انهالت الاحتجاجات وحدث ما حدث. نحن المسلمين وحدنا أصحاب الدم الرخيص الذي لا قيمة له ولا وزن ولا سعر.

أين العالم المتحضر؟ أين النظام العالمي الجديد؟ أين قوات التحالف الدولية؟ أين القوة العالمية الأولى في العالم والوحيدة الآن؟ أين الذين خفوا باسم نجدة الكويت يومًا ما للوقوف ضد الظالم المعتدي؟ أكان هذا لنجدة

الكويت أم كان هذا ضد العراق كما يقول من يقول؟

ما يحدث الآن أشد مما يحدث في الكويت بمرات ومرات، فلماذا يترك القوي يفترس الضعيف؟ المسلمون هناك لا حول لهم ولا طول، والجيش الاتحادي في يوغسلافيا - الذي سلح بأموال المسلمين كما سلح بأموال غيرهم - يتدخل الآن لصالح الصربيين الحاقدين المتعصبين، الحزب الحاكم في صربيا يفعل أفاعيله، وليس عند المسلمين إلا الأسلحة الخفيفة، فأين من يساعد المسلمين؟

لقد سئلت المتحدثة بلسان وزارة الخارجية الأمريكية: لماذا لا تتدخل أمريكا؟ لماذا لا تقف في وجه ذلك العدوان؟ لقد تدخلت لمنع القوات الصربية والطائرات الصربية من ضرب الكروات، لماذا لا تتدخل كما تدخلت في أزمة العراق والكويت؟ قالت بصراحة: إن ما نشاهده في البوسنة والهرسك ليعصر القلب عصرًا، ولا يستطيع أحد مشاهدة هذه المأساة إلا تأثر، ولكن أمريكا ليس لها هناك مصالح استراتيجية، والشعب الأمريكي لم يطالب بالتدخل!!

المسألة إذن مسألة مصالح استراتيجية، ليست مسألة قيم أخلاقية، ولا حقوق إنسانية، كما كان يقال.

لماذا لا يتحرك العالم؟ وكيف يتحرك العالم والمسلمون أنفسهم لم يتحركوا! أين المسلمون؟ أين الدول الإسلامية؟ أين المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا يدعو إلى قمة عاجلة تبحث في هذا الأمر حتى يشعر الناس أن هناك رباطًا يربط بين المسلمين بعضهم وبعض، وأن هناك أخوة إسلامية، وأن هناك

وحدة في العقيدة ووحدة في القبلة ووحدة في الشعور، فـ «**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ...** »[59]؟

أين حكومات المسلمين المشغولة بملاحقة الأصوليين حيثما حلوا وحيثما ذهبوا؟ ألا يشغلون يومًا بمآسي المسلمين؟

إنهم مشغولون بالمتطرفين ودعاة العنف كما يقولون، ولا نلوم دعاة العنف، فقد أصبح موقفهم قويًا وموقفنا نحن دعاة الاعتدال ضعيفًا. الشباب الذي يدعو إلى العنف يقولون: ما يحدث في العالم كله ضد المسلمين وضد الإسلام لا يمكن أن يقاوم إلا بالعنف، دعونا نتخذ العنف طريقًا ما دام أهل الحل والعقد صامتين صمت القبور.

أين الحمية الإسلامية؟ لقد قال الشاعر العربي قديمًا:

متى تحمل القلب الذكي وأنفًا حميًا تجتنبك المراهم

فأين القلوب الذكية؟ وأين الأنوف الحمية؟ وأين السيوف العربية والإسلامية؟ لقد أصبحت سيوفنا من خشب كسيوف الخطباء على المنابر! لا ترهب أحدًا، ولا تشد أزر صديق، ولا ترد كيد عدو!

إننا - أيها الإخوة المسلمون - في حاجة إلى أن نحيا من جديد ... إلى أن نحيا حياة المسلم، الذي يشعر برباط الإسلام يشده إلى إخوانه حيثما كانوا.

---

(59) رواه الطبري من رواية عبد الله بن أبي جعفر الرازي وقد اختلفوا فيه، ضعفه البعض ووثقه آخرون. وتتمته: «**ومن لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين، فليس منهم**» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (514/2) برقم (997).

هؤلاء الإخوة في البوسنة كانوا معنا كلما نزلت بالمسلمين نازلة. في المسجد الأقصى، هم معنا على رغم ما كانوا فيه، فلا بد أن يتواصى المسلمون في كل مكان بنجدة إخوانهم بكل ما نستطيع بالمال ... بالسلاح لو استطعنا أن نوصل إليهم السلاح ... بالغذاء والدواء، إنهم هناك يموتون جوعًا، لا يجدون القوت الذي يمسك الرمق، هناك مجاعات، ولا تستطيع الإغاثة أن تصل إليهم، وقد قال واحد منهم: إننا نطالب العالم المتحضر أن يرسل إلينا إغاثات مع حراسة مسلحة وإلا نهبت في الطريق ومنعها الصربيون.

إنها الصليبية أيها الإخوة، الصليبية تهدد الآن ستة ملايين من المسلمين. وهي صليبية قديمة، منذ خمسين عامًا داخل هؤلاء الصليبيون إلى إحدى المدن العريقة في البوسنة في يوم عيد الأضحى، وقتلوا من أهلها ستين ألفًا. وبدأوا بإمامهم ومفتيهم، ذبحوه أمام المسجد، وقالوا: هذه أول ضحية من ضحايا العيد!

إنه الحقد الأسود، إنها ليست مسيحية، ما أبعد الصليبية عن المسيحية، المسيحية الحقيقية سماحة بيضاء، والصليبية حقد أسود.

إنهم يقولون: إن هذا آخر المسلسل بيننا بين العثمانيين والأتراك المسلمين. وهؤلاء المسلمون في البوسنة والهرسك ليسوا أتراكًا، إنهم من الجنس السلافي، وليسوا من الجنس التركي. ولكنهم يريدون أن ينتقموا من كل مسلم يقدرون عليه، يريدون أن ينتقموا من كل مسلم تستطيع أيديهم الوصول إليه، هو الحقد الصليبي الذي يكمن في صدور هؤلاء ضد الإسلام وضد المسلمين.

هل يهنأ لنا نوم إذا تركنا إخواننا هؤلاء وهم يحتاجون إلى الغذاء، وإلى الدواء، وإلى الكساء، وإلى الغطاء، وإلى كل شيء؟ أين الإسلام أيها الأخ المسلم وأيتها الأخت المسلم؟ أين الإسلام يا أخي وأنت تضحك ملء سنك، وتأكل ملء بطنك، وتنام ملء جفنك؟ وإخوانك هناك في البوسنة والهرسك وكوسوفو وغيرها من تلك المناطق ينامون وبطونهم خاوية، وأعينهم من الهم باكية، وجنوبهم عن المضاجع متجافية؟ وكيف ينام الجائع؟ كيف ينام الخائف؟ كيف ينام المهدد الذي ينتظر القتل في كل وقت ... ينتظر استباحة العرض واستباحة الدم من أولئك المتوحشين الذين لا يخافون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا.

عندما دخل القائد الإنكليزي «اللنبي» القدس سنة (1917م) واستولى عليها، قال في شماتة وانتفاخ: اليوم انتهت الحروب الصليبية! أي أنه ثأر للقرون التي مرت حينما استعاد صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين بعد أن كان أسيرًا في أيديهم لمدة تسعين عامًا.

والحق أيها الإخوة أن الحروب الصليبية لم تنته كما قال اللنبي، الحروب الصليبية مستمرة بصورة وأخرى، وفي مكان وآخر، وبأسلوب وآخر. الحروب مستمرة ضدنا نحن المسلمين، من الصليبية ومن اليهودية ومن الوثنية ومن الشيوعية، يختلفون فيما بينهم ويتحدون علينا فالكفر ملة واحدة **{وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ}** [الجاثية: 19].

من لنا إلا الله عز وجل؟ إلى الله نشكو، إلى الله نشكو تقاعس المسلمين عن نصرة إخوانهم.

يوم كان المسلمون مسلمين:

قديمًا حينما سمع عمر بن عبد العزيز أن مسلمًا في بلاد الروم قد استذل وأهين، فأرسل ملك الروم يقول له: أما بعد فقد بلغني أن عندكم أسيرًا مسلمًا فعلتم به كذا وكذا، فإذا بلغك كتابي هذا فخل سبيله، وإلا غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي!

هنالك خلي سبيل المسلم، وأطلق سراحه.

كانت وراءه دولة تستطيع أن تشد أزره، وتحمي ظهره، وعندنا الآن بضع وأربعون دولة، ولكنها لا تشد الأرز، ولا تحمي الظهر.

عندما سمع المعتصم أن امرأة في بلاد الروم ... في عمورية استغاثت، حينما ضربت أو أهينت، فقالت: وامعتصماه ... وامعتصماه، وبلغت هذه الاستغاثة مسامع الخليفة العباسي فقال: لبيك ... لبيك أختاه! وأمر بالتجهيز لمعركة قادمة والإعداد لفتح عمورية. وقال له بعض المنجمين: إن الوقت ليس مناسبًا، انتظر حتى ينضج التين والعنب! فلم يبال بقولهم، وذهب إلى عمورية، وكانت واقعة من وقائع الإسلام ... معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ. فتحت عمورية - التي مكانها الآن مدينة «بورصة» في تركيا - وقال في ذلك أبو تمام ساخرًا من المنجمين الذين قالوا ما قالوا، قال قصيدته الرائعة البائية الشهيرة:

السيف أصدق أنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود ... متونهن جلاء الشك والريب

وقال فيما قال من هذه القصيدة:

عشــرون ألفًــا[60] كآســاد الشــرى   جلـــودهم قبـــل نضـــيج التـــين

والآن لــيس لنـــا «معتصـــم» فنقــول: وامعتصـــماه ... واخليفتـــاه، لنـــا «معتصـمون» كثيـرون ولكـن لا يغنـون شـئيًا، ولا ينجـدون مسـتنجدًا، ولا يغيثون ملهوفًا.

بعد تهديم قلعة الخلافة:

ذهبت الخلافة الواحدة التي كانت تجمع شتات الأمة وتضمها في إطار واحد، وتجعل منها قوة مرهوبة، ولكن أعداء الإسلام حطموا هذه القلعة، فلم يبق لنا شيء نجتمع عليه. وليس عندنا سلطة دينية جامعة كالبابا عند النصارى، فلهذا طمع فينا الطامعون من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.

وامعتصماه، من لنا بمعتصم يغيث لهفة هؤلاء الإخوة، ويقول لهم: لبيكم لبيكم؟ من لنا أيها الإخوة؟

أصبحنا الآن كما كان المسلمون في آخر العهد الأندلسي طوائف شتى وطرائق قددا، تسقط المدينة تلو المدينة - بعد أن مزقتهم الاختلافات والتفرقات المختلفة - ولم تغن عنهم الألقاب الضخمة والأوصاف الفخمة التي عبر عنها شاعر ساخر فقال:

مما يزهدني في أرض أندلس   ألقاب معتصم فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخًا صورة

---

(60) الذين قتلهم المسلمون «القرضاوي».

(61) الذين كان يقول به المنجمون «القرضاوي».

أندلس أخرى:

ضاعت الأندلس، ولم نملك نحن المسلمين إلا أن نرثيها! رثيت المدن التي تسقط مدينة بعد مدينة، حتى سقطت «غرناطة»، سقطت آخر اللقلاع ورثاها ذلك الشاعر المبدع «أبو البقاء الرندي» برائعته النونية:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما شاهدتها دول من سره ساءته أزمان

وتحدث عما جرى للمسلمين، وعن ارتفاع الصلبان على المساجد، وعن كذا وعن كذا، كأنما يحكي عما يحدث الآن في البوسنة والهرسك، إلى أن ختم قصيدته بقوله:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلام وإيمان

فهل في القلوب إسلام وإيمان حتى تذوب كمدًا من أجل إخواننا هناك؟ إي والله، لا زال في القلوب إيمان، ولا زال فيها نبض الأخوة الإسلامية. فلا عجب أن تسيل العيون عبرات، وأن تتقطع القلوب زفرات، وأن تذهب الأنفس حسرات، على إخواننا الذين يعانون ما يعانون هناك في تلك الديار.

هاتوا من المليار مليونًا صحاحًا من صحاح:

يا أبناء الإسلام ... يا أبناء الإسلام! هبوا لنجدة إخوانكم، أغيثوا لهفة الملهوف، فرجوا كربة المكروب، ابذلوا من أنفسكم ... من أموالكم ... من قلوبكم ... من ألسنتكم بالدعاء على الأقل، أشعروهم أننا معهم.

يا أيها المسلمون في كل مكان:

يا أمة الإسلام هبوا واعملوا، فالوقت راح

يــا ألــف مليــون، وأيــ ـن هموا إذا دعت الجراح؟
هــاتوا مــن المليــار ملــ ـيونًا، صحاحًا من صحاح
مــن كــل ألــف واحــدا أغـزو بهـم فـي كـل سـاح
مـن كـل صـافي الـروي و شـك أن يطيـر بـلا جنـاح
ممــن يخــف إلــى صــلا ة الليــل بــادي الارتيــاح
ممــن زكــا بالصــالحا ت، وذكـره كالمسـك فـاح
بكــاء محــراب، ولكــ ـن في الوغى كبش النطاح
مــر علــى أعدائــه ولقومــه مــاء قــراح[62]

نحن في حاجة إلى أن نجد من كل ألف واحدًا، لا بل نصف واحد ... خمس واحد.

نحن والله في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا ولا نعيش هذه العيشة، نستذل من هؤلاء وهؤلاء ونسكت، لا، ينبغي أن يعرف العالم أننا بالمرصاد لكل من ينال منا، ولكل من يعتدي علينا، ولكل من ينتهك حرماتنا.

نحن المسلمين إذا تجمعنا كنا قوة ... قوة عسكرية، وقوة اقتصادية، وقوة سياسية. نستطيع أن نضغط بقوتنا، فلماذا لا يضغط أصدقاء أمريكا على أمريكا، وأصدقاء أوروبا على أوروبا؟ لماذا لا يضغطون؟ لماذا لا يتحركون حتى ننصف إخواننا من أنفسنا، وحتى نقوم بحقهم علينا، وحق الله تعالى قبل ذلك؟

---

(62) هذه الأبيات من قصيدة للشيخ القرضاوي بعنوان «يا أمتي وجب الكفاح»، نظمها في 1405/8/16هـ الموافق 1985/5/6م. وقد نشرها في ديوانه «نفحات ولفحات».

لقد ضاعت فرحة الانتصار الأفغاني، كنا نود أن نعيش مدة من الزمن نقيم فيها الأفراح بفتح «كابل» وانتصار الجهاد، ولكن يأتي علينا هؤلاء إلا أن يكدروا علينا صفونا، لا نكاد نقيم عرسًا إلا انقلب إلى مأتم.

عادت أغاني العرس رجع نواح! كما قال شوقي رحمه الله.

هكذا قدر علينا.

يا أيها الإخوة المسلمون:

لا بد من عمل، لا يكفي أن نحتج أو نستنكر، لا بد من عمل، لا بد من وقفة مع هؤلاء، وقفة مادية ووقفة أدبية، وقفة لله ... للإسلام ... للحق ... للإنسانية.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أن نقف مع الحق، وعلى أن نقاوم الباطل، وعلى أن نصارع الظلم، وعلى أن نواجه المتوحشين الذين يكيدون للإسلام، والله من ورائهم محيط **{إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا 15 وَأَكِيدُ كَيۡدٗا 16 فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا}** [الطارق: 15 - 17].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة: لا بد من تنظيم حملة لجمع التبرعات لإخواننا هؤلاء، وأعتقد أنه سيعمل شيء عام إن شاء الله في «قطر» لنجدة هؤلاء الإخوة، فلا ينبغي أن نضن عليهم أو نبخل.

إذا لم نستطيع أن نذهب إليهم بأنفسنا، إذا لم نستطيع أن نقاتل معهم - وهذا هو الواجب كما يقول الله تعالى: {**وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**} [النساء: 75] - نستطيع أن ندفع إليهم المال ليتسلحوا، نستطيع أن نبعث إليهم الإغاثات المادية والعينية بكل السبل.

هناك إخواننا في أوروبا: الأمانة العامة لاتحاد المنظمات الإسلامية، والأمانة العامة لمسلمي أوروبا الشرقية، وهم يقومون بجهد طيب جزاهم الله خيرًا. وقد بدأت هيئة الإغاثة الإسلامية في السعودية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي وبعض الجهات الأخرى في السعودية، وقامت بجهد طيب.

ونحن هنا - إن شاء الله - في قطر، لن نتخلف عن أي واجب إسلامي، فلا بد من أن نعمل ونسعى بكل ما نستطيع، كل على قدر ما يستطيع، ومن لم يستطع أن يبذل من نفسه فليبذل من ماله: {**ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**} [التوبة: 41]، الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس بل هو مقدم عليه في القرآن الكريم.

ثم علينا أن ندعوا لإخواننا في كل وقت، ندعو الله عز وجل أن ينصرهم على أولئك الصليبيين المتوحشين الحاقدين الكائدين، وسنقنت - إن شاء الله - بعد الركعة الثانية من صلاة الجمعة قنوت النوازل، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في النوازل، وهو قنوت مشروع بإجماع علماء الأمة.

اللهم انصر إخواننا المضطهدين، اللهم خذ بيد إخواننا المظلومين، اللهم خذ

بيد إخواننا في البوسنة والهرسك، وخذ بيد إخواننا في فلسطين ولبنان، وخذ بيد إخواننا المضطهدين في كل مكان. اللهم انصرهم نصرًا عزيزا، وافتح لهم فتحًا مبينا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم على عدوك وعدوهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالصليبيين الحاقدين، اللهم عليك بالشيوعيين الجاحدين، اللهم عليك بالوثنين المتعصبين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين. اللهم رد عنا كيدهم، وفل حدهم. اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم. اللهم أدر الدائرة عليهم، وسق الوبال إليهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

* * *

17- وا إسلاماه

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

استمرار الغارة على الإسلام:

لا زال المسلسل مستمرًا ... مسلسل الإبادة للمسلمين. الأمة الإسلامية في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، تتعرض لحرب - بل لحروب - إبادة من كل الفئات الكافرة، على اختلاف أسمائها، واختلاف أديانها، واختلاف ألوانها.

تتعرض أمة الإسلام لحروب إبادة على كل المستويات ومن كل الجهات: إبادة مادية، وإبادة معنوية. إبادة على مستوى الدين والعقيدة، وإبادة على مستوى الفكر والثقافة، وإبادة على مستوى المادة والجسد، كل الفئات المشركة والكافرة تجمعت على أمة الإسلام.

حرب الإبادة الدينية:

هناك إبادة دينية، يريدون أن يخلعوا هذه الأمة عن دينها، أن يسلخوها من جلدها، أن يلغوا هويتها وشخصيتها، أن لا يبقى على الأرض من يقول «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

هذا ما نراه بأعيننا، وهذا ما نلمسه بأيدينا، وهذا ما نسمعه بآذاننا، وهذا ما نقرأه في كل مكان.

هناك حملات التنصير التي تريد اقتلاع الأمة من جذورها، حملات

التنصير المؤيدة بالمال والعلم والدهاء والتخطيط، ومؤيدة من ناحية أخرى بغفلة المسلمين، وتفرق المسلمين.

منذ سنوات عقد في مدينة «كلورادوا» بالولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر للمنصرين، أو لجماعة منهم، من الأمريكان البروتستانت، مائة خمسون عُتُلًا من عتلاتهم قدموا أربعين دراسة. لماذا اجتمعوا؟ أعلنوا هدفهم وقالوا: الهدف هو تنصير المسلمين في العالم! وأنشأوا لذلك معهدًا سموه معهد «زويمر»، باسم أحد العتاة من المبشرين في أوائل هذا القرن، كان مقره في البحرين، وهو الذي رأس المؤتمر التبشيري في القاهرة سنة (1906م). أحيوا ذكراه بإنشاء معهد متخصص في تخريج منصرين للمسلمين خاصة، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار!.

وتنادينا في ذلك الوقت، ونادينا المسلمين ودعوناهم في كل مكان أن يهبوا من نومتهم، ويصحوا من سكرتهم، ليدافعوا عن كيانهم ... عن وجودهم ... ويجمعوا ألف مليون دولار، لا لنشر الإسلام في العالم - كما ينبغي - ولكن للحفاظ على الوجود الإسلامي، وأقمنا من أجل ذلك «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» في الكويت، فماذا جمعنا؟ جمعنا بضعة عشر مليونًا في عدة سنوات، وهؤلاء جمعوا الألف مليون في جلسة من الجلسات.

وتبين لي فيما بعد أن هذا نشاط إحدى المجموعات، وهناك مجموعات أخرى من بلاد شتى ومن مذاهب أخر - كاثوليكية وغيرها - جمعت آلاف الملايين من أجل التنصير، ونحن لم نجمع إلا بضعة عشر مليونًا.

بذلك الأموال بعشرات المليارات في فترة من الفترات للدفاع عن كياننا

المـادي أو الكيانـات الرسـمية، وبخلنـا بـألف مليـون ... بنصـفه ... بربعـه ... بخمسه ... بعشره ... للدفاع عن عقيدة الأمة!

أين نحن المسلمين؟ أين نحن مما يكاد لنا؟

ربع مليون[63] من دعاة التنصير منتشرون في العالم، فأين دعاتنا نحن المسلمين؟ عشرات ... مئات ... آلاف؟ لا يبلغون شيئًا أمام ما يصنعه هؤلاء، وهم ينشرون ما بين الحين والحين أن التنصير أو التبشير لم يبلغ هدفه ... لم يحقق نجاحًا، ونحن نصدق هذا، والواقع أنهم ينجحون ... ينجحون بالفعل.

في المنطقة العربية هذه حددوا لهم هدفًا من قديم: إنهم لا يحاولون أن يخرجوا المسلم من الإسلام ليدخلوه في النصرانية، ولكن بحسبهم أن يشككوه في الإسلام ... أن يزعزعوا عقيدته ... أن يشوهوا فكره ... أن ينظر إلى الإسلام باعتباره شيئًا رجعيًا قديمًا لا يليق بهذا العصر.

اكتفوا بهذا في المنطقة العربية، أما خارج هذه المنطقة فإنهم ينصرون بالفعل، يتحول محمد وأحمد وعبد الله وعبد الرحمن إلى جورج وإلى جون وإلى كذا وإلى كذا. هذا ما رأيناه في إندونيسيا وما رأيناه في نيجيريا وما رأيناه في بلاد شتى.

لماذا ينشرون إذن أنهم فشلوا في تنصير المسلمين؟ ليستدروا العطف، لتتدفق عليهم المليارات وراء المليارات. هذا من ناحية، من ناحية أخرى

---

(63) هكذا كنت أعتقد في فترة من الفترات، نتيجة إحصاء قديم جدًا عندي ثم أخبرني الأخ أبو بدر «عبد الله المطوع» في الكويت: أن المبشرين في العالم يقدرون بـ (4750000) حسب إحصائياتهم المنشورة.

لينوموا الفريسة ... ليخدروها ... لنقول: الإسلام بخير. والإسلام تنتقص أطرافه هنا وهناك.

حرب تغيير هوية المسلمين:

هناك حرب دينية عقدية لتغيير هوية المسلمين، حرب على مستوى العقيدة، وحرب على مستوى الفكر والثقافة، غزو فكري استعماري ثقافي تقوم خلفه مؤسسات ممولة مخططة موجهة، تريد أن تمسخ العقول المسلمة، فتجد مسلمًا من أبوين مسلمين ... مسلمًا من أسرة مسلمة ... مسلمًا نشأ في أرض إسلامية، ومع هذا ينظر إلى الإسلام أنه شيء كان في قديم الزمان، لا يرضى بمحمد صلى الله عليه وسلم ولكن يرضى بكارل ماركس، لا يتجه إلى الكعبة ولكن يتجه إلى واشنطن أو باريس أو لندن أو بكين أو غيرها، يتخذ غير القرآن دستورًا، ويتخذ غير محمد صلى الله عليه وسلم أسوة وإمامًا. حرب فكرية أيديولوجية ثقافية نرى آثارها في كل مكان، جعلت من أبناء المسلمين من ليسوا مسلمين إلا بالأسماء.

أين ذلك المسلم الذي رضى بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولًا؟ أين هذا من ذلك الذي يسخر من شعائر الإسلام، ويستهزئ بشرائع الإسلام، وبحدود الله عز وجل، وينظر إلى أولئك الذين يدعون إلى الإسلام أنهم رجعيون أو متطرفون أو ... أو ... إلى آخر ما يقولون؟

إنها حرب فكرية.

حروب عسكرية:

وأكثر من ذلك، هناك حرب مادية عسكرية تقاتل المسلمين في كل مكان، تريد تصفيتهم ... إبادة خضرائهم ... أن لا تبقى لهم من باقية. حروب تشتعل نيرانها في أكثر من مكان في أرض الله، ضحاياها المسلمون.

مآسي الأمة الإسلامية ينقطع لها نياط الفؤاد، وتتفتت لها الأكباد. نسمع نشرات الأخبار في الإذاعة أو نراها في التلفاز أو نقرأها في الصحف، فلا نجد إلا مآسي المسلمين ... مآسي أمة محمد صلى الله عليه وسلم. أصبحنا نهبًا للطامعين والحاقدين من هنا ومن هناك.

هناك حرب يهودية صهيونية، ولا فرق عندي بين اليهودية والصهيونية، حرب يهودية نارها في فلسطين ... في لبنان ... في عالمنا العربي، ونراها في كل مكان، في كل فتنة تجد أصابع اليهود. كل فتنة تقع في بلاد المسلمين تجد أصابع اليهود الخفية وراءها.

اليهود الذين عاشوا في أكنافنا وتحت أجنحتنا وفي حمانا قرونًا، بعد أن طردهم العالم ولفظهم لفظ النواة من كل مكان، انقلبوا علينا، وقلبوا لنا ظهر المجن، وأصبحوا يحاربوننا، نحن الذين حميناهم وحفظنا حقوقهم، ويركلوننا بأقدامهم، ويصفعوننا بأيديهم، في كل مكان.

من أجل يهودي يقتل - أو يهودية تقتل - تقوم الدنيا ولا تقعد، وتثور المظاهرات، ويقف الإسرائيليون والإسرائيليات، رجالًا ونساءً، لينتقموا من العرب، ليدمروا البيوت، ليحرقوا المنازل، ويحرقوا المزارع، ويقتلعوا الأشجار المثمرة. وتفعل هذه الطوائف فعلها، ومعهم الوحدات السرية التي

تتزيا بزي العرب لتقتل وتبطش، ووراءهم القوات الإسرائيلية التي تتحدى ولا تبال، وتهدد وتتوعد، وتبرق وترعد.

فأين نحن؟ أين نحن المسلمين؟ وأين نحن العرب؟ لا نقابل هذا إلا بالكلام ... إلا بالاحتجاج، إن كان هناك احتجاج.

عدوان عالمي على الإسلام:

اليهودية تحاربنا ولا عجب، فهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

والوثنية تحاربنا، الوثنية تحاربنا في الهند ... تحاربنا في كشمير ... تحاربنا في تايلند ... تحاربنا في بورما ... تحاربنا في بلاد كثيرة. الوثنية - الذين يعبدون الأوثان أو يعبدون الأشخاص أو يعبدون البقر أو يعبدون ما شاؤوا من آلهة - تحاربنا كما تحاربنا اليهودية، وبينهما حلف دنس، كما بين ذلك بعض الكاتبين بالوثائق، وصدق الله العظيم: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ}** [المائدة: 82].

اليهودية تحاربنا، والوثنية تحاربنا.

والشيوعية تحاربنا، حاربتنا في أفغانستان، حاربتنا حينما كانت تحكم إثيوبيا، حاربتنا حينما كانت تحكم بورما، حاربتنا حين كانت تحكم ألبانيا، وحين كانت تحكم الصين الجنوبية ... حاربتنا في أماكن شتى. ولا عجب أن يحاربنا أولئك الذين ينكرون وجود الله عز وجل، ويقول دستورهم: «لا إله والحياة مادة»! التناقض على أشده بين من يقول: «لا إله» ومن يقول: «لا إله إلا الله».

الشيوعية تحاربنا.

والصليبية تحاربنا، تحاربنا في أماكن شتى، الصليبية تحاربنا في الفلبين، والصليبية تحاربنا في إثيوبيا، والصليبية تحاربنا في إريتريا، والصليبية تحاربنا في جنوب السودان، والصليبية تحاربنا في أوربا، وآخر حرب للصليبية هي حرب إخوتنا المتضعفين في البوسنة والهرسك، حرب هؤلاء الذين لا حول لهم ولا طول، الذين يعيشون في أوربا أم الحريات وبلاد الحقوق!!

أين حقوق الإنسان؟ أين الحريات؟ أين القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين القادم؟ أين أولئك الذين يغارون على حرمات الإنسان؟ أين هيئة الأمم؟ أين مجلس الأمن؟ أين الذين نسمع أصواتهم في كل مكان إلا حينما يكون الضحية من المسلمين؟! حينما تكون الضحية من المسلمين يكون الصوت خافتًا! أو يخرس تمامًا!

أين أمين الأمم المتحدة؟ كنا نظنه أنه سينهض ويخف لنجدة هؤلاء حتى لا يتهمه من يتهمه بأنه أرثوذكسي نصراني يتعصب لمن هو على دينه ومذهبه، كنا نظن هذا الذي ينتمي إلى الشرق وإلى بلاد العرب: أن يكون عنده الموضوعية والحياد والنخوة، ويتعامل من منطق عادل، ويبعث ببعض القوات إلى هؤلاء المستضعفين، ولكنه بالعكس يحذر مجلس الأمن من إرسال قوات إلى تلك المناطق!! يا عجبًا.

نحن المسلمين أصبحنا المستهدفين لكل من يضرب ولكل من يطعن ولكل من يرمي، ما السر في هذا كله؟

ما السر أن نرى إخواننا يجري عليهم ما يجري مما يبكي العيون دمعًا بل

دمًا؟ كل من رأى تلك المشاهد الدامية: برك الدماء ... الجثث المشوهة ... الرقاب المقطوعة ... الرؤوس المرمي بها ... إمام المسجد الذي يقتل ثم يرمى برأسه في المسجد للمصلين. لم يحدث مثل هذا في أي طائفة من الطوائف، ولا في أي مكان من الأمكنة، ولكن لأن الدم الإسلامي رخص، رخصت دماؤنا وهانت أنفسنا، هُنا نحن على أنفسنا فهنا بعد ذلك على الناس.

الأمة التي تتكون من أكثر من مليار من البشر، أين هي؟ أين مؤسساتها؟ أين حكوماتها؟ أين الجامعة العربية؟ أين منظمة المؤتمر الإسلامي؟ أين المسلمون؟ أين العلماء؟ أين المنظمات؟ ألا تستطيع الأمة أن تفعل شيئًا؟

الحج مؤتمر إسلامي:

نحن الآن في موسم الحج، والحج له هدفان: هدف شخصي، وهدف جماعي. الهدف الفردي أن كل مسلم يتطهر ويغتسل من ذنوبه برحلة الحج ... هذه الرحلة الخيرة ... الهجرة إلى الله عز وجل، يعود منها مولودًاجديدًا، يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه، يبني حياته من جديد على أساس توبة نصوح، بعد أن وقف هناك في عرفات وطاف ببيت الله، وهبت عليه الذكريات الإبراهيمية من بعيد، والذكريات المحمدية من قريب. هذا الجانب الفردي.

ولكن هناك جانب اجتماعي وسياسي للأمة، يدخل في قوله تعالى: **{لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ}** [الحج: 28] جعل الله من حكمة الحج أن يشهد المسلمون منافع لهم، ويذكروا اسم الله. والعجيب أن الله تعالى قدم شهود المنافع على ذكر اسم الله، حتى يتنبه لذلك المسلمون. وليس

المراد بالمنافع: المنفعة الشخصية فقط ... أن يتاجر بعض الناس، لكن منفعة الأمة قبل ذلك. هذا المؤتمر الرباني الذي لم يدع إليه ملك أو رئيس أو حاكم، وإنما دعا إليه رب العالمين في أطهر بقعة، وحول بيت الله، وفي أرض حرام وفي بلد حرام وفي شهر حرام.

الله هو الذي دعا إلى هذا المؤتمر، لماذا؟ أليجتمع المسلمون ويلبوا ويكبروا ثم يعودوا إلى بلادهم، دون أن يجلس بعضهم إلى بعض ليتشاوروا ويتدارسوا ويأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر؟

لماذا لا يتخذ المسلمون من شعيرة الحج أداة لبحث أمورهم ومشكلاتهم الكبرى على الأقل؟

إن إخواننا في البوسنة والهرسك يحتاجون الآن إلى اللقمة تمسك رمقهم ... إلى الثوب يستر عورتهم ... إلى أي شيء. لو أن كل حاج من الذين يحجون - حوالي مليونين - دفع ضمن ما يدفع مائة ريال، لاجتمع لنا مائتا مليون ريال بأسهل السهولة. بدل أن يشتري ما يشتري من الهدايا، يستغني عن بعض الهدايا، يوفر في بعض النفقات، يدخر في مأكله ومشره، لا داعي للترفه، لو فعل ذلك نستطيع أن نفعل الكثير.

لماذا لا يتنادى المسلمون ليقوموا بشيء من أجل إخوانهم؟

يتجرأ الناس علينا لأن الأمة الإسلامية أصبحت تُضرب في أم رأسها وفي الصميم من قلبها، ولا يتحرك لها أحد.

قلت في الجمعة الماضية: ليس لنا معتصم نقول له: وا معتصماه، بل نقول ما قال الشاعر يندد بأولئك الذين ولاهم الله أمر المسلمين:

رب، وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

لا تقول: وامعتصماه، بل نقل ما قال ذلك القائد المملوكي في تلك المعركة الحاسمة مع التتار ... معركة عين جالوت، نقول ما قال سيف الدين قطز: وا إسلاماه ... وا إسلاماه، الإسلام الذي يطعن في كل مكان ولا يجد الأمة التي تقف من ورائه، وتحمي ظهره، وتشد أزره.

الأمة ومرحلة الغثائية:

لسنا قليلًا بل نحن كثير، ولكن الأمر ليس بالكم، ولكنه بالكيف، هذا ما عرفناه إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبهنا عليه في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» تتداعى عليكم الأمم من كل أفق، من شرف وغرب، ومن شمال وجنوب، رغم اختلاف عقائدها، واختلاف اتجاهاتها، واختلاف أجناسها، واختلاف ألوانها، واختلاف ألسنتها، تتداعى عليكم الأمم: يدعو بعضها بعضا، إما بلسان المقال، أو بلسان الحال، قد لا يقولون ذلك علانية، ولكن تشابهت قلوبهم {**أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ**} [الذاريات: 53] جمعتهم العداوة للمسلمين». قال قائل: يا رسول الله، ومن قلة يومئذ؟ ما الذي يطمع هذه الأمم فينا، الآن ونحن قلة في الأرض بالنسبة لأمم الكفر قد نصرنا الله عليهم وأعز جنده ونصر حزبه وأنجز وعده وهزم أحزاب الكفر وحده، هل ستقل الأمة بعد ذلك قلة بحيث يطمع عدوها فيها؟ قال: «**لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**» النبي عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى، إن الله أعلمه بما هو

كائن، فترجم عن ضمير الغيب ونطق بلسان القدر، كأنه يرى واقعنا أمام عينيه مجسمًا مجسدًا: **«لا بل أنتم كثير»** هل هناك أكثر من الألف مليون أو ألف ومائتي مليون كما تقول الإحصائيات عن المسلمين؟ **«ولكنكم غثاء كغثاء السيل»** غثاء السيل: ما يحمله السيل - حينما يتدفق بغير هدف - من العيدان والأغصان والأوراق والحطب والأشياء المختلفة، هذا هو الغثاء. تجمع هذا الغثاء صفات معينة: الخفة والسطحية وعدم التجانس بين أنواع الغثاء وأشيائه بعضها مع بعض، وعدم الهدف، لأن السيل لا هدف له، النهر له هدف ومجرى مرسوم، أما السيل فيذهب هنا وهناك. فالأمة في مرحلة الغثاء تفقد التجانس بين أبنائها بعضهم وبعض ... بين أقطارها ... بين حكامها ... بين مفكريها ... بين مربيها، مع السطحية والخفة وفقدان الهدف، لأن الهدف هو الإسلام، فإذا ابتعدت عن الإسلام تعددت أهدافها ولم تجتمع على هدف واحد.

«ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» كان المسلمون يُنصرون بالرعب وبينهم وبين الأعداء مسيرة شهر، بطولات المسلمين وانتصاراتهم تسبقهم في كل مكان فتملأ قلوب الأعداء رعبًا، فيستسلمون للمسلمين دون قتال قط أو دون قتال يذكر، ولكن في عصرنا هذا الذي نبأ عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزع الله مهابة المسلمين من صدور عدوهم فلا يبالون بهم، ألف مليون! ولكن ما قيمة ألف مليون كما قال الشاعر:

يزحمون الأرض من كثرتهم   ثم لا يغنون في أمر جلل؟!

ما قيمة ألف مليون وهم كما قال الشاعر الآخر:

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم الله يعلم أني لم أقل فندا!

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا!

العبرة ليست بالكم ... ليست بالأعداد، من في هذه الأعداد مستعد أن يبذل ماله، ويبذل نفسه، ويبذل وقته من أجل الإسلام؟ رأينا مئات الآلاف من دعاة التنصير - رجالًا ونساءً - يدعون بلادهم وأوطانهم وبيوتهم ومنازلهم المكيفة ليذهبوا إلى الغابات والأدغال والبلاد البدائية، يعيشون أدنى عيشة من أجل نصرة المسيحية - كما يقولون - فماذا بذلنا نحن؟

قال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(64)، سأل الصحابة عن الوهن، لا يسألون عن معناه اللغوي، معناه اللغوي يعرفونه: الوهن هو الضعف، ولكنهم يسألون عن سره ... عن علته، ما سبب هذا الضعف؟ فأشار النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن سببه نفسي، ليس ماديًا ولكنه كامن في داخل النفوس، ضعف الأمة من داخلها، إنه: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»، كل إنسان يقول: دنياي ومصلحتي ... نفسي نفسي،، أصبحت الدنيا صنمًا يتعبد له الناس، أصبحت المصالح المادية هي التي يطوف الناس من حولها ويلهثون خلفها، «**حب الدنيا وكراهية الموت**» ليس هناك من يريد أن يبذل نفسه ... أن يضحي بروحه من أجل عقيدته، كان خالد بن الوليد يقول لقواد الفرس والروم - يدعوهم إلى الإسلام وإلى كذا وإلى كذا، ثم يختم رسالته بقوله - : «وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»! أحبوا الموت في سبيل الله وحرصوا عليه فوهبت لهم الحياة.

---

(64) أخرجه أبو داود وأحمد عن ثوبان رضي الله عنه «شرح السنة» للبغوي بتحقيق الأرناؤوط (16/15) الحديث (4224).

أما نحن فحب الدنيا وكراهية الموت هو الذي أضعفنا.

لا بد من عودتنا للإسلام:

أيها الإخوة المسلمون:

إن المسلمين في محنة في كل مكان، الحرب حرب إبادة وتصفية للأمة الإسلامية، لا تستهينوا بما يكاد لنا، من كان يظن أن مجموعة من اليهود مشردين في العالم من شذاذ الآفاق يستطيعون أن يقموا دولة في قلب بلاد العروبة والإسلام، وأن يكون لهذه الدولة من القوة ما تغلب به جيوشًا عربية متعددة، وأن تتحدى العالم؟ من كان يظن ذلك؟ ما كان أحد يظن ذلك.

ولكن لا يقوم الباطل إلا في غفلة الحق، ما دام المسلمون غافلين، وما دام المسلمون متفرقين، وما داموا مشغولين بعضهم ببعض. هكذا أراد أعداؤنا أن يمزقونا إربًا إربًا ... أن يفرقونا تفرقات شتى: تفرقات عنصرية، وتفرقات إقليمية، وتفرقات طبقية، وتفرقات مذهبية، وتفرقات سياسية، وتفرقات من كل ناحية حتى لا يلتئم شمل الأمة بعضها مع بعض.

إننا يجب أن نقف لهذه الفتن بالمرصاد، وأن نوعي أمتنا بما يكاد لها من مكر الماكرين، وكيد الكائدين، والله من ورائهم محيط.

سنظل نصرخ، سنظل ننادي بالعودة إلى الإسلام، ولا نجاة لنا إلا بالإسلام، نقول ما قال بن الخطاب من قديم: إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما نلتمس العز بغيره أذلنا الله.

سنقولها ولو اتهمنا بالرجعية كما كنا نتهم من قبل، أو بالتطرف كما اتهمنا في فترة من الفترات، أو بالأصولية كما يقولون الآن. ما الرجعية؟ وما

التطرف؟ وما الأصولية؟ إن كان كل من يدعو إلى الإسلام ... إلى القرآن ... إلى السنة ... إلى تحكيم الشريعة ... إلى توحيد الأمة في وجه عدوها ... إلى الوقوف في وجه المؤامرات ... إلى استعادة الشخصية الإسلامية، إن كان من يدعو إلى ذلك رجعيًا أو متطرفًا أو أصوليًا، فاللهم أحيني أصوليًا وأمتني أصوليًا واحشرني في زمرة الأصوليين. اللهم أحيني رجعيًا وأمتني رجعيًا واحشرني في زمرة الرجعيين!

إن كان هذا هو الرجعية، فلا تهمنا الأسماء والعناوين والاتهامات، إنما يهمنا الحقائق.

نحن نريد العودة إلى الإسلام الصافي ... الإسلام النقي ... الإسلام الأول ... إسلام القرآن والسنة ... إسلام الصحابة والتابعين، بعيدًا عن تزمت المتزمتين، وتحلل المتحللين، وتطرف المتطرفين وتسيب المتسيبين.

الإسلام الوسط للأمة الوسط، هذا ما ندعو إليه، ونعض عليه بال بالنواجذ، ونستمسك بعروته الوثقى لا انفصام لها، نعيش على ذلك، ونعاهد الله أن نموت عليه **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ}** [آل عمران: 102، 103].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أيها الإخوة المسلمون:

إخوانكم في البوسنة والهرسك يتعرضون لإبادة ولمذابح، وفي حاجة إلى

المعونة على كل مستوياتها، فلا بد أن نبذل ولا نبخل عليهم، كل يستطيع أن يبذل ما يقدر عليه، والقليل على القليل كثير **{وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗا}** [المزمل: 20]، **{وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ}** [سبأ: 39].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يؤيد إخواننا بروح من عنده، وأن يمدهم بملأ من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكلأهم في كنفه الذي لا يضام، وأن ينتقم من أولئك المجرمين المتوحشين الذين يسومونهم سوء العذاب.

اللهم أنزل على أولئك الصربيين الحاقدين بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم وخذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، الله رد عن إخواننا كيدهم، وفل حدهم، وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم. ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.

الله انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في لبنان، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في بورما، وانصر إخواننا في جنوب السودان، وانصر إخواننا في كل مكان. اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

اللهم آمين.

عباد الله: يقول الله تعالى: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ**

ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا} [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ} [العنكبوت:45].

إن شاء الله سندعو بعد الركعة الثانية بدعاء القنوت ... قنوت النوازل.

* * *

18- المسلمون في أمريكا الجنوبية

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

في الإجازة الماضية كنت في زيارة للمسلمين في قارة أمريكا الجنوبية ... أمريكا اللاتينية، وفي دولة البرازيل خاصة، حيث كان هناك مؤتمر للجمعيات الإسلامية في تلك القارة، حضره ممثلون من أربع عشرة دولة.

ولا بأس أن أحدثكم عن بعض ما رأيت وما لمست وما سمعت، فالمسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، و«**من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» (65).

المسلمون في تلك القارة مهاجرون. معظمهم مهاجرون من بلاد الشام، وخاصة من لبنان وسوريا. بعضهم هاجر من القرن الماضي، وبعضهم هاجر من أوائل هذا القرن، وبعضهم هاجر منذ عشرات السنين.

مسوغات الهجرة في الإسلام:

والإسلام لا يمنع المسلم أن يهاجر ما دامت هجرته مشروعة. شرع الإسلام الهجرة لطلب العلم، وقد جاء في الحيدث: «**من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة**

---

(65) رواه الطبراني من رواية عبد الله بن أبي جعفر الرازي وهو مختلف فيه. وتتمته: «**من لم يصبح ويمس ناصحًا لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم**» «المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب» للقرضاوي (514/2) برقم (997).

واحدة»(66). قد ارتحل المسلمون في الزمن الأول لطلب العلم، وضربوا أروع الأمثلة في الارتحال وقطع الفيافي والقفار، من أجل طلب العلم من أهله، وقد شاع بين الناس حديث يقول: «**اطلبوا العلم ولو بالصين»**(67) وليس هذا مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه قول مأثور عن المسلمين الأوائل، أي مهما كلفك طلب العلم فلا تبخل ولا تضن بالجهد ولا بالمال، اطلب العلم في أي مكان وجدته، والتمس الحكمة من أي وعاء خرجت «**والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها»**(68).

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الرزق: {**فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ**

---

(66) قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (9/1) أخرجه الدارمي وابن السني في «رياضة المتعلمين من حديث الحسن»، فقيل: هو ابن علي، وقيل هو ابن يسار البصري مرسلًا.

(67) قال المناوي: أي ولو كان إنما يمكن تحصيله بالرحلة إلى مكان بعيد جدًا كمدينة الصين فإن من لم يصبر على مشقة التعلم بقي عمره في عماية الجهال ومن صبر على عليها آل عمره إلى عز الدنيا والآخرة.

والحديث رواه البيهقي وبان عثدي والعقيلي والخطيب وأب يعلى وابن عبد البر والديلمي وغيرهم عن أنس بن مالك، قال البيهقي: متنه مشهور واسانيده ضعيفة، بل قال ابن حبان: باطل لا اصل له، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»، ونوزع بقول الحافظ المزي له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن، ويقول الذهبي في «تلخيص الواهيات» روى من عدة طرق واهية وبعضها صالح. انظر: «فيض القدير» للمناوي (542/1) برقم (1110) و «كشف الخفاء» للعجلوني (138/1) برقم (397) و «الإحياء مع تخريج العراقي» (9/1).

(68) ولفظه في «الجامع الصغير»: «**الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»**. رواه الترمذي في «العلم» وابن ماجه في «الزهد»، عن أبي هريرة، ورواه ابن عساكر والقضاعي، عن علي. قال الترمذي: غريب. ورمز السيوطي لحسنه. وقال العامري: غريب. انظر «فيض القدير» للمناوي (65/5) برقم (6462).

وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك: 15]، **{وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ}** [المزمل: 20].

لا حرج على المسلم أن يضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها مشرقًا ومغربًا، يطلب الرزق الحلال إذا ضاق رزقه في بلده، فأرض الله واسعة، يقول الشاعر:

بلاد الله واسعة فضاها ورزق الله في الدنيا فسيح
فقل للقاعدين على هوان إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الأمن ... للفرار بالنفس من الفتن الذي تصيب الإنسان في دينه أو في دنياه، فلا يجوز للمسلم أن يبقى في مكان يهان فيه ويظلم ولا يستطيع أن يرد الظلم عن نفسه، ولا يجد من يدافع عنه. ولا يجوز للمسلم أن يبقى في مكان لا يستطيع أن يقيم فيه شعائر دينه، ينبغي عليه أن يهاجر.

الهجرة التي أعلن النبي صلى الله عليه وسلم أنها انقطعت بعد الفتح هي الهجرة إلى مكة: «**لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فأنفروا**»(69) أي لا هجرة إلى المدينة بعد أن فتحت مكة، وأمن الناس، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وجاء نصر الله والفتح. هنا لم تعد الهجرة إلى المدينة فرضًا واجبًا.

---

(69) رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، عن مجاشع بن مسعود، وانظر: «فيض القدير» للمناوي (438/6) برقم (9927).

الهجرة فرارًا بالدين:

ولكن الهجرة من أماكن الظلم والكفر والبدعة والفسوق، هذه هجرة مفتوحة الأبواب إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: **{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا 97 إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا 98 فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا}** [النساء: 98، 99].

فلا يجوز للمسلم أن يظل في مكان يظلم فيه نفسه، لا يستطيع فيه أن يقيم دينه، لا يستطيع فيه أن يحتفظ بحرية نفسه في العبادة، لا يستطيع أن يدفع عن حياته وعن أهله وعرضه ودينه. أرض الله واسعة: **{يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ}** [العنكبوت: 56] عليه أن يتنقل.

والنبي صلى الله عليه وسلم رغم حبه لمكّة البلد الحرام، بلد البيت الحرام، اضطر أن يهاجر منها ليجد مكانًا أخصب لدعوته ورسالته، ولهذا حينما خرج مهاجرًا التفت إلى مكة وقال لها: «**أما إنك أحب بلاد الله إلى الله وأحب بلاد الله إلي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**».

الإنسان يضطر إلى أن يغادر وطنه ومسقط رأسه، إذا كان لا يجد في وطنه الأصلي ما يقيم له الحياة الطيبة الكريمة. يقول الشاعر:

وإذا البلاد تغيرت أحوالها   فدع البلاد وأسرع التحويلات
ليس المقام عليك فرضًا واجبًا   في موطن يدع العزيز ذليلًا

لكن هذا حينما تضيق بالإنسان الأحوال، ولا يجد مناصًا من الهجرة.

المفروض في المسلم أن يقاوم الباطل، وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهي عن المنكر، وأن يحاول ما استطاع أن يغير السوء، وأن يتعاون في ذلك مع إخوانه، وأن يضع يده في أيديهم، فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته. ولكن حينما لا يجد على الخير أعوانًا، ولا يجد يدًا له على تغيير الشر، ويخاف على نفسه وأهله، هنا تشرع له الهجرة.

المهم أن الإسلام شرع الهجرة.

انتشار الإسلام عن طريق هجرات المسلمين:

ومن أجل ذلك وجدنا من المسلمين من هاجر إلى بلاد شتى، ولا حرج على ذلك، إذا استطاع المسلم أن يحتفظ بعقيدته وبإسلامه، أن يحتفظ بالإسلام حيًا دافقًا، يوجه سلوكه ويسود حياته، ويسيطر على فكره وشعوره، هذا هو الواجب في المسلم. فالمسلم حيثما ذهب لا يتخلى عن دينه: «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله». الإسلام ليس في المشرق فقط، الإسلام في المشرق والمغرب، الإسلام حيثما كان المسلم، هو الذي يقيم الإسلام بإقامته في المكان.

وقد عرفنا مسلمين هاجروا في الأزمنة الأولى، فلم يحتفظوا بإسلامهم فقط، بل نشروا نور الإسلام حيثما حلوا، وهدى الله بهم أممًا وشعوبًا، فدخلوا في الإسلام أفواجًا أفواجًا. ولم يكن هؤلاء علماء ولا دعاة، بل كانوا تجارًا ومحترفين وأناسًا عاديين!

مساهمة أخلاق المسلمين في نشر الإسلام:

ذهب إخوتنا من أهل الجنوب من حضرموت من اليمن، إلى ذلك المشرق

الأقصى ... إلى تلك البلاد النائية في إندونيسيا وما حولها، فأقاموا الإسلام هناك، وعرف الناس منهم هذا الدين الجديد، فدخل الناس في دين الله على أيديهم. تعلم الناس الإسلام، وصار للمسلمين هناك مئات الملايين، دون أن يدخل هناك جيش. لم تذهب هناك الجيوش الإسلامية، ولم يذهب هناك دعاة محترفون، إنما ذهب هؤلاء المسلمون تجارًا ولكنهم مسلمون. ينظر الناس إليهم فيجدون أخلاقًا جديدة، ويجدون سلوكًا جديدًا، يجدون أناسًا ربانيين إذا جاء وقت الصلاة وقفوا لله خاشعين راكعين ساجدين، لا يكذبون في قول، ولا يخونون في معاملة، ولا يقدمون على باطل، ولا يجترئون على شر. يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم، يعينون الضعف ويغيثون الملهوف. سألوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. قالوا: وما الإسلام؟ قالوا: الإسلام كذا وكذا وكذا، فدخل الناس في هذا الدين، أحبوا الدين بحب هؤلاء الناس.

الإسلام إنما ينتشر من خلال أبنائه، لا ينتشر الإسلام بمجرد الخطب، ولا بمجرد الكلام، ولا بمجرد رسائل تنشر، وإن كان لا بد من هذا. ولكن قبل كل شيء ينتشر الإسلام من خلال أشخاص يمثلون قدوات للناس، يجسمون الإسلام في حياتهم وسلوكهم.

هذا هو العنصر الأول المؤثر.

المسلم يهاجر فيحتفظ بإسلامه، بل أكثر من ذلك ينشر إسلامه في المحيط الذي يحل فيه، وعلامة المؤمن الصالح أن يترك في كل مكان يحل فيه أثرًا صالحًا. لتعرف صلاح الرجل تنظر: هل ترك أثرًا صالحًا في هذا المكان يشهد له يوم القيامة؟ هل عمل خيرًا أو قدم شيئًا للناس يشهد له عند الله؟ هذا هو شأن الإنسان المسلم.

كان المسلمون المهاجرون الأوائل من هذه النماذج الصالحة، التي تترك وراءها آثارًا صالحة تشهد لها عند الله، وتشهد لها عند الناس. سجل لهم التاريخ ذلك، وسجل لهم الكرام الكاتبون في صحائف أعمالهم التي لا تبلي.

ذوبان المسلمين في المجتمعات الغربية:

ماذا صنع المهاجرون في عصرنا إلى هذه البلاد؟

للأسف، لم يصنعوا ما صنع أولئك الحضارمة التجار وأمثالهم.

هناك منهم من ذاب في المجتمع كما ذاب الملح في الماء. المهاجرون الأوائل في كثير من تلك الدول في أمريكا اللاتينية ضاع أولادهم. لقد ذهبوا يطلبون الرزق ... يبحثون عن المال، وذهبوا فرادى في أول الأمر، فتزوجوا من ملتهم، فكانت النتيجة أن شب أبناؤهم وبناتهم على دين أمهاتهم، شبوا على دين النصرانية، وهذا هو الخطر. الخطر أن يتزوج المسلم من غير مسلمة في مجتمع غير مسلم، وهذا ما كتبت فيه وحذرت منه[70].

الإسلام حينما أجاز للمسلم أن يتزوج كتابية، أجاز ذلك حينما يكون سلطان المجتمع الإسلامي قويًا، حينما يكون الإسلام هو الذي يحكم، والإسلام هو الذي يسود، بعقائده وقيمه وتعاليمه وشرائعه، هنالك حينما يتزوج المسلم غير المسلمة، تتأثر ولا تؤثر، وتنفعل ولا تفعل، فإذا لم تدخل في الإسلام متأثرة بالجو الإسلامي، فلن تستطيع أن تؤثر في زوجها ولا في أولادها.

---

(70) انظر فتوى الشيخ «زواج المسلم بغير المسلمة» المنشورة في الجزء الأول من كتابه «فتاوى معاصرة» (ص462 - 476).

ولكن الخطر أن يتزوج المسلم في مجتمع غير مجتمعه، وينشأ له أولاد، هؤلاء الأولاد في مجتمع عقيدته غير عقيدة المجتمع الإسلامي، مفاهيمه غير مفاهيم المسلمين، تقاليده غير تقاليد المسلمين، لغته - حتى اللغة - مخالفة، هنا الخطر. والأب مشغول طول النهار بكسب الرزق، فهو يكد ويكدح، ولا يكاد يرى ذريته. هنالك تتولى الأم غرس ما تريد من عقائد وأفكار في أنفس هذه الذرية، الرطبة الطرية، هي لوح ينقش فيه ما تشاء الأم، هذه هي الخطورة. ضاع كثير من الذرية بهذا.

وهذا ما لمسته أيضًا حينما زرت قارة أستراليا في الصيف الماضي. قالوا لي: إن أول المهاجرين إلى هذه البلاد كانوا من الأفغان، جاءوا بهم ليبنوا وليقوموا بأعمال صعبة، ولكنهم جاءوا فرادى أيضًا، رجالًا بدون نساء، فاضطروا أن يتزوجوا من غير دينهم. فكانت النتيجة أن الجيل الأول احتفظ بدينه وعقيدته، وبنوا مساجد لا تزال قائمة. ولكن الأجيال التالية لم تستطع أن تحتفظ بهذا، هذا هو الخطر، الخطر هو ضياع الذرية.

مشكلة الأبناء في المهجر:

المشكلة الكبرى في المهاجرين هو الخوف على الأبناء ... الخوف على الأولاد ... الخوف على الذرية. ولذلك قلت لهم - وقلت لمن قبلهم للهاجرين في أستراليا والمهاجرين في أمريكا الشمالية والمهاجرين في أوروبا - : من لم يستطع منكم أن يحافظ على أبنائه وبناته مسلمين ومسلمات، فلا بقاء له في هذه الديار، ولا يجوز له أن يظل يومًا واحدًا، من لم يستطع أن يحافظ على دين ذريته فليبدأ رحلة العودة من الغد. لأنه لا خير في هجرة تكسب منها مالًا وتخسر بها أولادك، تكسب الدنيا وتخسر الدين، بئست الصفقة إذن. إذا

استطعتم - هكذا قلت للمسلمين - أن توجدوا مجتمعًا صغيرًا لكم داخل المجتمع الكبير، تحتفظون فيه بعقائدكم وشعائركم وتقاليدكم فابقوا، وإلا فلا بقاء لكم.

الإنسان يتعلم من عدوه، واليهود في تلك القارات الكبيرة أقلية صغيرة، ولكنها استطاعت أن تعيش وأن تبقى وألا تنماع ولا تذوب فيها، لماذا؟ لأنهم حرصوا على أن ينشئوا لهم داخل المجتمع الكبير مجتمعًا صغيرًا خاصًا بهم، عن طريق «حارة» اليهود، ذلك المجتمع المغلق ... ذلك المصنع الذي يصوغ العقلية اليهودية والنفسية اليهودية، عن طريق تعاليم التوراة وأحلام التلمود. بهذا استطاع هؤلاء القوم أن يؤثروا ولا يتأثروا، وأن يعيشوا في مجتمعات ضخمة دون أن يذوبوا فيها. بل خططوا أن تكون عناصرهم هي المؤثرة في هذه المجتمعات الكبيرة، ونجحوا إلى حد بعيد بعيد.

ولكن المسلمين - للأسف - في كثير من المجتمعات ذابوا.

المهاجرون الجدد منذ أربعين أو خمسين سنة بدأوا يفكرون في الأمر، وبدأوا ينشئون جمعيات إسلامية للحفاظ على أنفسهم وعلى أولادهم، وهذا هو الواجب.

ما يجب على المسلمين في المهجر:

الواجب على المسلمين، أن يحافظوا على أنفسهم عن طريق العمل الجماعي، الإنسان وحده في وسط هذه المجتمعات لا يستطيع أن يحتفظ بنفسه، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، الذئب لا يأكل الشاة في وسط القطيع، هي في داخل القطيع محمية به، ولكنه يظل يتربص وينظر حتى إذا

وجد شاة شردت عن القطيع انفرد بها فالتهمها، هذا هو المخوف. ولذلك أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم بالجماعة: «**يد الله على الجماعة، ومن شذ شذّ إلى النار**»(71).

حاول المسلمون أن ينشئوا الجمعيات، وينشئوا المساجد التي يحتفظون فيها بدينهم. ولكن هناك وجدنا حائلًا وحاجزًا آخر، هذا الحاجز: أن كثيرًا من أبنائهم لم يحافظوا على لغتهم، ففقدوا اللغة العربية، وتكلموا اللغة البرتغالية - لغة البرازيل - أو اللغة الأسبانية - لغة بقية الدول في أمريكا اللاتينية - وفقدان اللغة العربية أمر خطر، لأنه يحول بين الناشئة المسلمة وبين قراءة قرآنها، وتلاوة أحاديث نبيها، والسماع لخطبة في المسجد أو موعظة أو درس. وأكثر الدعاة والخطباء لا يعرفون تلك اللغة، لأننا للأسف لم نعد العدة لمثل هذا الأمر، ليس عندنا مؤسسات على مستوى عالمي تعد العدة وتهيئ الأهبة لمثل هذه الأحوال، فتبعث دعاة يتكلمون بالبرتغالية وباللاتينية وبكل اللغات، وهذه أيضًا إحدى المشكلات: ليس عندنا مؤسسات ترعى المهاجرين.

المهاجرون الذين هاجروا من الشام من غير المسلمين كانت مؤسساتهم الدينية وراءهم، تمدهم وترعاهم، وتبعث إليهم بالقسيسن والدعاة، وتربطهم بالكنيسة الأم، مع أنهم ذهبوا إلى مجتمع غير مخالف لهم في عقيدتهم ... مجتمع يدين بدينهم، ومع هذا لم يهملوهم.

---

(71) رواه الترمذي عن ابن عباس وقال: غريب، قال ابن حجر: لكن له شواهد كثيرة منها موقوف صحيح «فيض القدير» للمناوي (459/6 - 460) برقم (1004).

ولكنا نحن المسلمين أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، فقدنا الخلافة التي كانت تضم شمل المسلمين في العالم، ولم يوجد عندنا بديل، ليس عندنا كهنوت، ليس عندنا إكلروس، ليس عندنا بابوية، فلم يعد هناك مؤسسات إسلامية ترعى هذا الأمر.

ولذلك كان الخطر كل الخطر في فصل الدولة عن الدين في الإسلام، لأن فصل الدولة عن الدين في النصرانية، مثلًا - لا يضر كثيرًا، لأن لهم مؤسسات دينية ذات سلطات وإمكانات ضخمة، تستطيع أن تقوم بأمرها، ولكننا لسنا عندنا هذا فإذا انفصلت الدولة عن الدين بقينا في فراغ، وهذه هي الخطورة التي نعانيها اليوم، لا خليفة لنا ولا بابًا ولا جمعيات إسلامية على مستوى العالم، ماذا نفعل؟ هذه هي الخطورة.

آفة التفرق والاختلاف:

المسلمون يحاولون أن يصنعوا شيئًا في تلك الآونة، ولكن آفتهم أيضًا في تلك الديار هي آفة المسلمين في كل مكان: التفرق والاختلاف.

الأقليات في العالم كله تتساند وتتكاتف وتتعاون لتحافظ على وجودها أمام الأكثرية، هذا ما نشاهده ونلمسه ونسمعه ونقرأه عن كل الأقليات في العالم، إلا الأقليات الإسلامية!

ما وجدنا دينًا يجعل الوحدة إيمانًا والتفرق كفرًا مثل الإسلام. ما وجدنا دينًا يحض على الوحدة والتضامن، ويريد من المسلمين أن يكونوا كالبنيان يشد بعضهم بعضًا، وكالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، ما وجدنا دينًا كالإسلام يحض على هذا، وما

وجدنا جماعة كالمسلمين بينهم وبين الإسلام مراحل ومراحل في هذه الناحية!

داء المسلمين حيثما وجدوا هو الاختلاف فيما بينهم، هكذا وجدناهم في كل مكان. حتى الأقليات الكبرى ... الأقليات الضخمة كالأقلية الإسلامية الهندية مثلًا، المسلمون في الهند أقلية ولكنهم يقاربون المائة وخمسين مليونًا! أي يقاربون عدد المسلمين في العالم العربي! ولكنهم متفرقون فيما بينهم، هذا ديوبندي، وهذا دلهوي، وهذا صوفي، وهذا سلفي، وهذا من الجماعة الإسلامية، وهذا من جماعة الندويين، وهذا، وهذا، مختلفون فيما بينهم.

مشكلة المسلمين حيثما ذهبوا هو هذا الاختلاف، أنهم متفرقون، والله تعالى يقول: ﴿**وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ**﴾ [آل عمران: 105] ﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ**﴾ [آل عمران: 103] ومع هذا يتفرق المسلمون ويختلفون فيما بينهم، من أجل ماذا؟ لا أدري. علام يختلفون؟ جمعيات مختلفة، كل قرية تكاد تكون لها جمعية، كل عائلة وما حولها من أقاربها تكاد تكون لها جمعية، كل جماعة يريدون أن يكونوا هم الزعماء! هذا هو الخطر.

ولذلك قلت لهم: حبذا لو أخليتم الطريق للشباب من ورائكم، دعوا هذه الزعامات والوجهات وأعطوا العمل للشباب. العمل الإسلامي في أمريكا الشمالية في يد الشباب الملتزم المتحمس، ولذلك قاد السفينة بجدارة وإيمان. أما هؤلاء الذين يتنافسون على الزعامة والوجاهة والرئاسة، فلم يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا.

الإسلام قوي، ولكن المسلمين ضعفاء، هذه هي الآفة. الإسلام أعظم دين

ولكنه لا ينتصر بغير رجال. لقد صدق الرجل الذي قال كلمته - حينما قرأ عن الإسلام - : يا له من دين لو كان له رجال! الإسلام إنما ينتصر بالرجال، وللإسلام ألف مليون في العالم، ولكن أين الرجال منهم؟ أين الذين ينتصرون له، ويبذلون له، ويعيشون له، ويموتون عليه؟ أين هؤلاء؟

في البرازيل وجدت معظم المدن اسمها:

سان كذا ... سان بولو ... سان برناردو، أي أن هذه المدن تحمل أسماء قديسين وقسيسين، هؤلاء سميت بأسمائهم المدن، ولعلهم كان هناك منهم من كان، أي أن الطابع الديني النصراني ثابت واضح هناك، بعد أن هزم المسلمون في الأندلس، انداح هؤلاء الناس وذهبوا إلى تلك البلاد. كان يمكن أن تكون هناك هذه القارة إسلامية، حاول المسلمون أن يصلوا إلى هذه القارة وكادوا، بل إن المسلمين هم الذين كانوا الأدلة للذين وصلوا إلى أمريكا الجنوبية وإلى أمريكا الشمالية. كانوا الأدلة لهؤلاء، ولكن قدر الله أن يأتي ذلك في عصر كان المسلمون فيه في إدبار، وكان أولئك القوم في إقبال، بدأنا ننام وبدأوا يستيقظون، فأخذوا دفة السفينة، وتغير مجرى الريح، ولو قدر الله شيئًا آخر لكانت هاتان الأمريكتان في يد المسلمين اليوم.

لا ندم على ما فات، المهم أن نعرف يومنا ونعد لغدنا.

ما يجب على المسلمين في الخارج والداخل:

نحن المسلمين أمام مسؤوليات كبيرة داخل أوطاننا وخارجها:

لا يجوز أن ينفصل المسلمون في المشرق عن المسلمين في المغرب، لا يجوز أن ندع هؤلاء، لا بد أن يكون هناك تواصل دائم بين المسلمين بعضهم

وبعض.

هم قوة يمكن أن ينتفع بها لو وجهوا أنفسهم للتأثير في ذلك المجتمع، كما فعل إخوانهم الذين ذهبوا إلى المشرق قديمًا.

سألت بعضهم: ماذا علمتم هؤلاء الناس في أمريكا اللاتينية؟ ماذا أخذوا منكم يا من تحملون رسالة الإسلام ودعوة محمد عليه الصلاة والسلام؟ قالوا: أخذوا منا أشياء كثيرة، علمناهم أكل التبولة والصفيحة والكبة وبعض الأكلات وهذه الأشياء! هذا ما علمه هؤلاء للناس هناك! كان الأولى أن يحملوا إليهم الرسالة المنقذة رسالة الإسلام.

ولكن كيف يحملونها وهم أنفسهم لم يكونوا صورة لها؟! وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضل من كانت العميان تهديه!

إن الإسلام في حاجة إلى رجال، لو وجد هؤلاء الرجال لاستطاع أن ينشر نوره في العالم، وهو على ذلك قادر، والمسلمون مؤهلون اليوم أن يحملوا الرسالة، لو أعددنا العدة وأهلنا المسلمين من الشباب المخلصين المتحمسين، وهم موجودون في كل مكان، ولكن كما قال الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله منذ سبعين سنة - كان يرفع هذا الشعار على مجلته - : المسلمون إلى خير ولكن الضعف في القيادة.

فعسى الله أن يرزق المسلمين القيادة التي تستطيع أن ترى وتحس، وتعي، وتوجه، وتقدر بعد ذلك على التنفيذ.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

19- الإنسان الناجي في سورة العصر

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

سألني أحد الشباب عقب خطبة الجمعة الماضية قائلًا: أنت مشغول بهموم الأمة ومآسيها في المشرق والمغرب والشمال والجنوب، وتحثنا دائمًا على العودة إلى الإسلام، ولكنا لا ندري كيف نعود إلى الإسلام، وما هو نصيب الفرد في هذه العودة؟ إننا إذا نظرنا إلى الأمة في تعقد مشكلاتها، وتنوع همومها، وكثرة مآسيها وأحزانها، فربما غرقنا في هذا البحر الخضم، وتهنا في هذه الصحراء؛ وهذه المفازة المهلكة الواسعة، ونريد أن نعرف: ماذا نفعل نحن أفرادًا أمام هذه المآسي والكوارث والمصائب التي تتوزع أمتنا من هنا وهناك؟

وأريد أن أقول: إن أساس العودة إلى الإسلام التي ننادي بها دائمًا يبدأ من الفرد.

ماذا نعني بالعودة إلى الإسلام؟

ونعني بالعودة إلى الإسلام: العودة إلى الإسلام الصحيح والإسلام المتكامل. لا نعني أننا قد ارتددنا عن الإسلام والعياذ بالله ونريد أن نرجع إليه، فإن هذه الأمة لا زالت مؤمنة بربها وقرآنها ومحمدها، لا زالت مستمسكة بهذه العروة الوثقى، ولكنها أساءت الفهم وأساءت التطبيق للإسلام، وخصوصًا فيما يتعلق بالذين يلون أمرها هنا وهناك في بلاد شتى يقربون أو

يبعدون عن الإسلام، حتى إن منهم من يحارب الإسلام حربًا ضروسًا لا هوادة فيها في قلب بلاد العروبة والإسلام.

لا أعني بالعودة إلى الإسلام: أن الأمة قد ارتدت عن دينها، فمعاذ الله أن أؤمن بذلك، وإنما أعني أن الأمة قد انحرفت وتحتاج إلى أن تستقيم على أمر الله، وأن الأمة قد تركت شريعة ربها وحكمت أنظمة وقوانين استوردتها من هنا وهناك، وأن الأمة ساءت مفاهيمها وتصوراتها فجلبت مفاهيم وتصورات من شرق ومن غرب، وأن الأمة قد اختلطت تقاليدها وأعرافها فجاءتها أعراف وتقاليد من هنا وهناك، فلا بد أن تميز الأمة بين الطيب والخبيث ... بين المستقيم والمعوج ... بين الأصيل والمستورد ... بين ما هو من دين الله وما ليس من دين الله.

نريد للأمة أن ترجع إلى الدين الصحيح، ترجع إليه فهمًا، وترجع إليه تطبيقًا، ترجع إليه إيمانًا، وترجع إليه أخلاقًا، وترجع إليه سلوكًا.

الفرد أساس الأمة الصالحة:

وأول ما يتجلى هذا الرجوع هو في الفرد، فالفرد عندنا هو أساس الجماعة الصالحة التي هي أساس الأمة الصالحة. لن يصلح حال هذه الأمة إلا بإصلاح أفرادها.

إذا أرادت أن تبني صرحًا عظيمًا، فلا بد أن يبدأ هذا البناء على أساس متين، وأساس هذا البناء كله: اللبنة السليمة ... اللبنة الصالحة في بنيان المجتمع هو الفرد الصالح، هو الإنسان الصالح، هو المسلم الصالح، مسلم سورة العصر، المسلم الناجي في سورة العصر الذي قال الله تعالى فيه:

{وَٱلۡعَصۡرِ 1 إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ 2 إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ} [العصر: 1 - 3].

الإيمان أولًا:

أول شروط النجاة قبل كل شيء هو الإيمان ... سلامة العقيدة، ظل النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عامًا في مكة لا هم له ولا شغل له إلا أن يغرس العقيدة في العقول والنفوس ... أن يبني التوحيد الصحيح ... أن يطرد عبادة الطاغوت والإيمان بالطاغوت من القلوب.

لا بد من الكفر بالطواغيت كل الطواغيت والإيمان بالله وحده **{فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا}** [البقرة: 256]. الطاغوت: كل ما يعبد ويعظم ويطاع طاعة مطلقة من دون الله، قد يكون وثنًا ... قد يكون شجرًا ... قد يكون حيوانًا ... قد يكون جنًّا ... قد يكون بشرًا ... قد يكون نجمًا في السماء، أو نبتًا في الأرض، أيًّا كان ما دام يعبد ويعظم ويتبع اتباعًا أعمى، ويطاع طاعة مطلقة من دون الله، فهو طاغوت.

وقد جاء الأنبياء جميعًا ليحرروا الناس من عبادة الطواغيت **{وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ}** [النحل: 36]، **{وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ}** [الزمر: 17].

فالإيمان كان بداية النجاة من خسر الدنيا والآخرة، الإيمان القائم على التوحيد الذي بعث الله به كل الرسل وأنزل به كل الكتب. إنما بعث الأنبياء وأنزلت كتب الله عامة من أجل هذه القضية الأولى ... القضية المصيرية ... قضية الوجود كله: أن يعبد الله وحده لا شريك له. ولهذا كان النداء الأول في

كل رسالة: {يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ} [الأعراف: 59]، قبل أن ينادي النبي بترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قبل أن ينادي النبي بإصلاح أحوال الناس ... بإصلاح حال الحياة والمجتمع ... بعدم بخس الأشياء أو تطفيف المكاييل أو الموازين أو غير ذلك، يناديهم بعبادة الله وحده «أعبدوا الله ما لكم من إله غيره».

أول ما يطالب به الفرد أن يقوي إيمانه بالله، أن يصبح الإيمان قاعدة حياته كلها، يتعلم ... ينظر في آيات الله في الأنفس وفي الآفاق حتى يتبين له أنه الحق {وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ 20 وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ} [الذاريات: 20، 21]. يقرأ كتاب الله الصامت في هذا الكون، كما يقرأ كتاب الله الناطق، مصحفان لدي كل إنسان: مصحف صامت هو هذا الكون، ومصحف ناطق هو القرآن الكريم.

لا بد للإنسان أن يقوي إيمانه عن طريق التأمل والنظر في الكون والنظر في النفس والنظر في التاريخ، عن طريق التفكير في خلق السموات والأرض، عن طريق المعرفة والدراسة للقرآن وللسنة يزداد المؤمن إيمانًا، يقوي إيمانه بربه، ويقوي إيمانه بلقائه وحسابه وجزائه، فإن هذه الحياة الدنيا أيام معدودة وأنفاس محدودة، ثم يطوي كتابها وينتقل الإنسان إلى حياة أخرى يخلد فيها في عمله، ويجزي بما كسبت يداه {فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ 7 وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ} [الزلزلة: 7، 8].

لا بد من الإيمان.

لكن القرآن حينما أشار إلى النجاة من الخسر واستثنى منها الناجين من

الخسران، عبر عن الإنسان الناجي بصيغة الجمع فقال: «إلا الذين آمنوا»(72) أي لا نجاه للفرد وحده، لا بد أن يضع يده في يد إخوته المؤمنين. لا يوجد في الإسلام إنسان ينجو وحده، فـ «**يد الله على الجماعة ومن شذ شذ إلى النار**»(73) وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، لهذا عبر القرآن عن النجاة بصيغة الجماعة فقال: «إلا الذين آمنوا».

المسلم لا يعيش وحده، ولا يعمل وحده، وإنما يعمل مع الجماعة المسلمة، يوادها وتواده، يرتبط بها وترتبط به، ينصح لها وتنصح له، يواليها وتواليه، **{وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ}** [التوبة: 71].

المسلم يقف في الصلاة بين يدي الله فيقرأ الفاتحة، ويتلو في هذه الفاتحة قول الله تعالى: **{إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ 5 ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}** [الفاتحة: 5، 6] بصيغة الجمع، ولو أنه يصلي فردًا، ولو كان في قعر بيته خاليًا لا يراه أحد، فإنه ينادي ربه بهذه الصيغة: **{إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ}** وإذا دعا دعا للجماعة **{ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}**. ذلك لأن الإسلام يريد أن يغرس في نفس كل مسلم روح الجماعة، فإذا ناجى ربه فإنما يناجيه بلسان الجماعة، وإذا سأل ربه فإنما يسأله للجماعة لا لنفسه، يحشر نفسه في زمرة الجماعة، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، يتحدث بلسانهم، ويتمثلهم في ضميره، ويعبر عنهم بكلامه **{ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ}**.

---

(72) وذلك في قوله تعالى في سورة العصر: **{وَٱلۡعَصۡرِ 1 إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ 2 إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...}** [1 - 3].

(73) انظر: تخريجه في (ص262).

عمل الصالحات:

أول خطوات النجاة للفرد الذي نريده أساسًا للإصلاح هو: الإيمان.

ولكن الإيمان الحقيقي هو الذي يثمر عملًا، لا معنى للإيمان بلا عمل، لا معنى للعلم بلا عمل. أسلافنا قالوا: علم بلا عمل كشجر بلا ثمر، أو سحاب بلا مطر. ثمرة العلم: العمل، وثمرة الإيمان: العمل.

حقائق الإيمان كما عرضها القرآن:

ولهذا نجد القرآن حينما يعرض علينا حقائق الإيمان يعرضها في أخلاق وأعمال:

1- **{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ 2 ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ}** [الأنفال: 2، 3]. إيمانهم يتجلى في أعمال، بعضها أعمال قلبية ولها الصدارة: وجل القلوب عند ذكر الله - زيادة الإيمان عند تلاوة آيات الله - التوكل على الله عز وجل، ثم أعمال ظاهرة أبرزها: إقامة الصلاة، والانفاق مما رزق الله، **{أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا}** [الأنفال: 4].

2- **{قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ 1 ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ 2 وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ 3 وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ 4 وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ 5 إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ 6 فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ 7 وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ 8 وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ}** [المؤمنون: 1 - 9]. وهذه حقائق الإيمان في حياة المسلمين، هم يتصفون بأعمال إيجابية ويتصفون بأشياء أخرى يتركونها،

فالإيمان فعل وترك:

أ- إنهم يخشعون في الصلاة ويحافظون عليها، لم يقل: إنهم يؤدون الصلاة، فهذا أمر مفروغ منه، ولكن وصفوا بالخشوع في الصلاة، ليست صلاتهم جسمًا بلا روح، ولكن صلاتهم هي الصلاة التي تخشع فيها القلوب وتخشع فيها الجوارح «الذين هم في صلاتهم خاشعون ... والذين هم على صلواتهم يحافظون بدأ بالصلاة وختم بها.

ب- ويؤدون الزكاة «والذين هم للزكاة فاعلون».

جـ- ويرعون العهود والأمانات للخلق أو للخالق «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون».

ولكنهم في الجانب الآخر ... في جانب المنهيات:

أ- «والذين هم عن اللغو معرضون»: لا يضيعون أوقاتهم في اللغو، فالعمل أثمن من أن يضيعوه في الكلام الفارغ وفي العمل الباطل، فالوقت هو الحياة، ومن ضيع وقته فقد ضيع عمره وانتحر وقتل نفسه.

ب- «والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين» أي أنهم يحفظون فروجهم فلا يقعون في حرام، لا يرتكبون الفواحش ما ظهر منها أو ما بطن.

الإيمان إذن - يتجلى في عمل، هكذا يعرضه القرآن. أما الإيمان الذي يكون مجرد معرفة ذهنية في العقل، لا تشرق بها جوانب النفس، ولا تتجلى في أعمال، فهذا ليس هو الإيمان.

الإيمان هو الذي ينير العقل، ويضيئ القلب، ويحرك الإرادة، ويحيي الضمير، ويبعث على الخير، ويزع عن الشر، هذا هو الإيمان الحقيقي.

لا بد للإيمان من عمل:

لا بد أن يتجلى الإيمان في عمل، ولا بد أن يتجلى العلم في عمل. كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفون الإيمان إلا مقرونًا بالعمل، كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الإيمان هو الذي يثمر العمل، وأي عمل؟ عمل الصالحات.

ولهذا قال: {**إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ**} [التين: 6 والعصر: 3]. الصالحات تعبير قرآني جامع يشمل كل ما يصلح به الفرد وما يصلح به المجتمع، من الناحية المعنوية أو من الناحية الحسية، من ناحية الروح أو من ناحية المادة.

كان هؤلاء الصحابة أسرع الناس إلى العمل وإلى الجهاد وإلى البذل، لو نزلت آية كريمة كانوا أسرع الناس إلى تنفيذها. نزل قوله تعالى: {**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**} آل عمران: 92]، فجاء الصحابة يبذلون أفضل ما عندهم، حتى إن أبا طلحة كان عنده حائط «بستان» من أفضل البساتين، يقدر بكذا وكذا، فجاء يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله أشهدك أني جعلته في سبيل الله.

لم يكن القرآن ينزل لمجرد أن يتلذذوا بتلاوته أو بسماعه، ولكن يجعلوه واقعًا حيًا في حياتهم ومسيرتهم.

في معركة اليمامة والمسلمون يقاتلون المرتدين - ويقاتلون المتنبئين -

أتباع مسيلمة الكذاب وسجاح بنت الحارث وغيرها، كان أكثر الناس إقدامًا في هذه المعركة هم قراء القرآن، وكان ينادي بعضهم بعضًا: يا أصحاب سورة البقرة، قاتلوا في سبيل الله. وكان حذيفة بن اليمان يقول: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال. ولذلك قتل من القراء عدد كبير في هذه المعركة.

كان بشر بن الحارث - المعروف ببشر الحافي - يقول لطلبة علم الحديث: يا أصحاب الحديث أدوا زكاة حديثكم، اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث. على الأقل ... الحد الأدنى: من كل مائتي حديث إعملوا بخمسة أحاديث «ربع العشر»، إذ لا معنى لطلب الحديث وأنت لا تعمل به، ولا معنى لأن تقرأ الكتب وتحضر الدروس وتستمع إلى المحاضرات وأنت لا تطبقها على نفسك، المهم: العمل ... العمل.

لا بد أن يراك الله تعالى حيث أمرك، ويفقدك حيث نهاك. لا بد أن تعمل بما أمرك الله به في نفسك وأهلك ومن حولك، مع من تحب ومع من تكره. لا بد أن تكون وقافًا عند حدود الله، مراعيًا لحقوق الناس، تحل الحلال وتحرم الحرام، لا تدخل إلى جيبك درهمًا من حرام، ولا تدخل إلى بطنك لقمة من حرام، حتى لا ينبت بها شيء من جسدك، فـ «**كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به**»(74).

الإيمان وعمل الصالحات هو ما نريده من الإنسان الناجي، الإنسان الذي

---

(74) رواه البيهقي في «الشعب»، وأبو نعيم في «الحلية» عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال المناوي: وفيه عبد الواحد بن واصل أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: ضعفه الأزدي. وعبد الواحد بن زيد قال البخاري والنسائي: متروك. قال أبو نعيم: وفي الباب عن عائشة وجابر «فيض القدير» للمناوي (18/5) برقم (6296).

هو أساس المجتمع الصالح.

التواصي بالحق:

والشرط الثالث الذي دلت عليه سورة العصر: التواصي بالحق. والتواصي صيغة «تفاعل» كما يقول علماء العربية، التواصي تفاعل من الجانبين، أي توصي غيرك بالحق وتقبل من غيرك الوصية بالحق، فليس هناك أحد أصغر من أن يوصي ولا أحد أكبر من أن يوصى، الحق فوق الجميع.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع إلى النصيحة من أصحابه ينصحونه بها، ويستمع إلى الرأي فيترك رأيه أحيانًا وينزل على رأي أصحابه في وقائع شتى روتها كتب السنة والسيرة. وكان أبو بكر يقول على المنبر في أول خطبة له: أيها الناس، إن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسددوني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم. وكان ابن الخطاب بعده يقول: مرحبًا بالناصح أبد الدهر، مرحبًا بالناصح غدوًّا وعشيًّا، رحم الله امرءًا أهدى إلي عيوب نفسي. ولما نصحه بعض الناس وقال له: اتق الله يا أمير المؤمنين، غضب بعض من حوله وقال: أتقول هذا لأمير المؤمنين، فقال عمر: دعوه، لا خير فيكم إذا لم تقولها ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

التواصي بالحق يعني كل واحد يوصي غيره بالحق، وأقرب الناس إلى أن توصيهم بالحق من كانوا في ذمتك ... من كانوا في حضانتك ... من كانوا تحت رعايتك ... زوجك ... أبناؤك ... بناتك ... إخواتك الذين يعيشون معك

... الذين يكونون تحت رئاستك وإدارتك ... كل من لك سلطان عليه ينبغي أن توصيه بالحق، فبالحق قامت السموات والأرض، والحق ما جاء به الإسلام، كل ما جاء به الإسلام من عقائد وعبادات وأعمال وأخلاق فهو حق. فأوصه بالحق، سواء كان يتعلق بالدنيا أو بالدين، بأمر الله أو بأمر الناس، ومن هنا كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هنا كانت فريضة الدعوة إلى الله، فكل مسلم داع إلى الله عز وجل.

كل مسلم يجب عليه أن يدعو إلى الله، يدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو مخاطب بقوله تعالى: **{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ}** [النحل: 125]. كل من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو داع: **{قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ}** [يوسف: 108]، فإذا كنت ممن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا بد أن تدعو إلى الله، وتدعو على بصيرة، على قدر ما آتاك الله، هناك من يدعو بتأليف كتاب، وهناك من يدعو بإلقاء محاضرة أو خطبة، وهناك من يدعو بإلقاء درس، وهناك من يدعو بالكلمة الطيبة، والكلمة الطيبة صدقة، وهناك من يدعو بالصحبة الصالحة ... بالأسوة الحسنة، وما أعظم الأسوة الحسنة في التأثير.

بهذا أثرّ المسلمون قديمًا في العالم كله، بأخلاقهم نشروا الإسلام.

كل مسلم داعية إلى الله، من تعلم شيئًا فعليه أن يعمل به وأن يعلمه لغيره، وهذه هي الدعوة: **{وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ}** [فصلت: 33]. «الرباني» كما قال السلف هو: الذي يعلم ويعمل ويعلّم. لو تعلمت مسألة علمها لغيرك، عرفت شيئًا في الإسلام انقله إلى غيرك.

المسلم لا يعيش في هموم نفسه فقط، بل يهتم بالعالم من حوله، المسلمون كانوا في مكة قليلًا مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ومع هذا كانوا يهتمون بالصراع الدائر من بعيد بين الفرس والروم، ومن ينتصر ومن ينهزم؟ ومن يكون انتصاره في صالحهم أو يكون انهزامه في صالحهم؟ إلى هذا الحد كانوا يهتمون بالمعارك الدائرة في العالم، ولم يكن هناك تلفاز ولا إذاعة ولا صحافة.

ولذلك لا يعقل أن يعيش المسلم في عصرنا يهتم بأمره. بمكسبه. بجمع الألوف أو الملايين، ولا يهمه ما يجري لأخوته المسلمين وأخواته المسلمات هنا وهناك في مشارق الأرض ومغاربها، ليس هذا من الإسلام في شيء.

لا نستطيع إذن أن نعيش وإخوتنا وأخواتنا في البسنة والهرسك أو في فلسطين أو في لبنان أو في جامو وكشمير أو في بورما أو في الفلبين أو في الصومال أو فيما شئت من بلاد الله، فمآسي المسلمين قد ملأت الصحف وملأت الإذاعات وأخذت مساحة وسيعة من كل نشرات الأخبار.

لا يمكن أن يكون هناك مسلم حقيقي لا يهتم لأمر أمته، لا بد أن يتقطع قلبه زفرات، وتذهب نفسه حسرات، كلما سمع أو قرأ أو شاهد مآسي الأمة الإسلامية.

التواصي بالحق: الاهتمام بأمر الآخرين، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

لو أنك تصلي في اليوم ألف ركعة، ولو أنك تصوم صيام داود تصوم يومًا وتفطر يومًا، ولو أنك تختم القرآن في كل ثلاثة أيام، ولو أنك تسبح الله تسبيحًا كثيرًا وتذكره بكرة وأصيلا، ولكنك تعيش غير مهتم بهموم الأمة وقضاياها،

فلست من الإسلام في شيء، لست المسلم الصحيح، لست المسلم الذي يشعر بالأخوة الإسلامية، لست المسلم الذي يعيش في قوله تعالى: {**إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ**} [الحجرات: 10]، لست المسلم الذي يفهم قوله عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه**»(75)، لست المسلم الذي يعي الحديث النبوي: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم**»(76)، يجير أدناهم على أقصاهم، ويشد قويهم على مضعفهم، هذه هي الأمة المترابطة التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

التواصي بالصبر:

الشرط الرابع الذي أرشدتنا إليه هذه السورة - التي قال عنها الإمام الشافعي: لو عمل بها الناس لكفتهم! هذه السورة التي تكتب بأقل من سطرين في المصحف الشريف لو عمل بها الناس لكفتهم، لأنها رسمت منهجًا كاملًا للإنسان - هو: التواصي بالصبر. وذلك أنه لا يوجد حق بغير صبر، إذا تواصى الناس بالحق فإنه تكاليف الحق ثقيلة، وإن طعم الحق مر، وإن طريق الحق محفوفة بالأشواك بل مليئة بالأشواك، مضرجة بالدماء.

---

(75) رواه البخاري عن ابن عمر واللفظ له، ورواه أبو داود عن سويد بن حنظلة «فيض القدير» للمناوي (270/6) برقم (9290).

(76) أخرجه أبو داود والنسائي، عن علي رضي الله عنه، قال في «التنقيح»: سنده صحيح، وحسنه الحافظ في «الفتح». انظر: «شرح السنة» للبغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (172/10) برقم (2531).

انظر إلى طريق الحق منذ بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، تجد الضحايا من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ولذلك لا حق بغير صبر.

ومن هنا أوصى الله رسوله بقوله: **{فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ}** [الأحقاف:35]، **{فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}** [الروم:60]، **{وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ}** [النحل: 127]. بضع عشرة آية تأمره بالصبر لأنه لا يمكن أن تقوم دعوة للحق بغير صبر.

وقد أوصى لقمان ابنه وصيته البليغة التي خلدها القرآن، فكان مما أوصاه به: **{يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ}** [لقمان: 17]. لماذا قال له: «واصبر على ما أصابك»؟ لأنه ما دام سيأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، فلا بد أن يوطن نفسه على الأذى، سيناله الناس بأذاهم رضي أم سخط، لم ينج من هذا نبي مرسل، لم ينج منه أحد، فلا بد أن يصبر على أذى الناس. ولهذا قال الله تعالى لرسوله ولأصحابه: **{لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ}** [آل عمران: 186].

وما دام الإنسان قد حقق الشرط الأول وهو الإيمان، فإنه لن يبالي بما أصابه في جنب الله، سيستمرئ المر ويستعذب العذاب، ويهون عليه كل ما يلقي في سبيل الله، فمن عرف مقدار ما يطلب هان عليه مقدار ما يبذل، إنه يطلب الجنة فلا بد أن يبذل النفس والمال **{إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ}** [التوبة: 111].

الإيمان يهون عليه كل المتاعب، ويسهل عليه كل المصاعب، ويستصغر من أجله كل ما يلقي في الله.

بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشًا إلى الروم وفيه أحد الصحابة: عبد الله بن حذافة السهمي، الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك برسالته إلى كسرى، فأسر جمع من المسلمين وفيهم عبد الله بن حذافة، فقيل لملك الروم أو لأميرهم: إن في هؤلاء أحد أصحاب محمد، فقال لهم: أجيعوه - امنعوا عنه الطعام والشراب - فمنعوا عنه الطعام والشراب أيامًا، ثم قال: اعرضوا عليه لحم الخنزير، فعرضوا عليه لحم الخنزير فأبى أن يأكل منه، فجيء به أمام الملك فقال له: مالك لا تأكل لحم الخنزير؟ أليس هذا حلالًا لكم في مثل حالتك؟ فقال له: قد علمت والله إنه حلال لي، وأن الله قد رخص لي في أكله، ولكن ما كنت لأقر عينك بأكلي من هذا الخنزير! رفض أن يسره بالأكل وهي رخصة له **{فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ}** [البقرة: 173].

ثم قال له: ما رأيك أن تدخل في النصرانية وأشركك في ملكي وأمري وسلطاني؟ فقال له: والله لو عرضت علي ما تملك وما ملك جميع العرب والعجم على أن أترك دين محمد صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما فعلت ذلك. فقال: إذن أقتلك. قال: أنت وذاك.

فقال لهم: أصلبوه، فصلبوه، وقال لهم: ارموا قريبًا من يديه ومن رجليه ولا تصيبوه. أراد أن يفزعوه ويرعبوه. فرموه بالنبال من حوله قريبًا من يديه ورجليه وهو ثابت كالطود الأشم لا يتزلزل ولا يتزعزع.

ثم أنزله وقال له: ألا تدخل في النصرانية؟ فأبى. فجيء بأسيرين من المسلمين أمامه، وقد أمر بماء وضع في قدر، وأوقد تحته حتى غلى واشتد غليانه، فجيء بأحد الأسيرين فألقي في هذا القدر، حتى بدت عظامه. ثم قال له: أتريد أن تلقي مصير هذا؟ أدخل في النصرانية، فأبى. فقال له: إذن ألقيك في هذا القدر كما فعل بصاحبك، فذرفت عينه الدمع، فظن أنه قد جزع وضعف، قالوا: إنه بكى، فقال الملك في نفسه: هذه فرصة، فعرض عليه الدخول في النصرانية فأبى، قال له: إذن لماذا بكيت؟ قال: بكيت لأنك إذا وضعتني في هذا القدر هلكت وذهبت نفسي، وكنت أود والله لو أن لي تحت كل شعرة نفسًا تلقى حتفها في سبيل الله!

عجب الرجل من ثباته وصموده وصبره، فقال له: تقبل رأسي وأخلى سبيلك وسبيل جميع أسرى المسلمين، فقال في نفسه: عدو من أعداء الله يخلي سبيلي وسبيل جميع أسرى المسلمين، ما علي إذا قبلت رأسه، والله لا أبالي ذلك في سبيل الله، فقام وقبل رأسه. فأطلق له جميع أسرى المسلمين.

وعاد إلى عمر رضي الله عنه، وقص عليه الخبر، وكأنه يعتذر من عمر أنه قبل رأس هذا الرجل الطاغية من أجل الإفراج عن جميع أسرى المسلمين، فقال عمر بن الخطاب: حق على كل من هنا أن يقوم فيقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ، وقام وقبل رأسه، وقبل رأسه جميع المسلمين.

هذا هو الصبر، هذه هي النفوس التي رباها الإسلام، هذا هو الفرد الذي نريده إذا كنا نريد تغيير مجتمعاتنا من حال إلى حال أحسن.

اللهم اجعلنا من الذين يؤمنون فيعملون فيتواصون بالحق ويتواصون

بالصبر، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

20- المستقبل للإسلام

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

مآسي تبعث على اليأس:

في مجلس مع بعض الأصحاب والتلاميذ، قال بعضهم - وقد غشت وجهه سحابة من الحزن والآسى، واخترقت قلبه سكين من اليأس والقنوت - : ألا ترى هذا الظلام المخيم على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟

ألا ترى هذه الهجمة الشرسة على الأمة الإسلامية والصحوة الإسلامية؟ ألا ترى الإسلام في إدبار والكفر في إقبال؟ ألا ترى الصالحين يؤخرون والطالحين يقدمون؟

ألا ترى إسرائيل تصول وتجول، وتعربد في المنطقة وتتكلم بصلف وغرور، كأنما الأمر كله أصبح لها، ولم يعد هناك شيء لغيرها؟ هكذا أعلن «رابين» في مؤتمر الدار البيضاء: أنّ القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل! وهكذا تحدّى الحاضرين جميعًا، وهكذا أظهر طموحاته ومطامعه، ولا زال العرب يتساقطون واحدًا بعد الآخر، والكل يعدّ العدّة لإنهاء المقاطعة من قريب.

ألا ترى ما يحدث لإخوتنا في البوسنة والهرسك؟ ألا ترى هذا العالم الصامت عما يجري هناك، ولا زال يمنعهم حقّهم المشروع في الدفاع عن النفس وأن يشتروا الأسلحة بأموالهم؟ ألا ترى الصرب المتوحشين يفعلون ما

يفعلون وقد أوشكوا أن يستعيدوا ما ربحه المسلمون في تلك الجولات الأخيرة؟

ألا ترى ما يصنعه الهندوس في كشمير؟ ألا ترى ما يصنعه النصارى الكاثوليك في الفلبين؟ ألا ترى ما يحدث في الصومال؟ ألا ترى ما يحدث في الجزائر؟ ألا ترى ما يحدث هنا وهناك من تحكّم الكفار في المسلمين، والأشرار في الأخيار، والفجّار في الأبرار؟

ألا ترى الفلسفة التي تنتشر في أقطار كثيرة الآن: فلسفة تجفيف الينابيع ... ينابيع تعليم الدين! ينبغي أن تجفف هذه المنابع في التربية والتعليم، وفي الثقافة والإعلام، حتى لا ينشأ مسلم غيور على دينه، حريص على أمته، مدافع عن حرماته مجاهد في سبيل الله.

ألا ترى علامات الساعة وقد كثرت وانتشرت الآن، فأصبح يُخون الأمين، ويؤتمن الخائن، ويُصدّق الكاذب ويُكذّب الصدوق؟ ألا ترى ... ألا ترى ... ألا ترى؟

هكذا قال صاحبي. قال صاحبي هذا كله يريد أن يدخل اليأس في قلبي والقنوط إلى نفسي. فهل هذا صحيح؟ هل صحيح أنّ الإسلام في إدبار والكفر في إقبال؟.

خلط في فهم علامات الساعة:

إننا لو نظرنا إلى الأمور نظرة فيها إنصاف وفيها موضوعية، لرأينا الأمر غير ذلك. رأينا أن هناك بشائر كثيرة تنبئنا أن الغد لهذا الدين، وأن المستقبل لهذا الإسلام، وأن هذه الأمة لن تموت، وأن في هذا الدين روحًا بنّاءة تظهر

وتستيقظ حينما تتعاظ الشدائد، فتحيط بهذه الأمة. حينما يُهاجم الدين في عُقر داره، هنالك ينتفض هذا الدين ... ينتفض هذا المارد. يستيقظ العملاق، ويخرج من قمقمه.

إذا كانت هناك أحاديث تدل على أن علامات الساعة قد ظهرت، وأن الناس قد ضيعوا الدين، وأن هناك من يتبع سنن غير المسلمين شبرًا بشبر وذراعًا بذراع[77] «**... حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتومه ...**»[78] كما صح في ذلك الحديث. إذا كان ذلك قد صح، فقد صحّت أشياء أخرى.

إن علامات الساعة الصغرى قد ظهرت بظهور بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال القرآن: **{فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا}** [محمد: 18]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[79] وأشار بأصبعه السبابة والوسطى[80]. فهو نبي آخر الزمان، ولذلك قال الله تعالى: **{ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ**

---

(77) إشارة إلى ما رواه البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتى مأخذ القرون، شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع**»، فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: «**ومن الناس إلا أولئك؟**».

(78) قطعة من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذوا القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جُحر ضب لدخلتموه**». قال: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**». والقذة: هي إحدى ريش السهم.

(79) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن أنس، ورواه أحمد والبخاري ومسلم عن سهل بن سعد «فيض القدير» للمناوي (202/3) برقم (3146).

(80) قيل: هو تمثيل لاتصال زمنه بزمنها وأنه ليس بينهما شيء كما أنه ليس بينهما أصبع أخرى، ويحتمل أنه تمثيل لقرب ما بينهما من المدة كقرب السبابة والوسطى، أو عنى بما بينهما في الطول أو العرض، وقيل إن دينه متصل بقيام الساعة لا يفصله عنه دين آخر كما لا فصل بين السبابة والوسطى، وقيل أن نسبة تقدم بعثته على قيام الساعة

وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ} [القمر: 1]، **{ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ}** [الأنبياء: 1].

ولكن إذا كانت الساعة قد ظهرت علاماتها، وإذا كانت الساعة قريبة كما قال القرآن: **{وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}** [الأحزاب: 63] فالقرب والبعد أمر نسبي، والزمن الذي عاشته هذه الدنيا لا نعرف: كم هو؟ يقدره الجيولوجيون والعلماء بملايين وعشرات الملايين من السنين. ولذلك فإن آلاف السنين ومئاتها لا تعتبر في هذا الزمن العميق الغور.

إن علامات الساعة الصغرى قد ظهرت، ولكن أيضًا هناك بشائر تدلنا على أن هذا الدين لا بد أن ينتصر، لا بد أن تكون له جولة، وتقوم له دولة، وترتفع أعلامه خفاقة فوق العالمين.

مبشرات بانتصار الإسلام من القرآن:

هذا ما نطق به القرآن، وما نطقت به صحاح الأحاديث.

القرآن الكريم يقول:

1- **{يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [الصف: 8]. هكذا قال في سورة «الصف».

2- وفي سورة التوبة: **{يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ}** [التوبة: 32]. «يأبى الله»: هذا الإباء الإلهي هو

كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى، وفيه إشهار بأنه لا نبي بينه وبينها كما لا يتخلل أصبع بين هاتين الأصبعين، ومحصوله أنه كناية عن قربها «فيض القدير» للمناوي (202/3) برقم (3146).

الذي يطمئننا على مصير هذا الدين وعلى مستقبل هذا الدين. {وَيَأْبَى ٱللَّهُ}: لا بد أن يتم هذا النور وينتشر في الآفاق كل الآفاق.

3- ويقول الله عز وجل في آيات ثلاث في سور ثلاث من كتابه: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ} [التوبة: 33. الصف: 9]، جاء ذلك في سورة «التوبة» وجاء ذلك في سورة «الصف»، وجاء ذلك في سورة «الفتح»: {هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا} [الفتح: 28].

لا تقولوا: إن هذا قد حدث في القرون الأولى، فقد ظهر الإسلام على الأديان الكتابية: على اليهودية، وعلى النصرانية، وعلى المجوسية التي قال فيها: «**سنّوا بهم سنة أهل الكتاب**»(81). ولكنه لم يظهر على الأديان الوثنية المنتشرة في آسيا وإفريقيا التي يبلغ أتباعها مئات الملايين وآلاف الملايين. والآيات هنا في آسيا وإفريقيا التي يبلغ أتباعها مئات الملايين وآلاف الملايين. والآيات هنا تقول: {لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ} لا بد من ظهوره وغلبته وسيطرته على كل الأديان هذا وعد من الله، و{ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ} [آل عمران: 9، الرعد: 31].

4- ويقول الله سبحانه في سورة «النور»: {وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

---

(81) أخرجه الشافعي من حديث عبد الرحمن بن عوف، وأخرجه الطبراني عن مسلم بن علاء الحضرمي بلفظ: «**سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب**». انظر: «سبل السلام» للصنعاني، باب الجزية والهدنة (4/135 - 136).

دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ} [النور: 55]. وهذا وعد دائم، بشرط أن يكونوا من:

أ- الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ب- وأن يعبدوا الله لا يشركون به شيئًا: أن يخلصوا التوحيد لله ... أن يحقّقوا التوحيد في حياتهم، فلا يبغون غير الله ربًا، ولا يتخذون غير الله وليًا، ولا يبتغون غير الله حكمًا.

هذا ما جاء به القرآن الكريم، وعد من الله **{وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ}** [الحج: 47]، بشرط أن نفي بالشرط حتى يحقق الله لنا المشروط: **{وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ 40 ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ}** [الحج: 40، 41].

مبشرات من السنة النبوية:

وهناك بشائر من السنة، من الأحاديث التي صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

1- فقد روت عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعُزى**»، فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله:

{هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ} [التوبة: 33، الصف: 9] أن ذلك تامًا «أي سيكون تامًا وواقعًا فكيف يرجع الناس إلى عبادة اللات والعزى؟!» قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فتوفي كل من في قلبه مثقال حبة خردل من

إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم[82] دين الشرك. فهذا سيكون سيظهر الإسلام على الدين كله، الرسول يؤكد لعائشة أن ما فهمته من الآية صحيح وسيكون منه إن شاء الله ما يكون.

2- ويقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن حبان في «صحيحه»: **«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر** «بيت من حجر أو بيت من شعر، أي في الحضر أو في البادية» **إلا أدخله الله هذا الدين، بعزّ عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعزّ الله به الإسلام وذُلًا يذلّ الله به الكفر»**[83].

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار»: أي سيشمل الكرة الأرضية كلها، سيصل هذا الإسلام إلى تلك الديار، سينتشر الإسلام في العالم كله، لأن العالم أحوج ما يكون إلى هذا الدين، إنه يحتاج إليه حاجة الظمآن إلى الماء وحاجة العليل إلى الشفاء.

3- ويقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم عن ثوبان: **«إن الله زوى لي الأرض** «أي جمعها وضمها» **فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ... »**[84] أي سيبلغ المشارق والمغارب. فإذا كان الحديث الماضي يدلّ على انتشار الدين، فهذا الحديث يدل على

---

(82) رواه مسلم في «كتاب الفتن وأشراط الساعة» حديث (72).

(83) رواه أحمد في «مسنده» (103/4)، وأورده الهيثمي في «المجمع» وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح (14/6).

(84) رواه مسلم في «كتاب الفتن وأشراط الساعة» برقم (2889)، وأبو داود (4252)، والترمذي (2203)، وابن ماجه (3952).

اتساع الدولة ... دولة الإسلام وملك الإسلام. سيملك المسلمون المشارق والمغارب ويقيمون عدل الله في الأرض، وينشرون التوحيد في دنيا الناس.

4- وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله أحد الناس: أي المدينتين تفتح أولًا: القسطنطينية أو رومية؟ - رومية هي كما يقول ياقوت في «معجمه» «روما» عاصمة إيطاليا - فأخرج عبد الله صندوقًا له حلق، وأخرج من الصندوق كتابًا، قال: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب «كانوا يكتبون منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم» وإذا رجل يسأله: يا رسول الله، أي المدينتين تفتح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟ فقال: **«مدينة هرقل تفتح أولًا»**[85]. ومدينة هرقل هي القسطنطينية التي كانت عاصمة الدولة الرومانية، وهرقل هو الإمبراطور الذي كان معاصرًا للنبي صلى الله عليه وسلم.

وفعلًا فتحت هذه المدينة «القسطنطينية» التي سميت الآن «استانبول»، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح المسلم الغيور: محمد بن مراد، الذي اشتهر في التاريخ باسم «محمد الفاتح»، ابن الثالثة والعشرين، الذي قرأ في كتب الحديث: **«لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش»**، فتاقت نفسه أن يكون هو ممن صدق فيه هذا الحديث. وفعلًا رتب وخطط لفتح القسطنطينية، حتى فتحها، وكتب الله له ذلك الفخر. ومن

---

(85) رواه أحمد في مسنده برقم (6645)، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وأورده الهيثمي في «المجمع» (219/6) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل وهو ثقة. وذكره الألباني في «سلسلته الصحيحة» برقم (4).

زار استانبول يجد جامع محمد الفاتح، وهذا الحديث مكتوب على بابه.

فتحت القسطنطينية، وبقى أن تفتح رومية، ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوروبا مرة أخرى بعد أن طرد منها: طرد من الأندلس، وقد بقى فيها ثمانية قرون، أقام فيها حضارة عظيمة، جمعت بين العلم والإيمان ... بين الرقي المادي والسمو الروحي والأخلاقي. وطرد مرة أخرى من أوروبا من البلقان، بعد أن وصل إلى أبواب «فيينا» وطرق أبوابها عدة مرات.

سيعود الإسلام إلى أوروبا، وأظن هذه المرة أنه سيفتحها عن طريق الدعوة ... عن طريق الفكر، فأوروبا الآن أشد ما تكون عطشًا إلى دين يخرجها من قلقها ... من حيرتها ... مما تعانيه نتيجة المادية والإباحية، ولن تجد هذا الدواء إلا في الإسلام.

5- ومما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه الإمام أحمد وغيره عن حذيفة قال: «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا** «ملكًا ظالمًا»، **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبريًا** «تجبر وتحكم على خلق الله أشد من الملك العضوض»، **فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة**»[86] هكذا قال النبي صلى

(86) رواه أحمد (273/4)، وقال الهيثمي في «المجمع» (189/5): رواه أحمد، والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط»، ورجاله ثقات.

الله عليه وسلم، بعد الملك العاض والملك المتجبر تكون خلافة على منهاج النبوة، قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وسكت.

فنحن ننتظر هذه الخلافة على منهاج النبوة ... على منهاج الراشدين. بعض الناس ظن أن هذا كان لعمر بن عبد العزيز، ولكن عمر بن عبد العزيز كان بعد مُلك عاضّ ولم يكن بعد ملك الجبرية هذا ... ملك التحكّم ... الحكم العسكري والحكم المطلق والحكم الذي لا يبالي بحقوق الناس ولا بحرياتهم ويدوس كراماتهم.

فنحن ننتظر هذه الخلافة على منهاج النبوبة.

6- وجاءت الأحاديث تدلنا على أن لنا معركة مع يهود ينتصر فيها الإسلام، ويأخذ بحقه منهم، كما جاء في «الصحيحين» من حديث ابن عمر: «**تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثم يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله**»(87).

وكذلك روى الشيخان من حديث أبي هريرة: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله**»(88). سواء نطق الحجر من باب الكرامة وخوارق العادات، أو كان ذلك مجازًا وكناية عن أن كل شيء يكون مع

---

(87) متفق عليه «اللؤلؤ والمرجان» برقم (1849).

(88) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه في «كتاب الفتن وأشراط الساعة». وتتمته: «**إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود**».

المسلمين ويدل على عورات عدوهم، وإذا آتاك الله النصر فكل شيء يكون معك، وإذا خُذلت والعياذ بالله فكل شيء يكون ضدك، حتى السلاح الذي في يدك، لا تنتفع به، كما رأينا ذلك في سنة (1967م).

7- ومن البشائر: أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء عنه في عدد من الأحاديث الصحاح أن هناك طائفة منصورة في هذه الأمة، تقوم على الحق، وتجاهد في سبيله، وتدافع عنه، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون. صحّ ذلك عن عدد من الصحابة: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس**»(89).

وجاء في حديث أبي أمامة: «**لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء** «أي من أذى» **حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**»(90) في المنطقة التي يسمونها «الشرق الأوسط» في مصر والشام وفلسطين، هذه كلها أكناف بيت المقدس.

8- ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**»(91) سيوسع الله لهم في الرزق، وستعود أرض

---

(89) رواه أحمد والشيخان. انظر: «صحيح الجامع الصغير» (7290).

(90) «مسند أحمد» (269/5)، وفيه قال عبد الله: وجدت بخط أبي ... الحديث. وأورده الهيثمي وعزاه إلى «المسند» والطبراني، قال: ورجاله ثقات (288/7).

(91) رواه مسلم في «كتاب الزكاة» عن أبي هريرة، برقم (1012). وزاد أحمد في روايته:

العرب مروجًا وأنهارًا، يخرجون من التخلف إلى التقدم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العسر إلى اليسر، حتى جاء في بعض الأحاديث: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يُهم رب المال من يقبل منه صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي**»(92) أغنى الله الناس.

فهذه بشائر لا بد أن نذكرها حتى لا نيأس فـ {**إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ**} [يوسف: 87] ... حتى لا نقنط فإنه لا {**يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ**} [الحجر: 56].

مبشرات من التاريخ:

وإذا نظرنا إلى التاريخ وجدنا بشارة أخرى: أن هذا الدين لا يمكن أن ينهزم، وأن هذه الأمة لا تموت، قد تضعف، قد يصيبها المرض، ولكنها لا تموت. قد تكون الجولة لأعداء الله يومًا، ولكن سرعان ما يستعيد هذا الدين قوته، سرعان ما ينفخ الروح في أبنائه نافخ، فإذا بهذه الأمة تظهر على حقيقتها من جديد.

برز ذلك منذ العصر الأول، منذ مات النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت الردة، وظهر المتنبؤن الكذابون: مسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي، ممن تبعهم قومهم عصبية وقالوا: كذاب ربيعة أحد إلينا من صادق

«**وحتى يسير الراكب بين العراق ومكة لا يخاف إلا ضلال الطريق**». انظر: «المسند» (370/2، 371).

(92) متفق عليه. انظر: «اللؤلؤ والمرجان» برقم (594).

مضر! وظهر الذين منعوا الزكاة وقالوا: نصلي ولا نزكي. وأبي أبو بكر هذا الرجل الرقيق البكّاء، إذا به يتحول إلى أسد هصور، ويقول: والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه. وكان عمر قد تردد في أول الأمر، ولكن أبا بكر ظل راسخًا كالجبل وأبى إلا أن يقاتل، فعرف عمر أن الله شرح صدر أبي بكر للحق فسار معه، وسار معه الصحابة، وقاتلوا المرتدين حتى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام.

وكان هؤلاء المرتدون الذين عادوا من أشد الناس نكاية في الأعداء، وأكثرهم استبسالًا في القتال في فتح فارس والروم. كانوا يكفّرون عن خطاياهم ... عن خطيئة الرّدّة، فكانوا هم المقاديم دائمًا في ساحة الحرب.

هكذا انتصر الإسلام على الرّدّة. وانتصر الإسلام على مانعي الزكاة، وكانت الدولة الإسلامية أول دولة في التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء، قبل أن يعرف الناس ما سمي الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها.

فهذا التاريخ منذ عصر الصحابة يدلّ على أن هذا الإسلام قوي، فيه قوة ذاتية تظهر عند الشدائد، فإذا هو أصلب ما يكون عودًا، وأصفى ما يكون جوهرًا، وأشد ما يكون شكيمة، عندما تحيط به النوائب، وتنزل به المصائب، وتتحلق حوله الكروب، وتنزل بساحته الخطوب.

هكذا رأينا الإسلام مرة أخرى حينما جاء الصليبيون من الغرب، وجاء التتار من الشرق، جاء هؤلاء وجاء هؤلاء بقضّهم وقضيضهم.

جاء الصليبيون من أوروبا في تسع حملات، تريد أن تأخذ القدس والمسجد الأقصى. وفعلًا، أخذوا القدس والمسجد الأقصى وظلوا فيه تسعين سنة،

وكانـت لهـم ممالـك وإمـارات فـي فلسـطين ظلـت مـائتي سـنة «قـرنين مـن الزمان». حتى هيأ الله رجالًا لهذا الدين مثل: عماد الـدين زنكـي، وابنـه الشـهيد نورد الدين محمـود، وتلميذه صـلاح الـدين الأيـوبي، والظـاهر بيبـرس، وغيـر هـؤلاء، فاسـتطاعوا أن يـردوا الصــليبيين ويـدحروهم فــي معركــة حطّــين ومعركة فتح بيت المقدس، وعاد هؤلاء إلـى ديـارهم خـائبين، واسـترد الإسـلام ملكه وقوته.

وكـذلك التتـار، انتصـروا علـى المسـلمين، وحطمـوا الدولـة الإسـلامية فـي بغداد عاصمة الخلافة العباسية، دمـروا معـالم الحضـارة والثقافـة، ألقـوا كتـب العلـم فـي دجلـة حتـى أسـود مـاء دجلـة، ذبحـوا النـاس حتـى سـالت الـدماء مـن الميازيب، وكان المثل السائر عند الناس: إذا قيل لك: إن التتار قد انهزمـوا فـلا تصدق! أي: شاعت أسطورة القوة التي لا تقهر.

وبعــد أن فتحــوا بغــداد ســنة (656هــ) أرادوا أن يفتحــوا مصــر ســنة (658هـ)، وأرسـل قائـدهم إلـى القائـد المملـوكي فـي مصـر الرجـل الصــالح المظفر سيف الـدين قطـز، بعـث إليـه برسـالة تبـرق وترعـد، وترغـي وتزبـد، يقول فيها: نحن الذين قتلنا العباد وخربنا الـبلاد، وسفكنا الـدماء، ولا يقـوم أحـد في وجهنا ونحن فعلنا وفعلنا. فلما جاء رسولهم إلى قطز أخذ الرسـالة وبعـد أن قرأها على الناس مزّقها، وجاء بالرسولين فقتلهما مع أنّ الإسلام لا يجيـز قتـل الرسل، ولكنه أراد في هذه الحالة أن يبلـغ هـؤلاء أنـه لا يبـالي بهـم، وأن يقـوّي قلوب المسلمين من حوله لقتال هؤلاء.

وفعـلًا نـهض لقتـالهم، ولقـيهم فـي الخـامس والعشـرين مـن رمضـان سـنة (658هـ) بعد سنتين من هزيمة المسلمين في بغداد، لقيهم هناك في قريـة عـين

جالوت في فلسطين، وكانت المعركة الحاسمة «معركة عين جالوت». في أوّل الأمر هزم المسلمون، فألقى قطز خوذته على الأرض، وصاح صيحته التاريخية المعروفة: وا إسلاماه ... وا إسلاماه ... وا إسلاماه، فما كان الناس يسمعون هذه الصيحة حتى أقبل المدبر، وثبت المتردد، وتشجع الجبان، وكانت الجولة للمسلمين وانتصروا في هذه المعركة، ولم تقم قائمة لتتار بعد ذلك.

ثم شرح الله صدورهم ودخلوا في الإسلام. انتصر الإسلام عليهم عسكريًا، وانتصر عليهم معنويًا.

هذا ما يقوله التاريخ: الإسلام أقوى ما يكون في ساعات الشدة.

مبشرات من الواقع المعيش:

أما ما يقوله الواقع: فنحن نعلم أن هناك صحوة إسلامية شرّقت وغرّبت، وذهبت شمالًا وجنوبًا، في بلاد العرب، وفي عالم الإسلام، وخارج عالم الإسلام.

هذا الشباب المؤمن الذي هو قرة عين هذه الأمة، الشباب الصوام القوام، الذي يذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، الشباب الذين نذروا أنفسهم لهذا الدين، وباعوا أرواحهم لله.

هذه الصحوة نراها في كل مكان، رأيتها والله حيثما يمّمت، وحيثما ذهبت في مشرق أو مغرب، رأيت هؤلاء الشباب المستغفرين بالأسحار، القارئين للقرآن، القارئين لكتب الحديث، المجتمعين على طاعة الله.

رأيت أولئك الشابات الملتزمات بالحجاب، الممتنعات عن العبث، اللائي

اخترن الإسلام طوعًا وسرن في طريق الله.

هذه الصحوة الإسلامية التي نرى آثارها في المساجد يعمرها المصلون. كنا نرى قديمًا عمار المساجد من الشيوخ الكبار الذين أكل الدهر عليهم وشرب! بعد أن يبلغ الإنسان سن المعاش يذهب إلى المسجد، وقلما كنا نرى في المساجد شابًا.

انظروا: الذين أراهم الآن أمامي في هذا الوقت، والذين أراهم خلفي في صلاة التراويح، هم الشباب! الذين يملأون مواسم الحج والعمرة، غالبيتهم العظمى من الشباب!

من الذي صنع هذا؟ الذي صنع هذا هو الإسلام، الإسلام ردهم إليه ردًا جميلًا.

هذا الدين قوي لا يضعف، هذا الدين مكين لا يتزلزل، هذا الدين راسخ لا يتزعزع.

في كل بلاد الإسلام صحوة والحمد لله، حتى البلاد التي فرضت عليها العلمانية بالحديد والنار - كما في تركيا - نرى المدارس القرآنية بالآلاف وعشرات الآلاف! يحفظ الأطفال - ذكورًا وإناثًا - القرآن الكريم. نرى هذه العودة التي تملأ المساجد برغم أن الدستور لا يزال علمانيًا.

الإسلام قوي، والصحوة الإسلامية موجودة في كل مكان، ينبغي أن لا ننكر هذا.

رأينا هذه الصحوة في المجال الثقافي: انتشار الكتاب الإسلامي، وحرص الناس على اقتناء الكتب الإسلامية، وظهور مكتبة إسلامية ضخمة في كل

ناحية من نواحي الثقافة الإسلامية.

في المجال الاقتصادي: رأينا البنوك الإسلامية، والمؤسسات التجارية الإسلامية، وقد كانوا قديمًا يقولون: لا تحلموا ببنوك بغير فوائد، إن الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربوية عصب البنوك. ولكن الله خيب ظنونهم، وظهرت بنوك إسلامية وانتشرت والحمد لله.

في المجال العسكري: ظهر الجهاد الإسلامي في أماكن كثيرة: ظهر في أفغانستان ودحر الروس، ونسأل الله أن يجمع كلمة إخواننا ولا يخزونا أمام الآخرين، وأن يصلح ذات بينهم. ظهر في فلسطين في حركة المقاومة الإسلامية ... في الجهاد الإسلامي، الذي أخزى اليهود وأرعب اليهود. مذا يفعل اليهود أمام إنسان باع روحه، ووضع رأسه في كفه، ولا يبالي ما يصيبه في سبيل الله؟ هذا الشاب الذي فعل ما فعل في تل أبيب، أو فعل ما فعل في غزة، هذا باع نفسه لله. مهما أوتيت إسرائيل من الأسلحة الكيماوية والجرثومية والنووية لا تستطيع أن تفعل أمام هؤلاء الناس المستشهدين في سبيل الله شيئًا.

الجهاد في سبيل الله في كشمير ... في الفلبين ... في السودان، هذا كله من عمل الصحوة الإسلامية.

إخواننا في البوسنة والهرسك رغم ا لحصار المفروض عليهم، صمدوا وصبروا وصابروا ورابطوا، وقاوموا الصرب ومن وراء الصرب، فالصرب ليسوا وحدهم، وراءهم الكاثوليك من الفرنسيين، وراءهم البروتستانت من الإنجليز، وراءهم الأرثوذكس من الروس واليونان، وراءهم

هؤلاء جميعًا. ولكن إخوتنا صمدوا، واستطاعوا أن يحافظوا على أنفسهم.

كان المفروض أن تسقط «سرايفو» بعد أسبوعين أو ثلاثة، وكانت الاحتفالات معدة لهذا، ولكن الله خيب ظنونهم، وضيع أحلامهم، ولا زال إخواننا صامدين.

هذه كلها تدل على قوة هذا الدين، هذا الدين قوي، ولا يمكن أن يسقط أيها الإخوة.

ثم هناك شيء آخر: العالم كله في حاجة إلى هذا الدين.

نحن المسلمين أحوج ما نكون إلى شريعة الله. وإلى منهج الله نحكمه في حياتنا، حتى نطعم من جوع، ونأمن من خوف، ونقوى من ضعف، ونعز من ذل، ونسعد من شقاء، ونستقر من اضطراب، ونتماسك من تفسخ.

المسلمون في حاجة إلى الإسلام، وغير المسلمين في حاجة إلى الإسلام. الحضارة الغربية التي استطاعت أن تصل إلى القمر، لم تستطع أن تسعد الإنسان على سطح الأرض! ما قيمة أن تصل إلى القمر والناس في هذه الأرض أشقياء تعساء؟! ماذا يصنع الإنسان بحضارة الأزرار الأتوماتيكية والعقول الإلكترونية، وهو غير سعيد النفس، ولا مطمئن القلب، ولا مستقر الحياة؟! هذا ما يشكو منه الناس. يشكون جوعًا في أوراحهم ... ظمأ في نفوسهم ... فراغًا في قلوبهم، لم يجدوا العقيدة التي تملأ هذا الفراغ وتجيب عن الأسئلة الحائرة التي يسألونها: من أنا؟ ولم خُلقت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا أحيا؟ ولماذا أموت؟

الإسلام هو الذي يملك الإجابات الشافية عن هذا كله. الذي يستطيع أن ينقذ

الغرب مما هو فيه هو: الإسلام. الإسلام وحده هو المنقذ.

والدور لنا وليس الدور علينا. كان العالم في وقت ما قيادته شرقية، أيام الحضارات القديمة: الفرعونية والبابلية والكلدانية وغيرها. ثم انتقلت دورة الحضارة وشعلة الحضارة إلى الغرب، فأصبحت القيادة للغرب أيام فلسفة اليونان وحضارة الرومان. ثم انتقلت الشعلة مرة أخرى إلى الشرق أيام انبعاث الإسلام وحضارة الإسلام وازدهار أمة الإسلام، وظلت الأمة الإسلامية هي الأمة الأولى في العالم قرونًا عديدة، كانت أستاذة العالم وسيدة العالم. ثم انتقلت الشعلة إلى الغرب على يد النهضة الحديثة والحضارة الحديثة.

ولكن الغرب لم يرع الأمانة، أفلس في القيادة. استطاع الإنسان أن يحلق في الهواء كالطير، وأن يغوص في البحر كالحوت، ولكنه لم يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان.

العالم في حاجة إلى حضارة جديدة وإلى رسالة جديدة، وهذه الحضارة لن تكون إلا حضارة الإسلام، وهذه الرسالة لن تكون إلا رسالة الإسلام.

الغد لنا، والمستقبل لنا، فلا ينبغي - أيها الإخوة - أن نيأس أبدًا، ولا ينبغي أن نقنط أبدا(93).

سنظل نعمل ونعمل، ونستمر في العمل والدعوة والجهاد، سندعو إلى

---

(93) لمزيد من التفصيل في هذه المبشرات التي تبشر بانتصار الإسلام، يراجع الرسالة القيمة للشيخ القرضاوي «المبشرات بانتصار الإسلام» وهي إحدى رسائل ترشيد الصحوة - للشيخ طبعة مكتبة وهبة.

الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، سنجادل بالتي هي أحسن، سنعرض بضاعتنا، وبضاعتنا هي هذا الدين، والعالم كله محتاج إلى هذه البضاعة. محتاج إلى هذه الرسالة {وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ} [التوبة: 32].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه، فادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

رثاء الشيخ خليل الحامدي:

أما بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

قبل الصلاة بقليل تلقيت رسالة بالفاكس من لاهور في باكستان، تبلغني بوفاة عالم جليل، وداعية من الدعاة الصادقين، هو: الشيخ خليل بن أحمد الحامدي، في حادث مروري أليم.

وكان هذا الرجل من الذين نذروا أنفسهم للإسلام، وعاشوا للدعوة إلى الله، وشرق في البلاد وغرب. كان مديرًا لدار العروبة والدعوة الإسلامية في لاهور بباكستان. ونشر كثيرًا من الكتب الإسلامية وترجمها إلى العربية، خصوصًا كتب الأستاذ أبي الأعلى المودودي.

فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يتقبله في الصالحين والشهداء، وأن يجزيه عن الإسلام والدعوة خير الجزاء، وأن يعوض المسلمين فيه خيرًا.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ} [آل عمران: 147].

{رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ} [الحشر: 10].

عباد الله: **{إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا}** [الأحزاب: 56].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

* * *